

مُلخَّص

“الأربَعون حديثًا”

لِمَن أحيا اللّه به روحَ هذه الأُمّة

ملخّص الأربعون حديثاً

لِمن أحيا اللَّه به روح هذه الأمة

ملخص الأربعون حديثاً

لِمن أحيا اللّٰه به روح هذه الأمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الفهرس



الإمامُ الخميني المقدس

إهدَاء

بسم اللَّه الرّحمنِ الرَّحيمِ، والحمدُ للَّه ربّ العالمين، والصّلاةُ والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله الطّيّبين الطّاهرين. اللّهم صلِّ على وليِّ أمرِكَ القائمِ المؤمّل، والعدل المنتظر، وحُفَّه بملائكتك المقرّبين، وأيِّده بروحِ القدسِ، يا رب العالمين...

إلى من اشتاقت إليه القلوبُ، وتطلَّعت له الأبصار، وذابت في انتظاره الأفئدة، إلى إمامي المهديّ المنتظر الموعود...

سيّدي، اقبل منّي هذا العمل القليل، لعلّه يكون وسيلةً لنيل رضاك، وعَونًا في معركتنا ضدّ جند الشيطان، وأسأل الله تعالى أن يجعلني من مقويّ سلطانك سيدي لأكحّل ناظري بنظرة مني إليك وأنال شرف إقامة الحق والعدل بين يديك.

عبد ربّه المقصّر

15 شعبان 1444هـ

2023/3/8م

عزيزي القارئ:

لستُ أهلًا من النّاحيةِ الرّوحية والفقهيّة واللّغويّةِ لكتابة هذا الملخّص، ولكن من باب: **«لا تستحِ من إعطاءِ القليل، فالحرمانُ أقلّ منه»**[1]

قمتُ بفضل اللّه تعالى بكتابة هذا الملخّص لعلّه يكون بابًا لنجاتي في الآخرة.

---

(1) نهج البلاغة، الحكمة 64.

1

مجاهدة النّفس

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية، فلمّا رجعوا، قال: **«مرحبًا بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول اللَّه، وما الجهاد الأكبر ؟ قال: جهاد النفس»**[1].

جنودُ ساحة مجاهدة النّفس سبعة: (العينُ، الأذن، اللّسان البطن، الفرج، اليد والرّجل) إذا احتكمت للعقلِ فازَت، وإذا احتكمَت للشّهوات خسرت.

* من الأمورِ الضّروريّةِ للمجاهد:

1. **التّفكّر في الهدف الحقيقيّ للخلق:** اعلم انّ أوّل شروط مجاهدة النّفس، والسير باتّجاه الحقّ تعالى، هو «التفكّر»، وقد وضعه بعض علماء الأخلاق في بدايات الدّرجة الخامسة، وهذا -التصنيف- صحيح أيضًا في محلّه.

والتفكّر في هذا المقام هو أن يفكّر الإنسان بعض الوقت في أنّ مولاه، الذي خلقه في هذه الدنيا، وهيّأ له كلّ أسباب الدّعة والرّاحة، ووهبه جسمًا سليمًا وقوىً سالمةً لكلّ واحدة منها منافع تحيّر الباب الجميع،

---

(1) فروع الكافي، كتاب الجهاد، باب وجوه الجهاد، ح3.

ورعاه وهيّأ له كل هذه السعة وأسباب النعمة والرحمة. ومن جهة اخرى، أرسل جميع هؤلاء الأنبياء، وأنزل كل هذه الكتب «الرّسالات»، وأرشد ودعا الى الهدى ... فما هو واجبنا تجاه هذا المولى مالك الملوك؟! هل أنّ وجود جميع هذه النعم، هو فقط لأجل هذه الحياة الحيوانيّة وإشباع الشهوات التي نشترك فيها مع الحيوانات، أم أنّ هناك هدفًا وغاية أخرى؟

هل أنّ للأنبياء الكرام، والأولياء العظام، والحكماء الكبار، وعلماء كلّ أمّة الذين يدعون الناس الى حكم العقل والشرع ويحذّرونهم من الشهوات الحيوانيّة ومن هذه الدنيا البالية، عداء ضدّ الناس أم أنّهم كانوا مثلنا لا يعلمون طريق صلاحنا نحن المساكين المنغمسين في الشهوات؟!

إنّ الانسان إذا فكّر للحظة واحدة، عرف أنّ الهدف من هذه النّعم هو شيء آخر، وأنّ الغاية من هذا الخلق أسمى وأعظم، وأنّ هذه الحياة الحيوانيّة ليست هي الغاية بحدّ ذاتها، وأنّ على الإنسان العاقل أن يفكّر بنفسه، وأن يترحّم على حاله ونفسه المسكينة ؛ ويخاطبها: **أيّتها النّفسُ الشّقيّة الّتي قضيتِ سنيِّ عمرِك في الشّهوات، ولم يكن نصيبُك سوى الحسرة والنّدامة، ابحثي عن الرّحمة، وسيري قليلًا في طريقِ الحقّ المؤدِّي إلى حياة الخلد والسّعادة السّرمديّة. فكّري قليلًا في أحوال أهل الدّنيا، من السّابقين واللّاحقين، وتأمّلي في متاعبهم وآلامهم، كم هي أكبر وأكثر بالنّسبة إلى هنائهم، في الوقت نفسه الّذي لايوجد فيه هناء وراحة لأيّ شخص.**

2. **العزم على فعل الواجبات وترك المعاصي:** (إنّ أكثرَ ما يُؤدّي إلى فَقد الإنسان العزم والإرادة هو الاستماع للغناء)، كما يجب على العبد أن

يدعوَ اللَّه في الخلوات وبالتّوسّل بمحمّد وآله كي يوفّقَهُ للعزم على ترك... ذلك.

3. **المشارطة والمراقبة والمحاسبة:** أَبدأُ في مشارطة نفسي على عدم ارتكاب الذّنوب ليومٍ واحد، فإذا شارطتُ نفسي، أستعيذُ من الشّيطان الرّجيم، ثمّ أبدأ العمل وأقول: أشترط على نفسي عدم مخالفة وليّ أمري ووليّ نعمتي، ولو عبدتُهُ أَبَدَ الدّهور ما وفيته حقّه، ثمّ يأتي موضوع المراقبة بأن أُراقِب نفسي طوال النّهار بعدم ارتكاب أيٍّ ذنب، فإذا جنَّ اللّيل تبدأ المحاسبة، فإذا نجحتُ في هذا اليوم بعدم ارتكاب الذنب، أشكرُ اللَّه تعالى، وإن لم أنجح أستغفره، وأطلب منه العون والمدد لليوم التالي. وهذا ما ورد عن إمامنا الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**ليسَ منَّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حَسَنًا استزاد اللَّه، وإن عمل سيّئًا استغفر اللَّه منه وتاب إليه**»[1].

4. **التّذكُّر:** الفطرة تحكم باحترام المنعِم وتعظيمه، وخاصّة إن لم يكن هناك نظير لهذا المنعم...

الّذي يعطيك حصانًا بهدف، والّذي يعطيك مزرعة من دون مقابل، فمن عظيم الفعل أن تشكره، فكيف بمن يعطيك هذا الّذي أنت فيه كلّه من دون مقابل، وأقلّه الهواء؟ وأيضًا النّاس يحترمون المخترعين والسّلاطين، فكيف بمالك الملك؟ كذلك إذا حضَر أحدٌ من النّاس لا تتجنّب استغابة أحدٍ

(1) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل، ح2.

أمامه استحياءً منه، واحترامًا له، فكيف ونحن في محضر اللَّه عزَّ وجلَّ؟!

إذًا: فيا أيّها العزيز؛ كن ذاكرًا لعظمة ربّك، وتذَكّر نعمَه وألطافه، وتذكّر أنّك في حضرتِه، وأنّه شاهد عليك، وفي هذه المعركة الكبرى تغلّب على جنود الشيطان، واجعل من مملكتِك مملكةً رحمانيّة، وأحِلل فيها عسكر الحقّ تعالى، كي يوفّقك اللَّه تبارك وتعالى في مقام مجاهدة أخرى، وميدان أكبر ينتظرنا، وهو الجهاد مع النّفس في العالم الباطن، وفي المقام الثّاني للنّفس. وأكرِّر التّذكير بأنه في جميع الأحوال لا تعلّق على نفسك الآمال، واطلب من الحقّ تعالى نفسه بتضرّع وخشوع، كي يعينك في هذه المجاهدة، لعلّك تنتصر، إنّه وليّ التّوفيق.

*** ملاحظات:**

- يجب حسم المعركة بين جنود الرّحمن وجنود الشّيطان في النّفس... لأنّه إذا انتصرَ جند الشَّيطان، ستكون خسارة كبرى، ويدخل العبد في الويل والنار، وهذه النّار أعظم من النّار الّتي فيها الأفاعي، بل هي نار البعد عن الحقّ تعالى.
- صورة الإنسان في البرزخ ويوم القيامة تكون حسب سلوكه ونفسه في الدّنيا، إن كانت شهوانيّة يبعثه اللَّه على شكل حيوان، وإن كانت شيطانيّة يُبعث على شكل شيطان.
- يجب السّيطرة على الخيال، فهو من شِباك الشّيطان خاصّةً.

1. مجاهدة النّفس

- علينا التَصدّي لسوء الخُلق، وتوهّج نار الغضب التي تحُرق الباطن، وعدم الدّخول في المراءات وعند اكتمال جهاد النّفس يُوفّق الإنسانُ إلى إخراج جنود إبليس من هذه المملكة، وتصبح مسكنًا لملائكة اللَّه....

2

الرّياء

عن الإمام الصّادق عليه السلام: **«كلُ رياءٍ شرك، إنّه مَن عَمِلَ للنّاس كان ثوابه على النّاس، ومَن عَمِلَ للَّه كان ثوابه على اللَّه»**[1]

* تعريف الرّياء:

هو إظهار شيء من الأعمال الصّالحة أو الصّفات الحميدة أو العقائد الصّحيحة للنّاس من أجلِ الحصول على منزلة في قلوبهم، والاشتهار بينهم بالتّديّن والاستقامة... فالمراؤون نيّتهم ليست خالِصة للَّه تعالى... فهذا نوع من الشّرك، ويؤدّي إلى النفاق، والدّخول في ظلمات الكفر.

- يوجد فرق بين العلم والإيمان. العلم هو في العقل، أمّا الإيمانُ فهو في القلب، والبرهان بالدّليل العقليّ بوجود اللَّه، علمًا أنّه ليس إيمانًا، بل الإيمان من كَتب عبارة **«لا إله إلّا اللَّه»** بقلم العقل على لوح القلب. وحين ترِد هذه العبارة النّورانيّة الإلهيّة على القلب

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب رياء، ح3.

تصبح سلطة القلب خاضعة للحقّ، فلا يعرف الإنسان بعدَها شخصًا مؤثّرًا في مملكة الحقّ، ولا يتوقّع من شخص آخر جاهًا ولا جلالًا ولا يبحث عن المنزلة والشّهرة عند الآخرين، ولا يصبح القلب مرائيًا ومخادعًا. وإذا رأينا الرياء في قلوبنا، فلنعلم أنّ قلوبنا لم تسلم للعقل، وأن الإيمان لم يدخل فيه، ونعتقد بأنّ شخصًا آخر غير الإله يؤثّر في هذا العالم، ونحن في زمرة المنافقين أو المشركين أو الكفّار...

* الرياء في العمل:

إذًا، يجب ألّا نُعرِّض أنفسنا للغضب الإلهيّ من أجل جذب قلوب العباد المساكين الضّعفاء، ولا نبيع الكرامات غير المحدودة، وتلك الألطاف الإلهيّة بمحبّة مخلوق ليس له أثر....

- من يطلب رضا النّاس فهو يشرك باللَّه، فعلينا أن نُنظّف مرآة قلوبنا كي يتجلّى فيها نور جمال الحقّ، وكي يتوهّج نار حبّ العشق الإلهيّ في قلوبنا، فنحرق أنواع الحبّ الأخرى...
- عن علي بن سالم، قال: «**سمعت أبا عبد اللَّه** عليه السلام **يقول: قال اللَّه عزّ وجلّ: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عملٍ عمله لم أقبله إلّا ما كان لي خالصًا**»[1].

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الايمان والكفر، باب الرياء، ح 9

- وكأن الحقّ تعالى يقول لنا: «**أخلص قلبك لي أو لأجلِ كرامتي، كي تحصل أنت على النّتيجة، وتحصَل أنت على الفائدة**».

﴿... قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[1].

- ما دامت الرّياضةُ هدفُها حصول قوى النّفس وقدرتها على التّسلّط فهي باطلة، وإن كانت بخُطى الحقّ فهي شرعيّة، وسيأخذ اللَّه بأيدينا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[2]، فتسقط الأنا والغرور، ونكون مشمولين تحت عبارة: «**لا تسعني أرضي ولا سمائي، بل يسعني قلب عبدي المؤمن**»[3]، وأيضًا «**قلب المؤمن بين إصبعي الرّحمن يقلّبه كيف يشاء**»[4]. هنيئًا لمن كان الحقّ يتصرّف في قلبه...

- «**يا ابن آدم، خلقتُ الأشياء لأجلك، وخلقتُك لأجلي**»[5] إنّ اللَّه سبحانه اتَّخذ من قلبنا منزلًا، فيجب أن لا نهتك حرمة اللَّه... عند استقرار أهل الجنّة فيها تأتيهم رسالة:

«**من الحيّ الأبديّ الّذي لا يموت إلى الحيّ الأبديّ الّذي لا يموت، إذا أردتُ شيئًا قلتُ له كن فيكون، جعلتُك اليوم في مستوى إذا أردتَ شيئًا قلت له: كن فيكون**»[6].

(1) سورة الحجرات، الآية 17.
(2) سورة العنكبوت، الآية 69.
(3) عوالي اللئالي للأحسائي، 7/4.
(4) إحياء العلوم، المجلّد الأوّل، ص76.
(5) المنهج القوي، المجلّد 5، ص516.
(6) شرح الأسماء الحسنى للسبزواري139/1، ومشارق أنوار اليقين لرجب البرسي 282.

* الرّياء في العبادات:

من أخطرِ أنواع الرّياء: الرّياء في العبادات والواجبات. والمطلوب من العبد أوّلًا للتخلّص من هذا الداء.

* الإخلاص:

أوّلًا: نحن لسنا مخلصين واقعًا؛ لأنّ الشّيطان يغوينا ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٨ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1].

ثانيًا: لم تتدفّق علينا الحكمة والمعرفة خلال عشرات السّنين. قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما خَلُصَ عبدٌ لله عزَّ وجَلَّ أربَعينَ صَباحًا إلّا جَرَت ينابيعُ الحِكَمةِ من قلبِه على لسانِه**»[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[3]. فعقيدتنا باطلة، ولو كنّا موحدين حقيقة لكنّا آمَنا بأنّه لا مؤثّر في الوجود إلّا اللَّه، حينها لسنا بحاجة لنرائي النّاس...

- علامات المرائي: عن أمير المؤمنين: «**ثلاثُ علامات للمرائي: ينشط إذا رأى النّاس، ويكسل إذا كان وحدَه، ويُحبّ أن يُحمد في جميع أموره**»[4].

(1) سورة الحجر، الآية 40
(2) بحار الأنوار، المجلّد 70، ص242.
(3) سورة النساء، الآية 48.
(4) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء، ح8.

3

العُجب

عن أبي الحسن عليه السلام: **«العُجب درجات، منها أن يُزيَّن للعبد سوء عمله فيراه حسنًا فيعجبه، ويحسب أنَه يُحسن صنعًا، ومنها أن يؤمن العبدِ بربّه، فيَمُنّ على اللَّه عزَّ وجلَّ وللَّه عليه فيه المَنّ»**[1].

كما يقول العلماء: العُجب هو تعظيم العمل الصّالح، واستكثاره، والسّرور والابتهاج به، واعتبار الإنسان نفسَه غير مقصر.

⇦ أهمّ ثلاث درجات للعجب: العجب بالإيمان، العجب بالأعمال، والعجب بالصّفات الحسنة.

* مراتب العجب في الخصال الحسنة:

1. وهي أشدّ المراتب وأهلكها، بأن يمنّ في قلبه بإيمانه وإخلاصه على وليّ نعمته، ويعتبر أنّه من يحيي الدّين والشّريعة بأعماله (يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقيم مجالس العزاء...)

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب، ح3.

2. هي أن يرى المرء نفسَه محبوبًا من اللَّه، ومن المقرّبين، وعند ذكر العارفين يعتقد في قلبه أنّه من هؤلاء.

3. أن يرى المرء نفسه دائنًا للَّه، ومستحقًّا لثوابه، ويريد أن يحاسبه بعدله.

4. أن يرى المرء نفسه أفضل من النّاس، ولا يرى أعمال النّاس الحسنة تعادل شيئًا، ويعظّم عمله.

* عجب أهل الفساد بفسادهم:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[1].

يرى المرء الفاسد، السيّئ العمل، المتديّنين ضعفاء، ويهاجمهم، ويفتخر بتصرّفاته اتجاههم.

* مكائد إبليس:

إبليس لا يدعو إلى المعصية دفعة واحدة، وإنّما يتدرّج مع العبد من الصّغائر حتّى الكبائر، وفي بعض الأحيان من رحمة اللَّه علينا أنّه يبتلينا بالذّنب لكي لا نُصاب بالعجب. وأيضًا من مكائد إبليس، سوء الظّنّ، والاعتقاد بأنّنا أفضل من غيرنا.

يقول الشيخ آبادي: «**لا تعيبوا على أحد حتّى في قلوبكم، وإن كان كافرًا**

(1) سورة فاطر، الآية 8.

فلعلّ نور فطرته يهديه، ويقودكم تقبيحكم ولومكم هذا إلى سوء العاقبة» و«لا تلعنوا الكفّار الّذين لا يُعلَم بأنّهم رحلوا عن هذا العالم وهم في حال الكفر، فلعلّهم اهتدوا في أثناء الرّحيل، فتصبح روحانيّتهم مانعًا لرُقيّكم».

* مفاسد العجب:

عن الإمام عليّ عليه السلام: «**مَن دَخَله العجب هلك**»[(1)]، وعن الإمام الصّادق عليه السلام إنّ الشّيطان يقول: «**إذا ظفرتُ بابن آدم في ثلاث، فلا يهُمّني عمله بعد ذلك، لأنّه لن يُقبل منه: إذا استكثرَ عمله، ونسي ذنبه، وتسرّب إليه العجب**»[(2)].

وكما ورد في الحديث القدسيّ: «**يا داوود، بشِّر المذنبين، وأنذر الصّدِّيقين. قال وكيف... قال اللّه تعالى: يا داوود، بِشّر المذنبين أنّي أقبل التّوبة، وأعفو عن الذّنب وأنذر الصّدّيقين ألّا يُعجبوا بأعمالهم فإنّه ليس عبدٌ أنصِبُهُ للحِساب إلّا هلَكَ**»[(3)].

* من المفاسد:

1 - استصغار المعاصي.

2 - إتّكال الإنسان واعتماده على نفسه دون التوكّل على اللّه والاعتماد عليه.

3 - نظر المرء باحتقار لعباد اللّه بأنّ أعمالهم لا تساوي شيئًا ولو كانت أفضلَ من أعماله.

---

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 1، الباب 3،ح18.

(2) خصال الصدوق، باب 3، ح86.

(3) خصال الصدوق، باب 3، ح86.

4 - يندفع الإنسان إلى الرّياء، لأنّه يرى نفسه كاملًا.

العارف الحقيقي للَّه يعلم أنّه «**الممكن**» الضّعيف، ولو قضى حياته كلّها بالعبادة والطّاعة والتّحميد لما أدّى شكر نعم اللَّه، كيف هذا، ويقول أعظم رجل هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما عرفناك حقّ معرفتك، وما عبدناك حقّ عبادتك**»[1]!

* حبّ النّفس أساس العُجب

من يُحبّ نفسه يُعجب بأعماله القذرة، ويحقّر غيره، ويرى نفسه من الصّالحين، ويشعر بأنّ الحقّ مدين له!

سؤال: إذا كانت أعمالنا العباديّة بلا ثواب ولا توجب دخول الجنّة، ولا نجازى عليها مثل العاصي، هل كنّا من العابدين أم العاصين؟

⇦ أيّ دين للَّه، ونحن نعبده من أجل الحور العين، والأكل، والجنان! هذا ليس تقرّبًا للَّه، ونحن هنا كاذبون! في عبادات كهذه نستحقّ العذاب، وهذه العبادة عند الأولياء هي من الكبائر! كيف نقول: وجّهت وجهي لفاطر السّماوات.. وأنّ صلاتي هي للَّه رب العالمين... ونقول في سورة الفاتحة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾... فهل نحن صادقون في ما نقول؟ ونقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، فيما نعبد البطن والفرج والحور العين!

(1) مرآة العقول، ج8، ص146، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح8.

4

الكِبر

عن حكيم، قال: «**سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن أدنَى الإلحَاد، فَقَال: الكِبرُ أدْناهُ**»[1].

الكِبر هي حالة نفسيّة تجعلُ الإنسان يترفّع ويتعالى على الآخرين، وينتابه شعور آخر هو تصوّر التّفوّق والتّقدّم.

* درجات التّكبّر:

1 - التّكبّر على اللَّه تعالى.

2 - التّكبّر على الأنبياء عليهم السلام.

3 - التّكبّر على العبادات.

4 - التّكبّر على عباد اللَّه.

* أسباب التّكبّر:

ينتج التكبّر عن العجب، وحبّ الذّات، وتصوّره للكمال، فيرى المرء غيره

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر، ح1.

أدنى منه، كالتّكبّر بين العلماء، والأشخاص، وأيضًا العرفاء الّذين يستحقرون العلماء، والأغنياء الّذين يستحقرون الفقراء...

والحسد أيضًا هو مدخل للتّكبر، فالإنسان الّذي يفتقر إلى كمال موجود في غيره يندفع إلى أن يحسده، ثمّ يصيرُ سببًا للتّكبّر عليه، ويسعى جاهِدًا لإذلاله وإهانته.

*** مفاسد الكبر:**

- عدم احترام النّاس لك؛ لأنّ التّواضع يوجِب احترام النّاس لك وارتفاعك في أعينهم، هذا على مستوى الدّنيا، وفي الآخرة تكون من الخاسرين الّذين يذهبون إلى سقر...

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إيّاكم والعظمة والكبر، فإنّ الكبر رداء اللّه عزَّ وجلّ، فمن نازع اللّه رداءه قَصَمَهُ اللّه، وأذلّهُ يوم القيامة**»[1].

وعنه عليه السلام: «**إنّ في جهنّم لواديًا للمتكبّرين يقال له: سقر، شكى إلى اللّه عزَّ وجلَّ شدّة حرّه، وسأله أن يأذن له بأن يتنفّس، فتنفّس فأحرق جهنّم**»[2].

فكيف بأجسادنا، التي تحرقها النّار الدّنيويّة الباردة!

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 11، أبواب جهاد النفس، باب تحريم الكبر، ح9.
(2) وسائل الشيعة، المجلّد 11، أبواب جهاد النفس، باب تحريم الكبر، ح6.

*** عوامل الكبر:**

قلّة العقل، ضَعف القابليّة والضِّعة وقلّة الصّبر...

يزعم بعض المتعلّمين أنّهم إذا حفظوا بعض المصطلحات العلميّة أو الدينيّة، فإنّهم يصبحون أعلى مقامًا وشأنًا منهم، فيتكبرون عليهم. وإذا كانت هذه الخصلة في العمل الدّيني أصبحنا أسوأ ممّن يتعلّم العلوم الطّبيعيّة... لأنّ ذاك علمه قد فاده، ولكنّ علمنا -نحن علماء الدين- المختلط بالكبر والعجب سوف يدمّرنا.

*** العلاج:**

من أين أتينا؟

أصل الإنسان نطفة قذرة موضعها مكان النّجاسات، إذًا لماذا هذا التّكبّر؟ فلننظر إلى النّبيّ محمّد ﷺ والإمام عليّ عليه السلام هما من يحلو لهما التّكبّر لعظمتهما ورئاستهما... ونحن الجاهلون نتكبّر؟ ونلعن الشّيطان؟ ألا يجب أن نلعن أنفسنا؛ لأنّنا مثله؟ فهو الّذي تكبّر على أبينا آدم، ولعلّه يريد أن يوقعنا مثله... وهو القائل يوم القيامة: «**يابن آدم، ألم يخبرك الأنبياء بأنّ التّكبّر على أبيك قد طردني من حضرة الحقّ؟ لقد نزلتْ عليّ لعنة اللَّه؛ لأنّي احتقرتُ مقام آدم، واستعظمت مقامي، فلماذا أوقَعَتك نفسك في هذه الرّذيلة؟**».

5 الحَسد

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: قال اللَّه عزّ وجلّ لموسى بن عمران: «**يا ابن عمران، لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدنّ عينيك الى ذلك، ولا تتّبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخطٌ لنعمي، صادٌّ لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك، فلست منه وليس مني**»[1].

* الفرقُ بين الحسد والغِبطة:

- الحسد هي حالة نفسيّة يتمنّى صاحبها سلبَ الكمال والنّعمة اللّتين يتصورّهما عند الآخرين.
- الغبطة هي إرادة الإنسان لنفسه النّعمة الّتي توجد لدى غيره من دون أن يتمنّى زوالَها عن الغير.

* أسبابُ الحسد:

1 - التّعزّز (بسبب عزّة نفسِه، يحسُد من يراه، لأنّه يراه أفضل منه).

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الايمان والكفر، باب الحسد، ح 6.

2 - **العداوة.**

3 - **الكبر.**

4 - **الخوف** (المزاحمة).

5 - **حبّ الرّئاسة.**

6 - **خبث الطّينة** (خيره للعباد قليل).

7 - **التّعجّب** (أن يتعجّب من فوز الآخرين بنعم معيّنة...).

* مفاسد الحسد:

عن أبي عبد اللّه عليه السلام: «**آفة الدِّين الحَسَد والعْجب والفخر**»[1].

عن أبي جعفر عليه السلام: «**إنّ الحسد ليأكلُ الإيمان كما تأكل النّار الحطب**»[2].

- فالحسد يُصيب القلب بالحزن، والكدر، والاختناق، والضّيق، والغضب، فتميت هذه الآفة قلبَ الإنسان، وتوقعه في حبّ الدّنيا، وهو سخط الحسود على الحقّ؛ لأنّه لم يرضَ بقضائه.
- حسدُك لن يزيل نعَم المحسود، بل يستفيد منك دنيويًّا وأخرويًّا، وأنت تتعذّب، والنّبتة إذا تجذّرت في الأرض يصعب اقتلاعها من الجذور، فعلينا أن نداوي أنفسنا من المفاسد الأخلاقيّة قبل أن تنتشر في الجسد... الحسد هو طعن بعدالة اللّه.

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الحسد، ح5.

(2) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الحسد، ح1.

*** العلاج من الحسد:**

العمل لخلاف النّفس تجاه المحسود، ويجب التّرحّم عليه، واحترامه، وعرض أعماله الصّالحة. وصحيح أنّ هذا السلوك يكون صعبًا في البداية، ولكن ستكون هذه بداية للخلاص، وسيصبح هذا السلوك أسهل مع تكراره.

6
الدّنيا والآخرة

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام: «**مَن أصبح وأمسى والدّنيا أكبر همّه، جعل اللَّه الفقر بين عينيه، وشتّت أمره، ولم ينل من الدّنيا إلّا ما قُسِمَ له، ومَن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه، جعل اللَّه الغِنَى في قلبه، وجمع له أمره**»[1].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**رأس كلّ خطيئة حبُّ الدّنيا**»[2].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الدّنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فَهِمَ عنها، ودار غنى لِمَن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتّعظ بها، مسجد أحبّاء اللَّه، ومصلّى ملائكة اللَّه، ومهبط وحي اللَّه، ومَتجَرُ أولياء اللَّه، اكتسبوا فيها الرّحمة، وربحوا فيها الجنّة**»[3].

- الدنيا دنياءان: دنيا ممدوحة، وهي الدّنيا الّتي توصلك للَّه تعالى وتقرّبك منه، ودّنيا مذمومة، وهي الّتي تبعدك عنه تعالى.

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب حب الدنيا، ح15.
(2) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب حب الدنيا، ح1.
(3) نهج البلاغة، الحكمة 131.

*** سبب حبّ الدّنيا:**

إنّ الدّنيا دار فناء، والآخرة دار بقاء؛ ولأنّنا لم نؤمن في قلوبنا بعد، نتمسّك بالدنيا، ونكره الموت...

عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**واللَّه، لابنُ أبي طالب آنس بالموت من الطّفل بثدي أمّه**»[1].

- كلّما تلذّذ الإنسان في الدّنيا كلّما تعلّق بها أكثر، وكلّما عصى اللَّه أكثر؛ لأنّها رأس كلّ بليّة ومعصية...

عن أبي عبد اللَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**مَثَلُ الدّنيا كمثلِ ماء البحر، كلّما شرِب منه العطشان ازداد عطشًا حتّى يقتله**»[2].

*** مفاسد حبّ الدّنيا:**

1. السّخط على وليّ النّعمة.
2. طول الوقت في البرزخ وضيق القبر.
3. الخوف من الموت.
4. الشّعور بالمشقّة والعناء للعبادات (ولذلك الملائكة الّذين لا يعصون اللَّه لا يشعرون بالعناء والمشقّة في العبادة).

(1) نهج البلاغة، الخطبة 5.
(2) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب ذمّ الدنيا، ح54.

يجب علينا أخذ قرار بالعزم والإرادة للتّعبّد. ولو شعرنا بالعناء في أوّل الطّريق، فسوف نرتاح بعدها، كالعادة، ونشعر باللّذّة، وبعدها تسقط الدّنيا والآخرة من أعيننا، ولا نعرف سوى اللَّه في قلوبنا.

*** حبّ الكمال:**

الإنسان بفطرته يحبّ الكمال، فمن البشر مَن يجد الكمال في الدّنيا أو الآخرة أو في جمال الحقّ...

فمن يرى الكمال في الدّنيا عندما يصل لمراده، يطمح للأعلى، مثلما يصل لرّئاسة بلد فسوف يسعى لرئاسة الأرض، ومن ثمّ يسعى لرئاسة ما هو خارج الكون... ومنهم من يرى الكمال في الآخرة، فتهون عليه المصائب، ولا يلتفت للدّنيا، وهمُّه الآخرة... والدّرجة العليا من بحث عنها وجدَها في جمال الحقّ، لا في الدّنيا، ولا في الآخرة، بل في المحبوب المطلق...

7

الغَضب

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام: **«الغضب مفتاح كلّ شرّ»**[1].

وعنه عليه السلام: **«الغضب يُفسد الإيمان كما يفسد الخلّ العسل»**[2].

الغضب هو حركة تُحدث في دم القلب غليانًا، ممّا يساعد في تأجّج نار الغضب، فيُصبح الدّماغ مضطربًا، فيعمى الإنسان عن الرّشد، ويصمّ عن الموعظة، بل تصبح سببًا لزيادة الغضب، كالكهف الّذي يحترق فيصعب إطفاؤه، ويُطفئ نور الإيمان في القلب.

- يجب أن يكون الغضب معتدلًا؛ لأنّه نعمة وغريزة وضعها اللَّه بهدف الوصول للكمال (الدّفاع عن العرض، وحسم الأمور، كما لو كان الغضب للحقّ تعالى، فإنّه ممدوح، فلا يجب الإفراط فيه ولا النقص ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾[3].

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح3.

(2) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح1.

(3) سورة الفتح، الآية 29.

- الغضب يورث غضب اللَّه ولا توجد نارٌ أشدّ من غضب اللَّه... «**قال الحواريّون لعيسى: أيّ الأشياء أشدّ؟ قال: أشدّ الأشياء غضب اللَّه عزَّ وجلَّ، قالوا: بم نتّقي غضب اللَّه؟ قال بأن لا تغضبوا...**[1]».

فالغضب قد يُخسرك الدّنيا والآخرة...

- عند الإفراط في الغضب، نصل إلى مكان نكون فيه أقلّ من الحيوانات، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾[2]، وتوصف قلوبنا: ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾[3]

*** علاج الغضب المشتعل:**

إذا كان العبد واقفًا فليجلس، والعكس صحيح، وإن لم ينفع، يجب الإتيان بشخص يهابه ويخشاه أو يكون أقوى منه؛ لأنّ الإنسان في حال الغضب يظنّ نفسه أقوى من غيره...

عن إمامنا الباقر عليه السلام: «**إنّ هذا الغضب جمرة من الشّيطان تُوقد في قلب ابن آدم، وإنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه، وانتفخت أوداجه، ودخل الشّيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه، فليلزم الأرض، فإنّ رجز الشّيطان يذهب عنه عند ذلك**»[4].

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 11، أبواب جهاد النفس، ص289.
(2) سورة الأعراف، الآية 179.
(3) سورة البقرة، الآية 74.
(4) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح12.

7. الغَضب

- علاج الغضب يكون باقتلاعه من جذوره؛ أي اقتلاع ما يسبّبه، وهو حب الدّنيا... وفي الحقيقة، إنّ الغضب هو نتيجة ضعف النّفس وقلّة الإيمان... أما الشّجاعة، فهي أن يعرف المرء كيف يُحكِم عقله حسب الشّرع، ويعرف متى يغضب، ومتى ينتقم، وممّن....

8

العَصَبيّة

عن رّسول اللَّه ﷺ: **«مَن كان في قلبه حبّة من خردل من عصبيّة، بعثه اللَّه يوم القيامة مع أعراب الجاهليّة»**[1].

- إنّ العصبية هي طبع مَن يعين ويحامي عن عصبته بغير حقّ (أقارب، ومن يرتبط بهم دينيًّا، عمليًّا، أبناء الوطن).

عن الإمام عليّ عليه السلام: **«إن اللَّه سبحانه يعذّب طوائف ستّة بأمور ستّة: أهل البوادي بالعصبيّة، وأهل القرى بالكبر، والأمراء بالظلم، والفقهاء بالحسد، والتّجّار بالخيانة، وأهل الرساتيق[*] بالجهل»**[2].

* مفاسد العصبيّة:

في الحديث عن إمامنا الصّادق عليه السلام: **«من تعَصّب أو تُعُصِّب لهُ فقد**

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب العصبية، ح3.

(2) خصال الشيخ الصدوق، ج1، باب الستّة، حديث 14، ص325.

(*) أهل الرساتيق: أهل البيوت المجتمعة وأماكن الزرع (النخل وغيرها) لعلّ ذم أهل الرساتيق كان لغشّهم أو غيبتهم أو تلاعبهم بحقوق الناس... وكلّ ذلك سببه الجهالة.

خُلِعَ رِبقُ الإيمان من عُنقِه»[1]، وعنه أيضًا: «**مَن تعصَّب عصبّه اللَّه بعصابة من النّار»**[2].

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**الراضي بفعل قوم كالدَّاخل فيه معهم، وعلى كلّ داخل في باطل إثمان، إثمُ العمل به، وإثم الرّضا به»**[3].

- المؤمن الحقيقيّ لا يهمّه التّعصّب، وإنّما يحكّم بالعقل والشّرع، ويلتزم بالقواعد الدّينيّة، ويمشي خلف الحقّ رضاءً لوليّ نعمته.
- إذًا، فالعصبيّة هي من المهلكات والباعثة على سوء العاقبة والخروج من عصمة الإيمان.
- إذا كان النّبيّ وآله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يتضرّعون إلى اللَّه، ويبكون في محضره، وتتغيّر ألوانهم في الصّلاة، فنحن على ماذا نعتمد؟ ولما نحن مطمئّنون ونؤجّل توبتنا وهذا إبليس يذكّرنا برحمة اللَّه والشّفاعة فنعصي اللَّه أكثر.
- عصبيّة أهل العلم هي الأخطر، عندما نتعصّب لشيخ أو نعاند في مسألة علميّة على غير حقّ، فيجب على العلماء أن يكونوا القدوة، فإنّ فساد العالم يؤدّي إلى فَساد الأمّة.

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب العصبية، ح2.
(2) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب العصبية، ح4.
(3) نهج البلاغة، قصار الحكم - 154.

9

النّفاق

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**من لَقي المسلمين بوجهَين ولسانَين، جاء يوم القيامة وله لسانانِ من نار**»[1].

* تعريف النفاق

النفاق في المصطلح الإسلامي فَيُطلقُ على إظهار الإسلام قولًا وعملًا، وإضمار الكفر، ومَنْ يكون هذا حاله يُقالُ له «**منافق**». والمنافق رأسماله الكذب والخديعة، فيتظاهر بالإيمان والعمل الصالح، ليتستَّر بالإسلام على كفره ليأمَن من بطش المسلمين، وليدفع الخَطَر عن نفسه، ويكون المنافق في الغالب مرتبكًا وخائفًا من الفضيحة.

* قسميْ النفاق

- **نفاق عمليّ:** لقاء المسلمين بوجهَين يُظهر أنّه من أهل المودّة والمحبّة لهم، وهو في الباطن بخلاف ذلك.

- **نفاق قوليّ:** كأن يمدح المسلم في وجهه، وفي غيبته يكذّبه ويغتابه.

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب ذي اللسانين، ج1.

* مفاسد النّفاق:

إنّ النّفاق يوصِل إلى الفتنة، وهي ﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[1]، ويوقعك في النّميمة والاستغابة التي هي: «**أشدّ من الزّنا**»[2]، والغمز واللّمز والكنايات الّتي تطلق على بعض... (الغمز هو الاستغابة بالأعراض)، (اللّمز استغابة بالعينين أو الحاجَبين).

* معالجة النّفاق:

1 - التّفكير في المفاسد دنيويًّا: إنّه سيفتضح ويُطرَد من مجالس النّاس، ويسقط من أعيُنهم.

1 - التّفكير أخرويًّا: أنّه سيفتضح أمام الجميع، ويكون له لسانان من نار، أو وجهان قبيحان.

3 - المراقبة الدّائمة للنّفس، وبدء إصلاحها، وطلب التّسديد من اللّه تعالى.

* أقسام النّفاق: (هل يتّفق ظاهرنا مع باطننا)؟

- يا من تدّعي الإسلام: قال الرّسول ﷺ: «**المسلم من سَلم المسلمون من يده ولسانه**»[3]، إنّ كنّا كذلك فهنيئًا لنا، وإنّ لم نكن... فلماذا نؤذي غيرنا، ونستغيبه، ونهوّن به ونلصق به التّهم؟ فادّعاؤنا مخالف للحقيقة، **وإنّنا من زمرة المنافقين.**

(1) سورة البقرة، الآية 191.
(2) وسائل الشيعة، المجلّد 8، باب 152، من أبواب أحكام العشرة، ح9.
(3) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته، ح12.

- يا من تدَّعي الإيمان، وخضوع القلب في حضرة اللَّه، وتؤمن بالتّوحيد... لماذا يخضع قلبك لأهل الدّنيا، وترى لهم تأثيرًا، وإرادتهم هي النّافذة، والمال والقوّة هما الطّاقة، وتغفل عن المؤثّر الحقيقيّ؟ **إذًا، نحن منافقون.**

- يا من تدّعي الزّهد والإخلاص، إذا كنت كذلك... فلماذا تفرح بمدح النّاس؟ ولماذا لا تجالس الفقراء، وتجلس مع أهل الدنيا؟ فاعلم أَنَّك لستَ مخلصًا للّه، ولست زاهدًا، **وأنت في زمرة المنافقين.**

- يا من تدّعي الولاية من جانب وليّ اللّه، يجب أن تكون صفاتك كما في النّصّ: «**صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه، مخالفًا لهواه، مطيعًا لأمر مولاه**»[1] إن كنت كذلك...، فإنّك مطابق للادّعاء، وإن كنت غير ذلك، **فأنت في زمرة المنافقين.**

- يا من تدّعي امتلاك الحكمة الإلهيّة، إن كنت حقًّا كذلك فعليك أن تصرف وقتك كلّه في إعمار عالم البقاء، وتطبّق على نفسك، وإلّا **فأنت في زمرة المنافقين.**

- يا من تدّعي المحبّة والسّلوك والفناء، إن كنتَ حقًّا من أهل اللَّه فهنيئًا... ولكن (**إنّ أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري**)[2]، فلماذا تظهر للنّاس مدى مقامك، وتلفت قلوبهم؟ **فأنت إذًا في زمرة المنافقين!**

(1) الإحتياج، المجلّد الثاني، ص458.
(2) إحياء العلوم، المجلّد 4، ص256.

10

اتّباعُ الهوى وطولُ الأمل

عن الأمير عليه السلام: «**إنّما أخاف عليكم اثنتين: اتّباع الهوى وطول الأمل، أمّا اتّباع الهوى، فإنّه يصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة**»[1].

- ميزان البُعد عن الحقّ هو اتّباع هوى النّفس، إذ كلّ خطوة يخطوها الإنسان في اتّباع هوى النّفس يكون قد منع نفسه عن الحقّ، وابتعد عن نور الكمال، وبعكس ذلك، كلّما خطا خطوة لمخالفة هوى نفسِه، يكون قد أزاح الحجاب، وتجلّى نور الحقّ في مملكة الباطن.

* ذمّ اتّباع الهوى

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[2].

﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[3].

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب إتباع الهوى، ح3.
(2) سورة ص 26.
(3) سورة هود، الآية: 112.

وكما في الحديث عن النّبيّ ﷺ: «**شيّبتني سورة هود**»[1]، إذ هو ﷺ، لعلّه يعلم أنّ من أمّته أناس لن يستقيموا أمّا فهو ضامن نفسه.

قال الرسول ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي، وَعَظَمَتِي وَكِبْرِيائِي، وَنُورِي وَعُلُوّي، وَارْتِفَاعِ مَكَانِي، لا يُؤْثِرُ عَبْدٌ هواه على هواي إلاّ شَتَّتُّ عليه أَمْرَهُ، وَلَبَّسْتُ عليه دنياه، وَشَغَلْتُ قَلْبَهُ بِهَا وَلَمْ أوته منها إلاّ ما قدَّرْتُ لَهُ وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَعَظَمَتِي وَنُورِي وَعُلُوّي وَارْتِفَاعِ مَكَانِي لا يُؤْثِرُ عَبْدٌ هواي عَلَى هواه إلاّ اسْتَحْفَظَتْهُ مَلائكَتِي، وَكَفَّلْتُ السَّمَوَاتِ والأرضين رِزْقَهُ، وَكُنْتُ لَهُ مِن وَرَاءِ تِجارةِ كُلِّ تَاجِرٍ وَأَتَتْهُ الدّنيا وهي راغِمَةٌ**»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وإنَّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتّباع الهوى وطول الأمل**»[3].

- إن كنّا نحب اللَّه والرّسول والأمير وأولاده الطاهرين عليهم السلام فيجب علينا أن نزيل عن قلوبهم القلق والاضطراب، ونحن إن لم نستقم لم نظلم أنفسنا فقط، بل نظلم الرّسول ﷺ ووصيه [**وقد قال النبي ﷺ: أنا وعليّ أبوا هذه الأمة**][4]، أعمالك القبيحة أمام والديك ألا يخجل أهلك أمام الناس؟ فإنّ النّبيّ وآله يخجلون من

(1) تفسير الميزان، المجلّد 12، ص66.
(2) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب إتباع الهوى، ح2.
(3) نهج البلاغة، خطبة 42.
(4) بحار الأنوار، ج36.

اللَّه في يوم القيامة بسبب أعمالنا، فقد ضحّوا بكلّ وجودهم من أجل هدايتنا! ألا نكون قد ظلمناهم أيضًا.

*** طول الأمل:**

- هو أن يظنّ الإنسان أنّ في الوقت متّسعًا للبدء بالسّير، فينسى الآخرة، ويبدأ بالتّسويف، وحين يأتي موعد السّفر وهو لم يُحضر زادَه، تصيبه التّعاسة، ويتعذّب خلال سفره.

- المشكلة هي أنّ رحلتنا لا موعد لها، ويحين موعدها بغتة، ولا وقت لتحضير الزّاد، وأعظم خلق اللَّه ورمت قدماه من العبادة ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[1]، لأنّه كان يعلم أنّ طريق الرّحيل شاقّ وطويل... (وهذا ما لا تحتمله السّماوات والأرض)[*].

(1) سورة طه، الآيتان 1 - 2.

(*) وقد وَرَد في دعاء كميل بن زياد: وَهُوَ بَلاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ وَيَدُومُ مَقامُهُ وَلا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ لأنَّهُ لا يَكُونُ إلاّ عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقامِكَ وَسَخَطِكَ؟! وَهذا ما لا تَقُومُ لَهُ السَّماواتُ وَالارْضُ.

11

الفطرة

سُئلَ أبو عبد اللَّه عن قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾[1]، قال: «**فطرهم جميعًا على التّوحيد**»[2].

وكما في الحديث عن الرّسول ﷺ: «**كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه**»[3].

أنواع الفطرة الإلهيّة: (وضعها الحقّ تعالى للوصول إليه).

1 - الفطرة الّتي تعشق الكمال:

كلّ مخلوق يحب الكمال، ويرى معشوقَه فيه، مثلًا من يسعَ للكرسيّ ويصل للرّئاسة في بلد، يسعَ بعدها ليحكم بلدًا آخر، ومن بعدها ليحكم الكرة الأرضيّة... وكلّما رأى شيئًا أفضل يترك القديم... فهل يوجد أكمل وأجمل من اللَّه عزَّ وجلَّ لتحبّه، الدّائم والأزليّ! فلماذا نرى الكمال في النّاقص ولنا محبوبٌ لا يزول، ومعشوقٌ لا نقص فيه!

---

(1) سورة الرّوم، الآية 30.

(2) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب فطرة الخلق على التوحيد، ح3.

(3) أمالي المرتضى، 2/4 والوسائل 125/15 ح 20130.

2 - النُّفور من النّقص:

كلُّ كثير ومركَّب ومحدود هو ناقص، وكلّ ناقص مرغوب عنه، وليس مرغوبًا فيه... ولذلك، لا يمكن إلّا التّعلّق بالحقّ؛ لأنّه غير ناقص.

3 - المعاد الفطريّ:

الإنسان في فطرتِه يحبّ الرّاحة... وواهِمٌ من يرى الرّاحة في الدّنيا، فليست راحة الدّنيا بالرّاحة الحقيقيّة. إنّ الرّحة الحقيقيّة والأبديّة هي في «**دار نعيم اللَّه**»، في الخلد والجنان...

12 التَّفكُّر

كان الأمير عليه السلام يقول: «**نبِّه بالتّفكّر قلبك، وجاف عن اللّيل جنبك، واتّق اللَّه ربّك**»[1].

- وفي الحديث عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**أفضل العبادة إدمان التّفكّر في اللَّه، وفي قدرته**»[2]، وفي حديث عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ تفكّر ساعة خيرٌ مِن عبادة سَنَة**»[3]، وفي حديث غيره: «**إنّ تفكّر ساعة خير من عبادة ستّين سنة**»[4] وفي رواية: «**سبعين سنة**»[5]، وعن بعض علماء الفقه والحديث «**ألف سنة**» ولكن أيّ نوع تفكّر هذا؟

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب التفكر، ح1.
(2) تفسير نور الثّقلين 40/1، ح 42، والكافي 55/2 ح 3.
(3) عوالي اللئالي، ج2، المسلك الرابع، ح152، ص57.
(4) قال الطريحي في مجمع البيان، في كلمة الفكر.
(5) أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة، ص207.

- عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «**تكلّموا في خلق اللَّه، ولا تتكلّموا في اللَّه، فإنّ الكلام في اللَّه لا يزداد صاحبه إلّا تحيّرًا**» [1]، «**إيّاكم والتّفكّر في اللَّه، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته، فانظروا إلى عظيم خلقه**»[2].

وأيضًا، في حديث آخر: «**مَن نظر في اللَّه كيف هو، هلك**»[3].

* أبواب التّفكّر:

1 - التّفكّر في المصنوع:

اذا زعمت أنّ حبَات السُبحة انتظمت تلقائيًّا لاستُهزئ بك، ولأخرجوك من زمرة العقلاء، واتّهموك بالجنون! فما حكم من يظنّ أنّ هذا الكون، وتنظيمه، ومجرّاته، وخلق الإنسان والدّقّة فيه إنما يدلّ على عظمة الخالق وحكمه ودقّته.

2 - التّفكّر في أحوال النّفس:

علميًّا، عند الوصول إلى سنّ الخامسة والثّلاثين، تبدأ جميع أعضاء الجسم، وعلى رأسها العقل، بالانحدار والانحطاط والضّعف والنّقصان، ولكنّ القوّة الرّوحية والإدراكات العقليّة تزداد كمالًا ورقيًّا وتسديدًا.. وهذا يدلّ على اتّصالهما ببعض، وليس موضوع خبرة وتدريب.

(1) التّوحيد للصّدوق 454ح1 باب 68، والكافي 92/1 ح1.
(2) الكافي 93/1 ح 7، والوسائل 195/16 ح21328.
(3) الكافي 93/1 ح 5، والوسائل 195/16 ح21328.

* فضيلة صلاة اللّيل:

وَرَد في حديث الإمام علي عليه السلام : «**وجاف عن الليل جنبكَ**».

- **أحاديث فضل صلاة اللّيل**

من أهمّ ما يُمكن للعبد أن يفعلَه للتّقرّب إلى اللَّه تعالى هي صلاة اللّيل.

فعن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله لعَليٍّ عليه السلام : «**يا عَليُّ! أوصيك في نَفْسكَ بخصالٍ فاحفظها عنّي، ثُمّ قالَ: اللهمّ أعِنْهُ... وعليك بِصَلاة اللّيل، وعليك بِصَلاة اللّيل، وعليك بِصَلاةِ اللّيل**»[1].

قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لجَبْرَئيل عليه السلام : «**عِظْنِي، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإنَّكَ مَيِّتٌ، وأحْبِبْ ما شِئْتَ فَإنَّكَ مُفارِقُهُ، وَاعْمَلْ ما شِئْتَ فَإنَّكَ مُلاقيهِ**[2]، **وَاعْلَمْ أنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ قِيامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ كَفُّهُ الأَذَى عَنْ أَعْراضِ النَّاسِ**»[3].

* التّقوى:

في حديث الإمام علي عليه السلام : وَرَد: «**واتّق اللَّه ربّك**».

هي الوقاية للنّفس بفعل الواجب وترك الحرام، حتّى تصبح ملكة عند الإنسان.

(1) روضة الكافي، ص79، ح33.
(2) وسائل الشيعة، المجلّد 5، باب 39، ح3.
(3) وسائل الشيعة، المجلّد 5، باب 39، ح29.

الذي يهتم في صحّة نفسه، عليه:

1 - الإتيان بما يصلحها ويجعلها سليمة.

2 - الامتناع عن كلّ ما يضرّها ويؤلِمها.

فلا يوجد ضَرر أكثر من المحرّمات، ولا يوجد نفع أكثر من الواجبات، ولولا ذلك لما أوجبها وحرّمها الّذي يعلم المصلحة ويحبّنا أن نصل إلى الكمال...

إذاً، يجب ترك المحرّمات، والإتيان بالواجبات، وإن كان الأمر صعبًا وشاقًّا في البداية، ولكن بعدها تتبدّل العبادة إلى لذّة روحيّة...

13

التَوَكُّل

سُئل الإمام الكاظم عليه السلام عن آية: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾[1] فقال: «**التّوكّل على اللَّه درجات، منها أن تتوكّل على اللَّه في أمورك كلّها، فما فعل بك كنت عنه راضيًا، تعلم أنّه لا يألوك خيرًا وفضلًا، وتعلم أنّ الحكم في ذلك له، فتوكّل على اللَّه بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها**»[2].

التَوكّل في اللّغة هو إظهار العجز والاعتماد، ولو كنت قادرًا بنفسك لفعلت، والتّوكّل غير التّفويض وكلمة «**يألو**» يعني «**يمنع**»...

* درجات التّوكّل:

يمكن تقسيم التوكّل إلى ثلاث درجات أساسيّة، ولدينا أيضًا ثلاث فرق من النّاس، فمنهم مَن:

1 - يتوكّل بلَقلقة اللّسان، وهذا لديه مشكلة عقائديّة، فَهُو لم يعلم من هو اللَّه...

---

(1) سورة الطّلاق، الآية 3.

(2) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب التفويض إلى اللَّه والتوكل عليه، ح5.

2 - اقتنع بالعقل وجوب التوكّل على اللَّه لا على العباد، وأثبتَ أركان التّوكّل:

~ إنّ الحق تعالى عالم بحاجات العباد.

~ إنّه قادر على تلبية الحاجات كلّها.

~إنّه ليس في ساحته المقدّسة أيُّ بخل.

~إنّه رحيم بالعباد ورؤوف بهم.

3 - حين يكتب المرء بالعقل على صفحة القلب أركان التّوكّل، ويعلم أنّ اللَّه هو الحقّ تعالى والسّلطان، ومالك كلّ شيء.

*** الفرق بين التوكّل والرّضا:**

مقام الرّضا أسمى وأرفع من التّوكّل؛ إذ المتوكّل يطلب الخير والصّلاح لنفسه، أمّا الرّاضي فيفني إرادته في إرادة اللَّه، فلا يختار لنفسه شيئًا...

- من مدرسة أهل السّلوك: **أريد أن لا أريد...**

*** الفرق بين التّفويض والتّوكّل والثّقة:**

التّفويض أعلى من التّوكّل، وهو أن لا يرى العبد لنفسه حَولًا ولا قوّة، ولا يجد له تصرّفًا في شيء، ويرى الحقّ تعالى هو المتصرّف في الأمور كلّها، فالتّوكّل فرع من التّفويض، ولا يمكن نيل مقام التّوكل والتّفويض والرّضا إلّا بالثّقة بالحقّ تعالى.

14 الخَوف والرّجاء

سُئل أبو عبد اللَّه عليه السلام: «**ما كان في وصيّة لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف اللَّه عزَّ وجلَّ خيفةً لو جئته ببرّ الثّقلين لعذّبك، وارجُ اللَّه رجاء لو جئته بذنوب الثّقلين لرحمك...**».

ثمّ قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: «**كان أبي يقول: إنّه ليس من عبدٍ مؤمنٍ إلَّا وفي قلبه نورانِ نورُ خيفة ونورُ رجاءٍ، لو وُزِن هذا لَم يَزِد على هذا. ولو وُزِن هذا لَم يَزِد على هذا**»(1).

يدلّ الحديث على أنّه لا يجوز أن نقنط من رحمة اللَّه، ولا أن نأمن من مكروه مطلقًا.

* نظرتان مهمّتان يجب أن تبقيا في الأذهان:

1 - نظرتُنا إلى نقصنا الذّاتيّ والاحتياج والفقر، بل لا يوجد تعابير لوصف نقصنا، عندها ما علينا إلّا أن نطأطئ رؤوسنا خجلًا وذلًّا وخوفًا أمام الحَقّ، فالمحامد كلّها تعود إليه.

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء، ح1.

2 - نظرتنا إلى كمال اللَّه، وبسط رحمته ولطفه وعنايته، ونعمه المبتدأة الّتي لا يسبقها سؤال.

ونتوجّه إلى حضرته بالدّعاء: **إلهي! نحن الفقراء، وأنت سابغ النّعم، ونحن على أعتاب سلطنتك مثقلين بذنوبنا الّتي لا تُنقص من خزائن رحمتك، فماذا أنت صانع بقبضةٍ من تراب لا تساوي شيئًا عند أعتاب عظمتك!**

*** قصور الإنسان:**

- الثّناء على شخص يكونُ بمقدار معرفتنا به، فكيف بالحقّ تعالى ماذا نعرف عنه؟ فمهما فعلنا لن نستطيع أن نؤدّي الشّكر له أو عبادته حقّ عبادته؛ ولذلك من كرمه، أنّه فتح لنا باب العبادة والعبوديّة، وعلّمنا كيف نعبد لكي نحصّل بعض الكمال (**ما عبدناك حقّ عبادتك، وما عرفناك حقّ معرفتك**)[1]؛ ولذلك لا نستطيع أن نتّكِل على أعمالنا للنّجاة، وإنّما على رحمته، وهو الّذي يبسط رحمته في يوم القيامة بصورة يطمع فيها حتّى الشّيطان بالمغفرة منه....
- **ربّي! إنّ أيدينا عن كلّ شيء قاصرة، ونحن عارفون بأنّنا ناقصون وتافهون، ولا نملك ما يليق بأعتاب قدسك. كلّنا نقص وعيب، ظاهرنا وباطننا ملوّثًا بالمهالك والموبقات. فمن نحن حتّى نرجو القدرة على الثّناء عليك، فيما يعترف الوليّ من أوليائك قائلًا:**

(1) سفينة البحار، ج2، ص180 وما بعدها.

«أَفَبِلسَاني الكالّ هذَا أَشْكُرُكَ»[1] مُقرًّا بعجزه وقصوره؟ فكيف بنا نحن أهل المعصية المحجوبين عن ساحة كبريائك؟ ما عسانا نقول سوى أن نحرّك ألسنتنا قائلين: إنّ رجاءنا موكول إلى رحمتك، وإنّ أملنا وثقتنا بفضلك ومغفرتك وجودك وكرمك، كما على ألسنة أوليائك!

(1) من دعاء أبي حمزة الثمالي.

15

البلاء

عَنْ أبي عَبْد اللَّه عليه السلام قالَ: «**إنَّ في كتاب عَليٍّ عليه السلام: إنّ أشدّ النّاس بَلاءً النبيّون، ثُمَّ الوصيّون، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، وَإنَّما يُبْتَلَى المُؤْمنُ عَلى قَدر أَعْماله الحَسَنَة، فَمَنْ صَحَّ دينُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ، اشْتَدَّ بَلاؤه، وَذلكَ أنَّ اللَّهَ تَعالى لَمْ يَجْعَل الدُّنْيا ثَوابًا لمُؤْمن، وَلا عُقُوبَةً لكافر، وَمَنْ سَخُفَ دينُهُ، وَضَعُفَ عَقْلُهُ، قَلَّ بَلاؤهُ، وَإنَّ البَلاء أسْرَعُ إلَى المُؤْمنِ التَّقِيِّ منَ الْمَطَرِ إلى الأَرْض**»[1].

- والبلاء على قسمين: بلاءٌ بالفقر والأمراض... وبلاءٌ بالغنى والجاه والزّعامة.
- والبلاء هو الاختبار (أبلاه اللَّه بلاء حسنًا، وابتلاه معروفًا).
- واللَّه أعطانا من رحمته هاديًا داخليًّا (العقل)، وهاديًا خارجيًّا (الأنبياء)؛ لكي نحلّق بهذين الجناحين للوصول إلى الملكوت.

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب شدة إبتلاء المؤمن، ح29.

* فلسفة شدّة ابتلاء الأنبياء والأوصياء والمؤمنين:

- إذا سافرنا لبلدٍ، وواجهتنا المتاعب والصّعوبات فيه، ننفر منه، وأمّا البلد الّذي نرتاح فيه، فنحبُّه ونشتاقُ إليه، وهكذا الدّنيا كلّما تنّعمنا بها أحببناها أكثر، وكلّما ابتلينا وفُتنّا بها نفرنا منها وكرهناها، فنتركها ونبحث عن المكان المريح ألا وهو الجنّة؛ ولذلك سنبحث حينها عن طريق الوصول إليها. فهذا بلاء رحمة من اللَّه عزَّ وجلَّ.. وعندما نتوجّه إلى اللَّه، فلا بد من أن تشملنا ألطافه، كالأب مع أولاده المطيعين وغيره.
- وأيضًا من فوائد البلاء، أنّ للإنسان منزلة لا ينالها إلّا بالبلاء.

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إنّه ليكون للعبد منزلة عند اللَّه فما ينالها إلّا بإحدى الخصلتين: إمّا بذهاب مال، أو ببليّة في جسده**»[1]. والحسين عليه السلام له درجة لم يكن لينالها إلّا بالشّهادة.

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إن عظيم الأجر لمع عظيم البلاء، وما أحبَّ اللَّه قومًا إلّا ابتلاهم**»[2].

- في الحديث أنّ جبرائيلَ قد نزل على رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم ومعه مفاتيح خزائن الأرض، وقال له: لو اخترتَها لما هبط من درجاتك الأخرويّة، شيء أبدًا، ولكنّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم قد امتنع عن القبول تواضعًا للحقّ سبحانه، فاختار الفقر[3].

---

(1) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب شدّة إبتلاء المؤمن، ح28.

(2) المصدر نفسه.

(3) الحديث بالمعنى، انظر نصّه في الكافي 129/2 ح 8.

وهبَط مع جبرائيل ملك لم يطأ الأرض قطّ، معه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: «**يا محمّد، إنّ ربّك يقرئك السّلام ويقول: هذه مفاتيح خزائن الأرض، فإن شئت فكن نبيًّا عبدًا، وإن شئت فكن نبيًّا ملكًا، فأشار إليه جبرائيل عليه السلام أن تواضع يا محمّد، فقال: بل أكون نبيًّا عبدًا، ثمّ صعد إلى السّماء**»[1].

- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**فإذا أنا بقومٍ بين أيديهم موائد من لحم طيّب ولحم خبيث، وهم يأكلون الخبيث ويَدَعون الطّيّب، فسألت جبرئيل: مَن هؤلاء؟ فقال: الّذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال من أمّتك، قال: ثمّ مررت بأقوام لهم مشافر(*) كمشافر الإبل، يقرض اللّحم من أجسامهم، ويُلقى في أفواههم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هم الهمّازون اللّمّازون، ثمّ مررت بأقوام تُرضخ وجوههم بالصّخر، فقلت: مَن هؤلاء، يا جبرئيل؟ فقال: الّذين يتركون صلاة العشاء**»[2].

- فمن يظنّ أنّ الله ينتقم من الّذين يعصُونه في الدّنيا، فهو مُخطئ، وهذا بخلاف السّنّة الإلهيّة المقرّرة من اللّه؛ لأنّ في سنته أنّ الدّنيا هي دار اختبار، والآخرة دار الحساب، وفي حال عاقب اللّه أحدًا في الدّنيا، فسوف تكون عناية الحقّ قد شملته...

(1) الأمالي للصدوق، المجلس 69، ح2.

(2) بحار الأنوار، ج6، ص236.

(*) مشافر: جمع المشفر: الشفّة للبعير.

16

الصّبر

عن أبي بصير قال: «**سمعت أبا عبد اللَّه** عليه السلام **يقول: إنّ الحرَّ حُرٌّ على جميع أحواله، إنْ نابتْهُ نائبةٌ صَبَر لها، وإنْ تَدَاكّت عليه المصائبُ لم تكسره، وإنْ أُسر وقُهر، واستُبدل باليُسر عُسرًا، كما كان يُوسفُ الصدّيق الأمين، لم يُضرِر حُرّيَته أنِ استُعبِد وقَهُر، وأُسرَ، ولم تُضرره ظُلمة الجُبّ وَوَحشتُهُ، وما ناله أنْ مَنّ اللَّه عليه، فَجَعَل الجَبّار العاتيَ له عبدًا بَعدَ إذ كان [له] مَالكًا، فأرسلَهُ ورَحم به أُمّة، وكذلك الصّبر يُعَقِّبُ خيرًا، فاصبروا، ووطّنوا أنفسكم على الصّبرِ تُؤجَروا**»[1].

* تعريف الصّبر:

كفُّ النّفسِ عن الجزع عند حُلول مَكروهٍ، وأيضًا هو «**امتناع النّفس عن الشّكوى على الجزع المستور**».

- الصّبر على المعصية والطّاعة هو دليل على النّقص في معرفة أسرار العبادة وصور المعاصي؛ لأنّ المؤمن حقًّا يرى الكراهية في ارتكاب

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، ح6.

الذّنوب لا الصّبر على عدم ارتكابها، ويرى الكمال في العبادة لا في الصّبر عليها.

- الصّبر على المعصية يبعث على تقوى النّفس، والصّبر على الطّاعة يسبّب الاستئناس بالحقّ عزَّ وجلَّ.

- عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**الصّبر من الإيمان بمنزلة الرّأس من الجسد، فإذا ذهب الرّأس ذهب الجسد، وكذلك إذا ذهب الصّبر ذهب الإيمان**»[1].

- الصّبر يمنع الباطن من الاضطراب، واللّسان من الشّكاية، والأعضاء من الحركات غير المعتادة، فالشّخص غير الصّابر ترى نفسه مضطربة ومهزوزة، ويشكو عند أهل الشّكاية، وهذا يؤدّي إلى فضائح عند النّاس، والاشتهار بالضّعف، ويَسقط من أعينهم وأعين الملائكة والحقّ. والّذي لا يتحمّل بلاءً من المخلوق أمام آلاف النّعم، فأيّ إيمان يملكه هذا! فالمؤمن الحقيقيّ إذا أراد الشّكوى يشكو للّه عزَّ وجلَّ، فهو القويّ، ولا يشكو للضّعيف. والصّبر له أجرُهُ العظيم، وفي الحديث الشّريف: «**مَن ابتُلَي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد**»[2].

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، ح2.
(2) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، ح8.

* أنواع الصّبر:

الصّبر على المصيبة، والصّبر على الطّاعة، والصّبر على المعصية.

- عن النّبيّ ﷺ: **«سيأتي عَلَى النَّاس زَمَانٌ لاَ يُنَالُ فيه المُلْكُ إلّا بِالقَتْلِ وَالتَّجَبّرِ، وَلاَ الغنَى إلّا بِالغَضَب وَالبُخْلِ، وَلاَ المَحَبَّةُ إلا بِاسْتخْرَاجِ الدِّينِ وَاتِّبَاعِ الهوى، فَمَنْ أَدْرَكَ ذلكَ الزَّمَانَ فَصَبَرَ عَلَى الفَقْرِ وَهُوَ يَقْدرُ عَلَى الغنَى، وَصَبَر عَلَى البغْضَة وهو يَقْدرُ عَلَى المَحَبَّة، وَصَبَرَ عَلَى الذُّلِّ وهو يَقْدِرُ عَلَى العزِّ، آتاه اللَّهُ ثَوَابَ خمسين صِدِّيقًا مِمَّنْ صَدَّقَ بِي»**[1].

وهذه درجات المتوسّطين، أمّا العرفاء وأولياء اللَّه، فصبرهم لا يكون على ترك المعصية.

* درجات الصبر:

- الصّبر في اللَّه (الثّبات في المجاهدة، وترك ما هو متعارف ومألوف عند النّاس).
- الصّبر مع اللَّه (هو لأهل الحضور ومشاهدي الجمال، والتّجرّد عن ملابس الأفعال والصّفات، ولدى تجلّي القلب بتجلّيات الأسماء والصّفات).
- والصّبر عن اللَّه، وهو من أصعب مراتب الصّبر، وأقسى المقامات

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، ح12.

(وهو درجة العشّاق والمشتاقين «**فهبني صبرت على عذابك، فكيف أصبر على فراقك**»[1].

- الصّبر باللَّه (يحصل بعد الصّحو، وبالبقاء باللَّه بعد التّخلّق بأخلاق اللَّه، وهو للكماليّين).

(1) دعاء كميل ابن زياد.

17

التَوبة

* التَائبُ من الذّنب كَمن لا ذنبَ له

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام: «**إذَا تَابَ العَبْدُ تَوْبَةً نَصُوحًا أَحَبَّهُ اللَّهُ فَسَتَرَ عليه فِي الدّنيا وَالآخرَة. فَقُلْتُ: وكيف يَسْتُرُ عليه؟ قَالَ: يُنْسي ملكَيه مَا كَتَبَا عليه منَ الذُّنُوب، ثُمَّ يُوحي إلَى جَوَارحه: اكْتُمي عليه ذُنوبَهُ، ويُوحي إلى بِقَاعِ الأَرْضِ: اكْتُمي عليه مَا كَانَ يَعْمَلُ عليك منَ الذُّنُوبِ، فيلقى اللَّه حين يلقاه وليس شَيْءٌ يشهد عليه بِشَيْءٍ منَ الذُّنُوبِ**»[1].

وعن الإمام الصّادق عليه السلام: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**من تاب قَبل موته بسنة قبل اللَّه توبته، ثمّ قال: إن السّنة لكثيرة، مَن تاب قَبل موته بشهر، قبل اللَّه توبته، ثمّ قال: إن الشّهر لكثير، ثمّ قال: مَن تاب قَبل موته بجمعة، قبل اللَّه توبته، ثمّ قال: وإنّ الجمعة لكثير، مَن تاب قَبل موته بيوم، قبل اللَّه توبته، ثمّ قال: إنّ يومًا لكثير، من تاب قبل أن يعاين، قبل اللَّه توبته**»[2].

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ح1.

(2) أصول الكافي، ج2، كتاب الإيمان والكفر باب فيما أعطى اللَّه عزَّ وجلَّ آدم عليه السلام وقت التوبة، ح2، ص440.

• مُشكلتنا أنَنا نُسَوِّف التّوبة ونقول إنّنا نتوب عندما نكبر، من الّذي يضمن أنّك ستعيش وقتها، ومن الّذي يضمن أنّك ستُوفّق للتّوبة؟

⇦ الموضوع ليس موضوع لِسان (القول استغفر اللّه وادّعاء التوبة)، بل عِلْم وعَمَل، وهو عَمَل شاقّ، والتّوفيق له صعب.. فاغتنم الفرصة عند الشّباب، وخاصّة أنّ عدد الذّنوب أقلّ، فعلاجها أيسر... وطبعًا، فالإناء المكسور بعد جمعه لا يعود كما كان قبله...

*** أركانُ التّوبة:**

1 - النّدامة على ارتكاب الذّنوب والتّقصير في جنب اللّه.

2 - العزمُ على عدم العودة إلى الذّنوب نهائيًّا.

نحن ظالمون! نعصي ونتمادى سنين عديدة ونُغضب وليّ النّعمة، وهَتكنا حرمته، وطغينا عليه، ولم نخجل منه أبدًا، ولكن إذا ندمنا ورجعنا إليه أحببنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]... يجب أن ننكّس رؤوسنا إلى الأرض، ونعتذر لعدم حيائنا.

*** شروط التّوبة:**

1 - تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم.

2 - تعمد إلى كلّ فريضة ضيّعتها فتؤدّي حقّها.

---

(1) سورة البقرة، الآية 222.

3 - تُذيب اللّحم الذي نبت على الحرام إلى العظم، وتستبدله بلحم جديد.

4 - تذيق الجسم ألم الطّاعة، كما أذقته حلاوة المعصية.

* الاستغفار يعني أركان التوبة

روى في نهج البلاغة أنّ قائلًا قال بحضرة الإمام علي عليه السلام: «**أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فَقَالَ لَهُ ثَكِلَتْك أُمُّكَ، أَتَدْرِي مَا الاستغفارُ؟ إِنَّ الاسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ العلّيّين، وهو اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَان: أَوّلُها النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى. الثَّاني العَزْمُ عَلَى تَرْك العَوْد إليه أَبَدًا. والثَّالثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى المخلوقين حقوقَهُم حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمْلَسَ ليس عليك تَبِعَةٌ. الرَّابعُ أَنْ تَعْمَدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَة عليك ضيّعتها فَتُؤَدِّيَ حَقّها، والخَامسُ أَنْ تَعْمَدَ إِلَى اللَّحْم الَّذي نَبَتَ عَلَى السُّحْت فَتُذِيبَهُ بالأَحْزَان حَتّى تُلْصقَ الجلْدَ بالعَظْم وَيَنْشَأَ بينهما لَحْمٌ جَديدٌ. والسّادسُ أَنْ تُذيقَ الجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاوَةَ المعصية فَعِنْدَ ذلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ**»[1].

- إيّانا أن نَدع الشّيطان يُصوّر لنا أنّ التّوبة مستحيلة، فاليأس من رحمة اللَّه أعظم الذّنوب، علينا البدء فرحمة اللَّه أوسع من كلّ شيء... وعلينا ولوج باب التّوبة بالقدر الميسور مهما كان قليلًا.

* قصة الشاب النابش للقبور

روي أنّه دخل معاذ بن جبل على رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم باكيًا فسلّم، فردّ عليه السلام

(1) نهج البلاغة، قصار الحكم، الرقم 417.

ثمّ قال: «**ما يبكيك، يا معاذ؟**» فقال: يا رسول اللَّه، إنّ بالباب شابًّا طريّ الجسد، نقيّ اللّون، حسن الصّورة، يبكي على شبابه بكاء الثّكلى على ولدها، يريد الدّخول عليك، فقال النّبيّ ﷺ: «**أدخل عليّ الشّابّ، يا معاذ، فأدخله عليه**»، فسلّم، فردّ عليه السلام، ثمّ قال: «**ما يبكيك، يا شابّ؟**» قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوبًا إن أخذني اللَّه عزَّ وجلَّ ببعضها أدخلني نار جهنّم، ولا أراني إلّا سيأخذني بها ولا يغفر لي أبدًا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هل أشركت باللَّه شيئًا؟ قال: أعوذ باللّه أن أُشرك بربّي شيئًا، قال: أقتلت النّفس الّتي حرّم اللَّه؟ قال: لا، فقال النّبيّ ﷺ: يغفر اللَّه لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرّواسي. فقال الشّابّ، فإنّها أعظم من الجبال الرّواسي، فقال النّبيّ ﷺ: يغفر اللَّه لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السّبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، قال: فإنّها أعظم من الأرضين السّبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، فقال النبيّ ﷺ: يغفر اللَّه لك ذنوبك وإن كانت مثل السّماوات ونجومها، ومثل العرش والكرسيّ، قال: فإنّها أعظم من ذلك. قال: فنظر النّبي ﷺ إليه كهيئة الغضبان، ثمّ قال: ويحك يا شابّ، ذنوبك أعظم أم ربّك؟ فخرّ الشّابّ لوجهه وهو يقول: سبحان ربيّ، ما شيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يا نبيّ اللَّه من كلّ عظيم، فقال النّبيّ ﷺ: فهل يغفر الذّنبَ العظيمَ إلّا الرّبُّ العظيم؟ قال الشّابّ: لا واللَّه، يا رسول اللَّه، ثمّ سكت الشّابّ، فقال له النّبيّ ﷺ: ويحك يا شابّ، ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟ قال: بلى أُخبرك، إنّي كنت أنبش القبور سبع سنين أخرج الأموات، وأنزع الأكفان، فماتت جارية من**

بعض بنات الأنصار، فلمّا حُملت إلى قبرها ودفنت، وانصرف عنها أهلها، وجنّ عليهم اللّيل، أتيت قبرها فنبشتها، ثمّ استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجرّدة على شفير قبرها، ومضيت منصرفًا. فأتاني الشّيطان فأقبل يزيّنها لي، ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وركيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتّى رجعت إليها، ولم أملك نفسي حتّى جامعتها وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شابّ، ويلٌ لك من ديّان يوم الدّين، يوم يقفني وإيّاك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي، وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جنبة إلى حسابي، فويلٌ لشبابك من النّار، فما أظنّ إنّي أشمّ ريح الجنّة أبدًا، فما ترى لي يا رسول اللّه؟ فقال النّبيّ ﷺ: تنحّ عنّي يا فاسق، إنّي أخاف أن أحترق بنارك! فما أقربك من النّار، ثمّ لم يزل يقول ويشير إليه، حتّى أمعن من بين يديه، فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها، ثمّ أتى بعض جبالها فتعبّد فيها، ولبس مسحًا، وغلّ يديه جميعًا إلى عنقه ونادى:

يا ربّ، هذا عبدك بهلول، بين يدك مغلول، يا ربّ، أنت الّذي تعرفني، وزلّ منّي ما تعلم سيّدي، يا ربّ، أصبحت من النّادمين، وأتيت نبيّك تائبًا فطردني وزادني خوفًا، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تخيّب رجائي سيّدي، ولا تبطل دعائي، ولا تقنّطني من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك أربعين يومًا وليلة، تبكي له السّباع والوحوش، فلمّا تمّت له أربعون يومًا وليلة، رفع يديه إلى السّماء وقال: «**اللّهمّ! ما فعلت في حاجتي؟ إنّ**

كنتَ استجبتَ دعائي، وغفرتَ خطيئتي، فأوحِ إلى نبيّك، وإن لم تستجب لي دعائي، ولم تغفر لي خطيئتي، وأردتَ عقوبتي، فعجّل بنارٍ تحرقني، أو عقوبةٍ في الدّنيا تهلكني، وخلّصني من فضيحة يوم القيامة، فأنزل اللَّه تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾[1]، يعني الزّنا، ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾[2]، يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزّنا، ونبش القبور، وأخذ الأكفان ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾[3]، يقول: خافوا اللَّه فعجّلوا التّوبة ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4]. يقول عزَّ وجلَّ: أتاك عبدي يا محمّد تائبًا فطردته، فأين يذهب؟ وإلى من يقصد؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنبًا غيري؟ ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[5]، يقول: لم يقيموا على الزّنا، ونبش القبور، وأخذ الأكفان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[6]. فلمّا نزلت هذه الآية على رسول اللَّه ﷺ خرج وهو يتلوها ويتبسّم، فقال لأصحابه: من يدلّني على ذلك الشّابّ التّائب؟ فقال معاذ: يا رسول اللَّه بلغنا أنّه في موضع كذا وكذا. فمضى رسول اللَّه ﷺ بأصحابه حتّى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشّابّ، فإذا هم بالشّابّ قائم بين صخرتين، مغلولة يداه إلى عنقه، قد اسودّ وجهه، وتساقطت أشفار عينيه

(1) سورة آل عمران، الآية 135.
(2) سورة آل عمران، الآية 135.
(3) سورة آل عمران، الآية 135.
(4) سورة آل عمران، الآية 135.
(5) سورة آل عمران، الآية 135.
(6) سورة آل عمران، الآية 136.

من البكاء، وهو يقول: سيّدي، قد أحسنت خلقي، وأحسنت صورتي، فليت شعري، ماذا تريد بي؟ أفي النّار تحرقني، أو في جوارك تسكنني؟ اللَّهمّ، إنّك قد أكثرت الاحسان إليّ، وأنعمت عليّ، فليت شعري، ماذا يكون آخر أمري، إلى الجنة تزفّني؟ أم إلى النّار تسوقني؟ اللَّهم، إنّ خطيئتي أعظم من السّماوات والأرض، ومن كرسيّك الواسع، وعرشك العظيم، فليت شعري، تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة؟ فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي، ويحثو التّراب على رأسه، وقد أحاطت به السّباع، وصفّت فوقه الطّير، وهم يبكون لبكائه، فدنا رسول اللَّه ﷺ، فأطلق يديه من عنقه، ونفض التّراب عن رأسه، وقال: يا بهلول، أبشر فإنّك عتيق اللَّه من النّار. ثمّ قال: ﷺ لأصحابه: «هكذا تداركوا الذّنوب كما تداركها بهلول، ثمّ تلا عليه ما أنزل اللَّه عزَّ وجلَّ فيه، وبشّره بالجنّة»[1].

* معنى (توبةٌ نصوحٌ)

توجد تفسيرات مختلفة للتّوبة النّصوح بين العلماء، فمنها:

1 - أنّها توبةٌ تَنصح النّاس أن يأتوا بمِثلها بعد ظهور آثارها، أو تنصح صاحبها فيقلع عن ذنب، ولا يعود إليه.

2 - أنّها توبةٌ خالصة لوجه اللَّه، مثل «عسل نصوح» يعني خالصًا من الشّمع، والتائب يندم على الذّنوب كونها خلاف رضا الحقّ، لا خوفًا من النّار (المحقّق الطّوسي: النّدم من الذّنوب للخوف من النّار ليس بتوبة).

(1) بحار الأنوار، ج6، ص230.

3 - أنّها توبةٌ تنصح (تخيط) من الدّين ما مزّقته الذّنوب، أو تجمع بين التّائب وبين أوليائه وأحبّائه.

ملاحظة: جاء في الحديث الشريف: «**يوحي في بقاع الأرض أن اكتمي عليه**» هذا يعني أنّ كلّ شيء يسبّح بحمده.

18

الذِكر

عن أبي جعفر عليه السلام: «**مكتوب في التّوراة الّتي لم تُغيَّر أنّ موسى** عليه السلام **سأل ربّه فقال: يا ربّ، أقريب أنت منّي فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فأوحى اللَّه عزَّ وجلَّ إليه: يا موسى، أنا جليس مَن ذكرني**».

فقال موسى: «**فمن في سترك يوم لا ستر إلّا سترك فقال: الذين يذكرونني فأذكرهم، ويتحابون فيَّ فأحبّهم، فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم، فدفعت عنهم بهم**»[1].

*** تفسير:**

- «**لم تُغَيَّر**» يعني أنّ التّوراة مُحرَفة، وعلمُها عند أهل البيت عليهم السلام
- «**أقريب أم بعيد**»؟ يقيناً أنّ النّبيّ موسى عليه السلام يعلم أنّ اللَّه أقرب إلينا من حبل الوريد، ولكن لعلّه أراد أن يقول: إلهي، أناجيك بقربك منّي أم ببعدنا عنك؟

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الدعاء، باب ما يجب من ذكر اللَّه في كل مجلس، ح4.

* الفرق بين التّذكّر والتّفكّر:

التّذكّر هو نتيجة التّفُكّر، فما دام الإنسان يطلب ويبحث فيكون محجوبًا عن مطلوبه، وعندما يصل إلى محبوبِه يتحرّر من عناء الطلب والبحث. وللتّذكُّر والتّفكّر آثارٌ كثيرة، منها يوجبان صفاء الرّوح ونقاءها وخروج حبّ الدّنيا الّتي هي رأس كلّ بليّة، ويخرج السّيّئات من القلب، ويجعله نظيفًا.

* فضل الذّكر:

عن أبي عبد اللّه الصّادق عليه السلام: **«ما من مجلس يجتمع فيه أبرار وفجّار، فيقومون على غير ذكر اللّه عزّ وجلّ إلّا كان حسرة عليهم يوم القيامة»**(1).

وعنه عليه السلام: **«كفّارات المجالس أن تقول عند قيامك منها: سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد للّه ربّ العالمين»**(2).

(1) الكافي 496/2 ح 1.

(2) وسائل الشيعة، المجلّد 15، ح28901.

19

الغيبة

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**الغيبة أسرع في دين الرّجل المسلم من الأكلة في جوفه**».

- وقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**الجلوس في المسجد انتظار الصلاة عبادة ما لم يُحدث، قيل: يا رسول اللّه، وما يُحدث؟ قال: الاغتياب**»[1].
- في حديث أبي بصير في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر -رضوان اللَّه عليه- وفيه «**قلت: يا رسول اللَّه، ما الغيبة؟ قال: ذِكرك أخاك بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه**»[2].
- وورد في الحديث النبويّ الشريف: «**هل تدرون ما الغيبة؟ فقالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: ذِكرك أخاك بما يكره ... إلخ**»[3].
- وفي وصيّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر (رض): «**يا أبا ذرّ، إيّاك والغيبة، فإنّ**

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الايمان والكفر، باب الغيبة والبهت، ح 1.
(2) وسائل الشيعة، المجلّد الثامن، الباب 152 من أبواب الأحكام العشرة، ح 9.
(3) المحجّة البيضاء، المجلّد 5، ص 256.

الغيبة أشدّ من الزنا. قلت: ولم، يا رسول اللَّه؟ قال: لأنّ الرّجل يزني فيتوب إلى اللَّه فيتوب اللَّه عليه، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها»... ثمّ قال: «**وأكل لحمه من معاصي اللَّه**»[1].

- إذا كان العيب الذي ذكرناه للآخر صحيحًا فهو استغابة، وإن كان ما ذكرناه ليس موجودًا فيه فهو بهتانٌ.
- «**الأَكْلَة في جوفه**» هو داء يصيب أحد الأعضاء، ويقضي عليه مباشرة. إذًا، الغيبة تأكل الدّين بأسرع ممّا يفعله المرض بالجسد.

* الغيبة ومساوئها:

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾[2].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**كذب من زعم أنّه وُلد من حلال، وهو يأكل لحوم النّاس بالغيبة**»[3].

عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**وَمَنْ مَشى في غيبة أخيه وَكَشْفِ عَوْرَته كانَتْ أَوَّلُ خُطْوَةٍ خطاها وضعها في جهنم، وَكَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ عَلى رُؤوسِ الخَلائق**»[4].

- إذًا، إنّ مسألة فضح النّاس، والاطّلاع على معايبهم، ونشر خصوصيّاتهم

(1) وسائل الشيعة، المجلد 8، ح16312.
(2) سورة الحجرات، الآية 12.
(3) وسائل الشيعة، المجلّد 8، باب 152، ح16.
(4) رسائل الشّهيد الثاني 287.

أمام الخلق، تعتبر مُقدّمة كبرى للدّخول إلى نار جهنّم، وتكون نهاية المغتاب يوم القيامه تضاهي نهاية الكافر؛ لأنّهما يستحِلّان ما حرّمه اللَّه.

عن النّبيّ ﷺ: «**يا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسانه وَلَمْ يَخْلُصِ الإيْمانُ إلى قَلْبه، لا تَذُمُّوا المسلمين، وَلا تَتَبَّعُوا عوراتهم، فَإنَّ مَنْ تَتَبَّعَ عوراتهم تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحُهُ وَلَوْ في بَيته**»[1].

إنَّ اللَّهَ سُبحانه وتعالى غيور، ويكون هتك ستر المؤمنين وكشف عوراتهم هتكًا للنّاموس الإلهيّ ولكرامته.

عن الإمام الباقر عليه السلام قالَ: لَمّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيّ ﷺ: «**قالَ: يا رَبِّ ما حالُ المُؤْمن عنْدَكَ؟ قالَ: يا مُحَمَّدُ، مَنْ أهان لي وَلِيًّا فَقَدْ بارَزَني بِالْمُحارَبَة، وَأَنَا أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلى نُصْرَة أوليائي**»[2].

- الإنسان المغتاب يكون شكله شكل كلب يوم القيامة يأكل اللَّحم الميّت.
- إنّ هذه المعصية أشدّ من المعاصي مجتمعةً، وآثارها أخطر من الذّنوب، لأنّ الغيبة مضافًا إلى أنّها تمسّ حقوق اللَّه، فإنّها تمسّ حقوق النّاس أيضًا، ولا يغفر اللَّه للمغتاب حتّى يرضى صاحب الغيبة... والتّعامل مع اللَّه الرحيم سهل، ولكنّ الارتباط بحقوق العباد وعدم التّجاوز عن الغيبة مشكلة ما لم يغفرها صاحبها.

(1) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب من طلب عثرات المؤمنين، ح2.
(2) أصول الكافي، المجلّد 2، باب من آذى المسلمين، ح8.

* الغيبة تُذهب الحسنات إلى المغتاب:

عن النّبيّ ﷺ: **«يؤتى بِأحَد يَوْمَ القيامة يُوقَفُ بين يَدَيِ الربِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُدْفَعُ إليه كِتابُهُ، فلا يَرى حَسَناته فيه، فيقول: إلهي، ليس هذا كِتابي، فإنّي لا أرى فيه طاعتي. فيُقال لَهُ: إنَّ رَبَّكَ لا يَضِلُّ وَلا يَنْسى، ذهبَ عَمَلُكَ باغتياب النّاسِ. ثُمَّ يُؤْتى بِآخَرَ وَيُدْفَعُ إليه كِتابُهُ، فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول: إلهي، ما هذا كتابي، فَإنّي ما عَمِلْتُ هذه الطّاعاتِ، فيُقال لَهُ: إنَّ فُلانًا اغْتابَكَ فَدُفِعَت حَسَناتُهُ إليك»**[1].

* المفاسد الاجتماعيّة للغيبة:

- ضرب مشروع الوحدة بين المسلمين، والإخوة بين المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾[2].

عن الإمام الصّادق عليه السلام: **«اتّقُوا اللّهَ وَكُونُوا إخْوَةً بَرَرَةً متحابّين في اللّهِ، متواصلين متراحمين. تَزاوَرُوا وَتَلاقَوْا، وَتَذاكَرُوا أمْرَنا، وأحيوه»**[3].

وعنه عليه السلام: **«يَحِقُّ عَلَى المسلمين الاجتهاد في التّواصُلِ، وَالتَّعاوُنَ عَلَى التَّعاطُفِ، وَالمُواسَاة لأَهْلِ الحاجَة، وَتَعاطُفِ بعضهم عَلى بَعْضٍ، حَتّى تَكُونوا كَما أمَرَكُمُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[4]»**[5].

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 8، الباب 152، ح9.
(2) سورة الحجرات، الآية 10.
(3) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب التراحم والتعاطف، ح1 و3 و4.
(4) سورة الفتح، الآية 29.
(5) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب التراحم والتعاطف، ح1 و3 و4.

وعنه عليه السلام: «**تَواصَلُوا وَتَبارُّوا وَتَراحَمُوا، وَكُونُوا إِخْوَةً بَرَرَةً كَما أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

- إذا أُشيعت الغيبة في المجتمع أصبحت سببًا للضّغينة والحسد والعداوة والبغض، وترسيخ جذور الفساد في المجتمع.

*** علاجها:**

1 - بالعِلم النّافع الّذي يهدي إلى الخير والصّلاح.
2 - بالتّصادق مع النّفس، ومع الإخوة المؤمنين الّذين يحبّون اللَّه ويحبّهم.
3 - بالتّأمّل في النّتائج الّتي تجعل صورة العبد يوم القيامة موحشة.
4 - بالمراقبة الكاملة للنّفس طوال الوقت.

*** الأولى تَركُ الغيبة في الموارد الجائزة:**

- يوجد استثناء من موارد الغيبة، كغيبة المتجاهر بالفسق، بلّ في بعض الأحيان، إذا توقّف ردعه على غيبته، فتَجِب من باب نهيه عن المنكر... ولكن الأولى عدمها مع كونها جائزة؛ لأنّ مكائد النّفس والشّيطان قويّة وقد تغرينا بأن نغوص في الحرام ثمّ نبدأ بإلقاء الأعذار، ونقول: إن غيبتنا تكون في موارد الجواز، ويمكن ألّا تكون النّيّة صادقة للَّه في موارد الجواز، بل لإشباع الرّغبة النّفسيّة، وأيضًا نتعوّد على الكلام على الآخرين.

(1) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب التراحم والتعاطف، ح1 و3 و4.

أخيرًا، ورد عن الرّسول ﷺ: «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النّاس**»[1]، وعن المسيح عليه السلام: «**لا تكونوا مثل البعوض الّذي يفتشّ عن الأوساخ والقاذورات، فلا تركّزوا على عيوب النّاس**».

* الاستماع للغيبة من الكبائر:

عن الرّسول ﷺ: «**المستمع أحد المغتابين**»[2]، وعنه ﷺ أيضًا: «**من ردّ عن أخيه غيبة سمعها في مجلس، ردّ اللَّه عنه ألف باب من الشّرّ في الدّنيا والآخرة، فإن لم يردّ عنه وأعجبه، كان عليه كَوِزر من اغتاب**»[3] (وفي رواية كوِزر من اغتابه سبعين مرّة)[4].

وعنه ﷺ في وصيّته لعليّ عليه السلام: «**يا عليّ! من اغتيب عنده أخوه المسلم فاستطاع نصره فلم ينصره، خذله اللَّه في الدّنيا والآخرة**»[5].

- إذًا، يجب رد الغيبة عن الآخرين عند الاستطاعة، لا فقط الانسحاب من المجلس.
- قد يُضاف إلى استماع الغيبة فاحشة أخرى، فعندها نكون قد جمعنا بين فاحشتين أو أكثر...

(1) المحجّة البيضاء، المجلّد 5، ص264.
(2) المحجّة البيضاء، المجلّد 5، كتاب آفات اللسان، ص260.
(3) وسائل الشيعة، مجلّد 8، باب 156، ح5.
(4) وسائل الشيعة، مجلّد 8، باب 151، ح13.
(5) وسائل الشيعة، مجلّد 8، باب 156، ح1.

مثلًا، إذا ذكر شخص أمامنا، نقول الحمد للَّه الّذي لم يبتلِنا بحبّ الرّياسة! فهنا يمدح نفسه (رياء واستماع للغيبة).

أو مثلًا يصغي السّامع إلى الغيبة بتعجّب ممّا سيزيد من نشاط المغتاب.

20

النِّيّة

قال تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾[1].

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام «-**في قول اللَّه تعالى:** ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾- **قال: ليس يعني أكثركم عملًا، ولكن أصوبكم عملًا. وإنّما الإصابة خشية اللَّه، والنيّة الصادقة والخشية. ثمّ قال: الإبقاء على العمل حتى يَخلُص أشدّ من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا اللَّه تعالى أفضل من العمل. ألا وإنّ النيّة هي العمل، ثمّ تلا قوله عزّ وجلّ:** ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ...﴾[2] **يعني على نيّته**»[3].

* فَقدُ الإخلاص بعد العمل:

عن أبي جعفر عليه السلام: «**الإبقاء على العمل أشدّ من العمل.** قال: وما الإبقاء على العمل؟ قال: **يصل الرّجل بصلة، ويُنفق نفقة للَّه وحده لا**

(1) سورة هود، الآية 7.
(2) سورة الإسراء، الآية 84.
(3) اصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الايمان والكفر، باب الرياء، ح 16.

شريك له سرًّا ثمّ يذكرها فتُكتب له علانية، ثمّ يذكرها فتُكتب له رياءً»[1].

- لا يظنّ أحد أنّه سَيسلم من مكائد الشّيطان، فمثلًا بعدما يعمل في سرّ وإخلاص وينجز العمل ينتقل إلى العلانية، ومن بعدها إلى الرّياء.

ما الفرقُ بين صلاتِنا وصلاةِ الأمير عليه السلام، فالصلاتان ظاهِريًّا هما حركات الجسد نفسها، أمّا الاختلاف فهو في الرّوح، فالنّيّة للعمل هي كما الرّوح للجسد، فالجسد لا قيمة له بلا روح، وكذلك العمل بلا نيّة.

- ما دام حبُّ النّفسِ في القَلب، وما دام الإنسانُ يعيش في البيت المظلم للنّفس، لا يكون مسافرًا إلى اللَّه تعالى، وهذا أحد معاني الآية: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾[2]؛ أي من يخرج من لذّات نفسه، ويهاجر إلى الحقّ في الرّحلة المعنويّة، ثمّ يدركه الفناء التّامّ، كان أجره على اللَّه تعالى.

(1) الكافي 297/2، ح 16، الوسائل 75/1، ح 14.
(2) سورة النّساء، الآية 100.

21

الشُّكر

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾[1].

كان النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنْدَ عَائشَةَ فَقالَتْ: **يَا رَسولَ اللَّه، لمَ تُتْعبُ نَفْسَك وَقَدْ غَفَرَ اللَّه لَكَ مَا تقدَّمَ منْ ذَنْبك وَمَا تَأَخَّرَ؟ فقالَ: «يَا عَائشَة، ألا أكونُ عَبْدًا شَكورًا؟» قالت: وكانَ رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يَقومُ عَلى أطْرافِ أَصابع رِجْلَيْه فَأَنْزَلَ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعالى:** ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾[2].

* معنى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾[3]...

تدلّ الأحاديث أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له ذنب، بل المقصود ذنوب الأمّة من آدم حتّى يوم القيامة، لأنّ ذنوب الأمّة متعلّقة بالرّسول لشدّة تعلّقه بأمّته كالشّجرة والأوراق.

- عن المُفضّل بن عمر، عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «**سَأَلَهُ رَجُلٌ**

(1) سورة طه، الآيتان 1 - 2.

(2) أصول الكافي، المجلد الأول، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح6.

(3) سورة الفتح، الآية 2.

عَنْ هذه الآية فقال: واللَّه ما كان له ذَنْبٌ، وَلَكنَّ اللَّه ضَمنَ لَهُ أنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَ شيعة عَليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما تَقدَّم منْ ذنبهم وَمَا تَأخّر»[1].

- عن الإمام الصّادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**ما كَانَ لَهُ ذَنْبٌ وَلاَ هَمَّ بِذَنْبٍ، وَلكنْ اللَّه حَمَّلَهُ ذُنُوبَ شيعته ثُمَّ غَفَرَهَا لَهُ**»[2].

- كان المَأْمُون وَعنْدَهُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ المَأْمُونُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّه، أَلَيْسَ منْ قَوْلك أَنَّ الأنبياء مَعْصُومُونَ؟ قَالَ: «**بَلَى**، قَالَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّه: ليغفر لَكَ اللَّه مَا تَقَدَّمَ منْ ذَنْبكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ **قَالَ الرِّضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عندَ مُشْركي مَكَّةَ أَعْظَمَ ذَنْبًا من رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم كَانُوا يَعْبُدونَ منْ دُونِ اللَّه ثَلاَثَمائَةَ وستّين صَنَمًا، فَلَمّا جَاءَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالدَّعْوَة إلَى كَلمَة الإخْلاَص كَبُرَ ذلكَ عليهم وَعَظُمَ، وَقَالُوا:** ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾[3].

فَلَمَّا فَتَحَ اللَّه تَعالَى عَلَى نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[4] عنْدَ مُشْركي أَهْلِ مَكَّةَ بدعَائكَ إلَى توحيد اللَّه فيما تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؛ لأَنَّ مُشْركِي

(1) تفسير جوامع الجامع للطبرسي: 380/3، والبحار 24/68.
(2) بحار الأنوار 76/17، وتفسير القمّيّ 314/2.
(3) سورة ص، الآيات 5 - 7.
(4) سورة الفتح، الآيتان 1 - 2.

مَكَّةَ أَسْلَمَ بعضهم، وَخَرَجَ بعضهم عَنْ مَكَّةَ؛ وَمَنْ بَقِيَ منهم لَم يَقْدِرْ عَلَى إِنْكَارِ التّوحيد عليه إِذَا دَعَا النَّاسَ إليه، فَصَارَ ذَنْبُهُ عِنْدَهُمْ في ذلِكَ مَغْفُورًا بظهوره عليهم. فَقَالَ المَأْمُونُ: لِلَّهِ دَرُّكَ يَا أَبَا الحَسَنِ!»[1].

* في التِّوجيه العِرفانيّ للآية الشّريفة:

- الفتح هو فتح أبواب المعرفة والعلوم والمكاشفات، فما دام الإنسان في البيت المظلم للنّفس فيكون باب المكاشفات عليه مسدودًا، فلا يمكن الوصول دون غفران الذّنوب... فهناك ثلاثة أنواع من الفتوحات.

1 - فتح قريب (انفتاح أبواب المعارف القلبيّة وغفران الذّنوب النّفسية).

2 - فتح مبين (انفتاح أبواب الولاية والتّجلّيّات الإلهيّة، وغفران ما تبقّى من الذّنوب المتقدّمة النّفسيّة، والذّنوب المتأخّرة القلبيّة).

(وهذان الفتحان القريب والمبين هما خاصّان بالأنبياء والأولياء عليهم السلام والعرفاء).

3 - فتح مطلق خاصّ بالمرتبة الخاتميّة كالنّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

* حقيقة الشّكر:

الشّكر هو تَقدير نعمة المُنعم، ومعرفة أن النّعم كلّها منه هو الشّكر بعينه، قال داود عليه السلام: «**يا ربّ، كيف أشكرك، مع أنّ الشّكر نعمة أخرى،**

(1) عيون أخبار الرّضا عليه السلام، ج2، باب 15، ص180.

وتستدعي شكرًا آخر؟ فأوحى اللَّه تعالى إليه: يا داود عندما عرفت بأنّ كلّ نعمة نازلة عليك، تكون منّي، فقد شكرتني»[1].

* وتظهر آثار هذا التّقدير:

1 - في القلب (فيتمّ تعظيمه وتحميده وتمجيده، والتّفكّر في صنائعه وآثار لطفه).

2 - على اللّسان (التّسبيح والتّهليل، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر).

3 - في الأفعال والأعمال (طاعة اللَّه في ما يرضيه).

* كيفيّة الشّكر:

يجب على كلّ شخص -بحسب قدرته المتيسّرة- شكر الحقّ، رغم أنّنا لن نستطيع شكره كما يجب، وقد صرّح أشرف الخلق محمّد ﷺ بأنّه لم يعبد اللَّه حق عبادته، فكيف بنا نحن؟ وذلك أنّنا لم نعرفه حقّ المعرفة كي نشكره حقّ الشّكر... وطالما أنّنا لم نصل للتّوحيد الحقيقيّ، وطالما نحن مرتبطون بالعباد، وطالما نظنّ أنّهم المنعمون علينا، طالما نشرك باللَّه، ونكفر بنعمه علينا... ولكلّ درجة معرفة درجة شكر، ومنها من يشكر اللَّه محبّة به وعشقًا له، ولا يرى منه إلّا الجميل حتّى ولا يرى لنفسه اعتبارًا، فيحتقر نفسه كلّما تلقّى النّعم، ويجد نفسه غير مستحقّ.

(1) شرح منازل السائرين، قسم الأخلاق، باب الشكر.

* فضيلة الشّكر:

- **أحاديث الشّكر كثيرة، منها:**

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**ثلاث لاَ يَضُرُّ معهنّ شَيْءٌ: الدُّعَاءُ عِنْدَ الكَرْبِ، وَالاسْتِغْفَارُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعْمَة**»[1].

وعنه عليه السلام: «**إنَّ الرَّجُلَ منْكُمْ لَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ منَ المَاءِ فَيوجب اللَّه لَهُ بها الجَنَّةَ. ثم قالَ: إنَّهُ ليأخذ الإناءَ فيضعُهُ عَلَى فيه فيُسمِّي ثُمَّ يَشْرَبُ فيُنَحّيه وهو يشتهيه فيحمد اللَّه، ثُمَّ يَعودُ فيشرب ثُمَّ ينحِّيه فيحمد اللّه ثُمَّ يَعودُ فيشرب ثُمَّ ينحّيه فيحمد اللَّه، فيوجِبُ اللَّه عَزَّ وجَلَّ بها لَهُ الجَنَّة**»[2].

وعنه عليه السلام: «**شُكْرُ النِّعْمَةِ اجْتِنَابُ المَحَارِمِ، وَتَمَامُ الشُّكْرِ قَوْلُ الرَّجُلِ: الحَمْدُ للَّه رَبِّ العالمين**»[3].

وعنه عليه السلام عن آثار الشّكر: «**مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ أُعْطِيَ الزِّيَادَةَ، يَقُولُ اللَّه عَزَّ وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[4]**»[5].

- أصدقُ أنوَاع الشُّكر باللِّسان «الحمدُ للَّه ربّ العالمين». وحتّى الشّرب وتنحية الماء عن الفم ثلاث مرّات مع الحَمد في كلّ مرّة يوجِب الجنّة.

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح7.
(2) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح16.
(3) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح10.
(4) سورة إبراهيم، الآية 7.
(5) أصول، الكافي، المجلّد 2، ص95.

* تفسير كلمة طه:

عن الإمام الصّادق عليه السلام في حديث طويل: «**وأمّا طه، فاسم من أسماء النّبيّ، ومعناه: يا طالب الحقّ، الهادي إليه**»[1].

- يوجد اختلاف في تفسير الأحرف المقطعة في أوائل السّور، ومنها هذه السورة، ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[2]؛ لأنّ النّبيّ قضى سنين من عمره يصلّي على أصابعه أو رجل واحدة حتّى تورّمت رجلاه، وكان يهذّب نفسه لأنّه يظنّ أنّه مقصّر؛ لأنّه لم يجد الإصغاء المطلوب والدّخول في دين اللَّه، فأُنزلت هذه الآية ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ وإنّه ليس عيبًا فيك إنّما المشكلة في النّاس ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[3].

- ومن هنا، نستفيد أنّ النّبيّ الكامل كان يشعر بالتّقصير، ويهذّب نفسه، أمّا نحن فنتصرف وكأنّه لدينا صكّ براءة من النّار.

---

(1) معاني الأخبار، باب معنى الحروف المقطّعة، ص22.
(2) سورة طه، الآيتان 1 - 2.
(3) سورة القصص، الآية 56.

22

كراهة الموت

عن أبي عبد اللَّه الصادق عليه السلام: «**جاء رَجُلٌ إلى أبي ذَرٍّ فَقالَ: يا أبا ذَرٍّ، ما لَنا نَكرَهُ المَوْتَ؟ فَقالَ: لأَنَّكُمْ عَمَّرْتُمُ الدّنيا وأَخْرَبْتُمُ الآخرَةَ، فتكرهون أَنْ تُنْقَلُوا من عمْران إلى خَراب، فَقَالَ لَهُ: فكيف تَرى قُدُومَنا عَلَى اللَّه؟ فَقالَ: أمَّا المُحْسنُ منْكُمْ فَكَالغَائبِ يَقْدُمُ عَلَى أهله، وَأَمَّا المُسيءُ منْكُمْ فكالآبق يُرَدُّ عَلَى مَوْلاهُ. قالَ: فكيفَ تَرى حالَنا عنْدَ اللَّه؟ قالَ: اعْرِضُوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى الكتَاب، إنَّ اللَّه يَقولُ:** ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾[1]. **قالَ: فَقالَ الرَّجُلُ: فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللَّه؟ قال: رَحْمَةُ اللَّه قَرِيبٌ منَ المحسنين**».

وعنه عليه السلام: «**وكَتَبَ رَجُلٌ إلى أبي ذَرٍّ رَضيَ اللَّه عنه: يَا أَبَا ذَرٍّ: أَطْرِفْني بشَيْءٍ منَ العلْم، فَكَتَبَ إليه: إنَّ العلْمَ كثير، وَلَكنْ إنْ قَدَرْتَ أنْ لا تُسيءَ إلَى مَنْ تُحبُّهُ فَافْعَلْ. فَقالَ لَهُ الرَّجُلُ: وهَل رَأَيْتَ أَحَدًا يُسيءُ إلى مَنْ يُحبُّهُ؟ فَقالَ لَهُ: نَعَمْ، نَفْسُكَ أَحَبُّ الأنْفُسِ إليك، فَإِذَا أَنْتَ عصيتَ اللَّه فقد أَسَأتَ إليها**»[2].

- إذًا، المشكلة فينا أنّنا لم نؤمن بقلوبنا بوجود الآخرة والحساب، لأنّنا لو آمنّا ومع وجود فطرة البقاء وحبّ الجمال، لتركنا الدّنيا؛

---

(1) سورة الانفطار، الآية 14.

(2) أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل، ح20.

لأنّها دار فناء، وعمّرنا الآخرة؛ لأنّها دار بقاء... أمّا المؤمنون فلا يكرهون الموت، بل خوفهم من الموت مختلف عنّا، فإنّهم يخشون هيبة لقاء الحبيب بعد شوقهم إليه وطول انتظارهم له، ونحن ذاهبون إلى أرحم الرّاحمين. فعندما رأى في أحد الأيّام النّبيُّ يحيى عليه السلام، النّبيَّ عيسى عليه السلام ضاحكًا، عاتبه قائلًا: أتأمن من مكر اللَّه وعذابه؟ فأجاب عيسى عليه السلام: «**أأنت آيس من رحمة اللَّه وفضله؟ فأوحى اللَّه سبحانه وتعالى إليهما: من كان منكما يحسن الظّنّ بي أكثر فهو محبوب عندي أكثر**».

- الباقيات الصالحات هي التي تبني بيوتنا في الجنّة. وهذه الباقيات هي الأعمال الصالحة، ومن هذه الأعمال ذكر «**سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلّا اللَّه واللَّه أكبر**» فهذا الذكر له خصوصيّة، ففي ليلة الإسراء والمعراج شاهد رسول اللَّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الملائكة تبني قصورًا وتمسك، فسألهم، فقالوا: قول المؤمن: «**سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلّا اللَّه واللَّه أكبر**»، فإذا قال بنينا، وإذا سكت أمسكنا[1].

- الشّيطان الملعون والنّفس الأمّارة بالسّوء الخبيثة يغرّان الإنسان بطرق كثيرة، ومن أكبر الوسائل هو الاتّكال على رحمة اللَّه، ومنع العبد عن العمل الصّالح، وهذه من مكائد الشّيطان، ففي الدّنيا لا نعتمد على رحمة الحقّ، ونكتفي بالعوامل الطبيعيّة، (أي الإكتفاء بالأمور الماديّة الظاهريّة دون الإعتقاد أن اللَّه سبحانه هو الربّ المدّبر) وكأنّه لا مؤثّر في الوجود، أمّا في الآخرة فنتّكل بزعمنا على رحمته...

(1) بحار الأنوار، المجلّد 10، كتاب الذّكر والدّعاء، الباب الثّاني، ح7.

23

المِراء والجِدال

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «طَلَبَةُ الْعلْم ثَلاثةٌ، فاعرِفْهُم بأعيانهم وصفاتهم: صنْفٌ يَطْلُبُهُ للجهل وَالْمرَاء، وَصنْفٌ يَطْلُبُهُ للاسْتطَالَة وَالْخَتْل، وَصنْفٌ يَطْلُبُهُ للْفقْه وَالْعَقْل. فَصاحبُ الجهل وَالْمرَاء مؤذ مُمار مُتَعَرِّضٌ للْمَقال في أنْديَة الرِّجَال، بتَذاكُر الْعلْم وَصفَة الْحلْم، قَدْ تَسَرْبَلَ بالْخُشوع، وَتَخَلّى منَ الْوَرَع، فَدَقَّ اللَّه منْ هَذا خَيشومه، وَقَطَع منْهُ حيزومه. وَصاحبُ الاسْتطَالَة وَالْخَتْل، ذُو خَبٍّ ومَلَق، يستطيل على مثْله منْ أشباهه، وَيَتَواضَعُ للأغنياء منْ دونه، فهو لحلوائهم هاضم، وَلدينه حاطم، فَأعْمَى اللَّهُ عَلى هذا خُبْرَهُ، وَقَطَعَ منْ آثار الْعُلَماء أثَرَهُ. وَصاحبُ الْفقْه وَالْعَقْل، ذُو كَآبَة وَحُزْن وسهر، قَدْ تَحَنَّكَ في بُرْنُسه، وَقَامَ اللّيل في حنْدسه، يَعْمَلُ وَيَخْشَى وَجلًا داعيًا مُشْفقًا، مُقْبلًا عَلى شَأْنه، عارفًا بأهْل زَمَانه، مُسْتَوْحشًا منْ أوْثَق إخْوانه، فَشَدَّ اللَّه منْ هذا أرْكَانَهُ، وَأعْطاهُ يَوْمَ القيامَة أمانه»[1].

---

(1) أصول الكافي، المجلد 1، كتاب فضل العلم، ح5.

* شرح بعض المصطلحات:

المراء: الجدال في الرأي والحديث.

الإستطالة: طلب الرفعة.

الختل: أي اللّجوء الى طرق الملتوية والمواربة في القول والفعل.

الأندية: جمع النادي وهو محل اجتماع القوم، ومجلس التداول لقضاياهم.

تسربل بالخشوع: أي ارتدى لباس الخضوع.

الورع: معناه الابتعاد وتجنّب المحرّمات والمشتبهات.

الخَيشوم: هو أعلى الأنف. والمقصود من دق الخيشوم، الكناية عن الذلّ والهوان، أي أن اللَّه سبحانه لأجل تلك الخصال يذلّهم.

الحيزوم: وسط الصدر.

الخِب: بكسرالخاء، معناه الخدعة والخُبث والغشّ.

مَلِق: بمعنى التملّق والتزلّف، «رجل مَلِق: يُعطي بلسانه ما ليس في قلبه» وهذا تفسير باللازم الأعمّ بل المعنى إظهار التلطّف والتودّد المشوب بالتخضّع رغم أن قلبه لا يكون كذلك.

لحلوائهم: معناها أجرة السمسار والكاهن، وما يدفع من قبيل الرشوة

والمقصود ما يدفع له الأغنياء مكافأة لأعماله التي أنجزها لهم، ولتنازله عن مواقفه الدينية.

الحطم: هو الكسر.

أعمى اللّه خَبَره: أي أعمى اللّه بصيرته.

تحنّك في بُرنُسه: يعني جعل تحت الحنك ـ الطرف من العمامة على الرأس ـ في برنسه. والبرنس، قلنسوة طويلة كان أهل العبادة في صدر الإسلام يضعونها على رؤوسهم... ولعله المقصود انه تفرّغ للعبادة.

الحندس: الليل، شديد المظلم.

فشد اللّه أركانه: إن «شدّ» بمعنى القوّة والمتانة، يقال شد عضده أي قوّاه. وإن «الرُكن» هو الذي يُعتمد ويُقام عليه.

*** إذاً، طالبو العلم ثلاثة:**

1 - يطلبُ العلم للجهل والمراء (الجدال والتّظاهر بالخشوع) (فهو يطلُب العلمَ ليظهر في المجتمع، ويقولون عنه إنّه متعلّم، ويجادل العلماء).

2 - صاحب الاستطالة (الّذي يطلب الرّفعة بين الأغنياء، ومنصبًا دنيويًّا، ويريد حصّة من حلوائهم وأموالهم، ويستطيل على أمثاله، ويتواضع للأغنياء).

3 - صاحب الفقه والعقل هو طالب العلم حقًّا، يقوم اللّيل، ويعمل خائفًا مشفقًا.

* ملاحظة:

إنّ النوعين الأوليين هما نتاج الجهل والضّلالة، ويمكن التّفصيل لأكثر من صنفين، ولكنّ الإمام الصّادق عليه السلام أراد أن ينبّه لهذين الصّنفين العظيمين والكبيرين، ولهذا نجد أنّ في روايات أخرى له عليه السلام يصنّف طلّاب العلوم في صنفين: «**من أراد الحديث لمنفعة الدّنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه اللّه خير الدّنيا والآخرة**»[1].

* كيفيّة الحصول على العلوم الصّحيحة:

إذًا، النّيّة الأساسيّة من وراء قصد طلب العلم هي المفصل، فإمّا أنّنا نطلب العلم لغايات نفسيّة ودنيويّة أو بهدف الوصول إلى الحقّ... فتطهير النّفوس وإخلاص النّيّة سيؤدّيان لفتح باب المعارف الإلهيّة، فهو القائل: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[2]، وأيضًا في الحديث: «**ليس العلم بكثرة التعليم، بل هو نور يقذفه اللّه في قلب من يشاء**»[3]. فالمقصود بالعلم ليس تجميع المصطلحات العلميّة، بل رفع حجب البصيرة.

* مفاسد المراء والجدال

عن الأمير عليه السلام: «**إيّاكم والمراء والخصومة، فإنّهما يمرضان القلوب**

(1) الكافي، الشيخ الكليني، المجلد1، كتاب فضل العلم، ح2.
(2) سورة البقرة، الآية 282.
(3) بحار الأنوار، المجلد1، كتاب العلم، ص225.

على الإخوان، وينبُتُ عليهما النّفاق»[1].

وعن أبي عبد اللَّه عليه السلام: «**إيّاكم والخصومة، فإنّها تشغل القلب، وتورث النّفاق، وتكسب الضّغائن**»[2].

ومن ضمن الصّفات الّتي ذكرها الإمام الصّادق عليه السلام لصاحب الجهل والمراء هو إيذاء النّاس، وسوء مجلسه، والتّصدّي للحديث للتّغلبّ على الآخرين، وإظهار الاتّصاف بالحلم والخشوع، وهذا نفاق ورياء وشرك. فهم يخدعون ويحتالون على النّاس، ويجعلون أنفسهم من أهل الإصلاح، وفي الحقيقة هم ذئاب وشياطين في هيكل إنسان، فيجب الابتعاد عن مصاحبة أشخاص كهؤلاء. عن أبي عبد اللَّه عليه السلام: «**لا ينبغي للمرء المسلم أن يؤاخِيَ الفاجر، ولا الأحمق، ولا الكذّاب**»[3].

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا ينبغي للمرء المسلم أن يواخي الفاجر؛ فإنّه يزيّن له فعله، ويُحب أن يكون مثله، ولا يعينه على أمر دنياه ولا أمر معاده، ومدخله إليه ومخرجه من عنده شَينٌ عليه**»[4].

إلهي، لا تجعلنا من النّاس الّذين ورد فيهم الحديث: «**... يطلع قوم من أهل الجنّة إلى قوم من أهل النّار فيقولون: ما أدخلكم النّار، وإنّما**

(1) أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب المراء والخصومة، ح1.
(2) أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب المراء والخصومة، ح8.
(3) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب العشرة، باب من تكره مجالسته، ح13.
(4) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب العشرة، باب من تكره مجالسته، ح3.

دخلنا الجنّة بفضل تعليمكم وتأديبكم؟ فيقولون: إنّا كنّا نأمركم بالخير ولا نفعله»[1].

واجعلنا ممَن قال فيهم الرّسول ﷺ: «**من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليُحيي به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنّة»**[2].

* علامات أهل الفقه والفلسفة:

يعيش حالة حزن وانكسار وهمّ لا لأجل الدّنيا، بل خوفًا ورهبة من يوم الميعاد، ويشعر دائمًا بالتّقصير في العبادات مهما تعبّد، فهذا هو نور العلم.

(1) وسائل الشيعة، المجلد 11، باب 10، ح12.
(2) سنن الدرامي، المجلّد 1، ص100.

24

العِلم

عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**دَخَلَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم الْمَسْجِدَ فَإِذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوا بِرَجُل، فَقَالَ: مَا هذَا؟ فقيل: عَلاَّمَةٌ، فَقَالَ: وَمَا الْعَلاَّمَةُ؟ فَقَالُوا لَهُ: أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَنْسَابِ العَرَبِ ووقائعها، وَأَيّام الجاهليّة، وَالأَشْعَارِ العربيّة، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: ذاكَ عِلْمٌ لاَ يَضُرُّ مَنْ جَهِلهُ وَلاَ يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: إِنَّما العِلْمُ ثَلاَثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلاهُنَّ فهو فَضْلٌ**»[1].

* أقسامُ العلوم:

علمٌ نافع، علمٌ ضارّ، علمٌ لا ينفع ولا يضرّ.

العلم ثلاثة:

1 - آية محكمة (علوم العقائد والعلوم العقليّة والمعارف الإلهيّة).

(1) أصول الكافي، المجلّد الأوّل، كتاب فضل العلم، باب صفة العلم وفضله، ح1.

2 - فريضة عادلة (علم الأخلاق).

3 - سنّة قائمة (العلوم التّعبّديّة، علم الفقه).

* ثلاث نشآتُ وعوالم:

1 - نشأة الآخرة، وعالم الغيب، ومقام الرّوحانية والعقل.

2 - نشأة البرزخ، وعالم متوسّط بين العالمين، ومقام الخيال.

3 - نشأة الدّنيا، ومقام الملك، وعالم الشّهادة.

* علامات العلوم النافعة:

﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ﴾[1].

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في صفات العلماء: «**يا طالب العلم، إنّ للعلم فَضَائل كَثيرة، فَرَأسُهُ التَّواضُعُ، وعينه البَرَاءَةُ منَ الحَسَد، وأُذُنُهُ الفهم، وَلِسَانُهُ الصِّدْقُ، وحفظُهُ الفَحْصُ، وَقَلْبُهُ حُسْنُ النية، وَعَقْلُهُ مَعْرِفَةُ الأشياء وَالأُمُور، وَيَدُهُ الرَّحْمَةُ، وَرِجْلُهُ زِيارَةُ العُلَمَاء، وَهِمَّتُهُ السَّلَامَةُ، وَحِكْمَتُهُ الوَرَعُ، وَمُسْتَقَرُّهُ النَّجَاةُ، وَقَائِدُهُ العافية، وَمَرْكَبُهُ الوَفَاءُ، وَسلاحُهُ لِينُ الكَلِمَة، وسيفُه الرِّضَا، وَقَوْسُهُ المُدَارَاةُ، وجيشه مُحَاوَرَةُ العُلَمَاء، وَمَالُهُ الأَدَبُ، وذَخيرتُه اجْتِنَابُ الذُّنوب، وَزَادُهُ المَعْرُوفُ، وَمَاؤُهُ المُوادَعَةُ، ودليلُه الهدى، ورفيقُه مَحَبَّةُ الأخيار**»[2].

(1) سورة فاطر، الآية 28.

(2) أصول الكافي، المجلّد 1، كتاب فضل العلم، باب النوادر، ح2.

24. العِلم

من آثار العلوم خشية اللَّه، فمن لا يخشى اللَّه ليس بعالم، ومن ليست فيه صفات العلماء -بحسب حديث الأمير- ليس بعالم، ومن لا يأتي الحكمة فليس بمخلص، خاصّة إذا أخلص أربعين صباحًا. إذًا، للوصول لمقام العلماء يجب تطبيق ما تعلّمناه ومجاهدة أنفسنا مباشرة بكلّ إخلاص، وإزالة أوهام النّفس ووساوس الشّيطان حتّى تظهر النّتائج.

25 الشّكّ والوسوسة

عن عبد اللَّه بن سنان: ذَكَرْتُ لأَبي عَبْد اللَّه عليه السلام رَجُلًا مُبْتَلًى بالوُضُوء وَالصَّلاَة، وَقُلْتُ: هو رَجُلٌ عَاقلٌ. فَقَالَ أبو عَبْد اللَّه عليه السلام: «وَأيُّ عَقْل لَهُ وَهُوَ يطيع الشّيطان؟»، فقلت لَهُ: وكيف يُطيع الشّيطان؟ فَقالَ: «سَلْهُ هذَا الَّذي يأتيه مِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ لَكَ: مِنْ عَمَلِ الشّيطان»[1].

- اِسأل من يشكّ ويسوس: لماذا تفعل هذا؟ يقول لك: من وسوسة الشّيطان! إذاً، هو يعبد الشّيطان، ويعصي اللَّه في الوسوسة!... فلا بدّ من العلاج للخروج من مكائد إبليس.. والعلاج سهل، وهو السّير والعمل بما أمرنا اللَّه ورسوله والأئمة به، وعدم اكتراثنا بالشّكّ، فبعد فترة يتركنا الشّيطان، وتذهب الوسوسة.

- **عن زرارة عن أبي بصير قالا: قُلْنَا لَهُ: الرَّجُلُ يَشُكُّ كثيرًا في صَلاَته حَتَّى لا يَدْري كَمْ صَلّى وَلاَ مَا بقيَ عليه؟ قَالَ: «يُعيد». قُلْنَا لَهُ: فَإِنَّهُ يَكْثُر عليه ذلِكَ، كُلَّمَا أَعَادَ شَكَّ. قَال: «يَمْضِي فِي شَكِّه»، ثُمَّ** قَالَ: **«لا**

---

(1) أصول الكافي، المجلّد الأوّل، كتاب العقل والجهل، ح10.

تُعَوِّدُوا الخبيث مِنْ أَنْفُسِكُمْ بِنَقْض الصّلاة فَتُطْمعوهُ؛ فَإِنَّ الشيطان خبيث يَعْتَادُ لِمَا عُوِّدَ، فلْيَمض أَحَدُكُمْ فِي الوَهْمِ، وَلاَ يُكْثِرَنَّ نَقْضَ الصَّلاَة، فَإنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذلكَ مَرّاتٍ لَمْ يَعُدْ إليه الشَّكُّ». قَالَ زُرَارَةُ: ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا يُرِيدُ الخبيثُ أَنْ يُطاعَ فَإِذَا عُصِيَ لم يَعُدْ إِلَى أَحَدِكُمْ**»[1].

- عن أبي جعفر عليه السلام: «**إذا كَثُرَ عليك السّهو، فَامْضِ فِي صَلَاتِكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَدَعَكَ، إِنَّمَا هُوَ مِنَ الشّيطان**»[2].

- قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من مؤمن إلّا ولقلبه في صدره أُذنان: أُذن ينفث فيها المَلك، وأُذن ينفُث فيها الوسواس الخنّاس، يؤيّد اللّه المؤمن بالمَلك، وهو قوله سبحانه: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾**»[3].

- بإسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول اللّه، أشكو إليك ما ألقى من الوسوسة في صلاتي، حتّى لا أدري ما صلّيت من زيادة أو نقصان، فقال: **إذا دخلت في صلاتك، فاطعن فَخذك الأيسر بإصبعك اليُمنى المسبحة، ثمّ قل: «بسم اللّه وباللّه، توكلت على اللّه، أعوذ باللّه السميع العليم من الشيطان الرجيم»، فإنّك تنحره وتطرده**»[4].

(1) فروع الكافي، المجلّد 3، كتاب الصلاة، ح2، ص358 - 359.
(2) المصدر نفسه.
(3) مجمع البيان، المجلّد العاشر، ص 571.
(4) فروع الكافي، المجلّد 3، ص 359.

26

طالب العلم

* فضل طالب العلم والعلماء:

عن النبي ﷺ: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فيه علْمًا سَلَكَ اللَّهُ به طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّة، وَإِنّ الْمَلائكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها لطالب الْعِلْم رِضًا به، وَإِنَّه يَسْتَغْفِرُ لطالب الْعلْم مَنْ في السماء وَمَنْ في الأَرض حَتَّى الحوتُ في الْبَحْر. وَفَضْلُ الْعالم عَلَى الْعابد كَفَضْلِ الْقَمَر عَلى سائر النُّجوم ليلة الْبَدْر، وَإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأنبياء، وَإِنَّ الأنبياء لَمْ يُوَرِّثُوا دينارًا ولا دِرْهمًا، وَلكن وَرَّثوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أخَذَ مِنْهُ أخَذَ بِحَظٍّ وافرٍ»**[1].

اعلم، أنّ ألفاظ هذه الرّواية لا تحتاج إلى الشّرح، ولكنّنا نشرح هذه الصفات التّي ذكرها رسول اللَّه ﷺ في فضل طالب العِلم والعُلماء، ضمن فصول:

---

(1) أصول الكافي، المجلد الأول، كتاب فضل العلم، باب ثواب العالم والمتعلم، ح1.

1. في بيان أنّ من سَلَك طَريق العِلم جَعلَه الحقّ المتعالي من السّالكين لطريق الجنّة.

لا بدّ من معرفة أنّ العلوم بصورة كلّيّة تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: العلوم الدّنيويّة التي هدفها الوصول إلى المآرب الدّنيويّة، على أساس أنّ النيّة قد تكون «**الأنانيّة**»، وقد تكون «**إلهيّة**».

والآخر: العلوم الأخرويّة التي يُقصد منها البلوغ إلى المقامات والدّرجات الملكوتيّة، والوصول إلى المراتب الأخرويّة.

ويكون المقصود من هذا العلْم في هذا الحديث حَسَب الآثار المذكورة لطلب العلم وللعلماء في هذه الرواية، هو النوع الثاني «**علم الآخرة**».

إنّ جميع العلوم الأخرويّة لا تخرج عن إطار الحالات الثلاثة، فهي إمّا:

- من قبيل العلم باللّه والمعارف الإلهية (**عِلْم العقيدة**).
- أو من قبيل عِلْم تهذيب النّفس والسّلوك إلى اللَّه (**عِلْم اللأخلاق**).
- أو من قبيل عِلْم الآداب وسُنَن العبودية (**عِلْم الفقه**).

ونقول هنا: إنّ تعمير نشأة الآخرة يرتبط بهذه الأمور الثلاثة.

وعليه تكون الجنّة أيضًا مُنقسِمة إلى جنّات ثلاثة:

- إحداها جنّة الذّات، وهي التّي تكون غاية العِلْم باللّه والمعارف الإلهيّة.

- وثانيها جنّة الصّفات وهي نتيجة تهذيب النّفس وترويض الرّوح.
- وثالثها جنّة الأعمال، وهي صورة أداء العبوديّة وآثارها.

⇦ إذًا: **سلوك طريق العلم، سلوك طريق الجنّة... العلم طريق إلى الجنّة.**

- والسرّ في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**سلك اللّه به طريقًا إلى الجنّة**»؛ أي أنّه من تأييده وتوفيقاته هو من يسلك بنا ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾[1].

2. في بيان أنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم حتى يطأ عليها.

اعلم، أنّ ملائكة اللّه على أصناف وأنواع كثيرة كلّهم جنود الحقّ المتعالي، ولا يعلمهم أحد إلّا الذّات المقدّس علّام الغيوب ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾[2].

* أصناف الملائكة

- صنف منهم ملائكة مهيمون، عاشقون، مجذوبون، لا يلتفتون نهائيًّا إلى عالَم الوجود، ولا يعرفون بأن اللّه قد خلق عالمًا أم لا، وإنّما هم مستغرِقون في جمال الحقّ وجلاله، ومنصهرون في كبرياء ذاته المقدّس. ويُقال إنّ «ن» المباركة في الآية الشريفة ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[3] إشارة إلى هذا الصنف من الملائكة.
- صنف آخر منهم، ملائكة مقربّون ومن سُكّان الجبروت الأعلى،

(1) سورة النساء، الآية 78.
(2) سورة المدثر، الآية 31.
(3) سورة القلم، الآية 1.

وهم أنواع كثيرون، ولكلّ منهم شأن وتدبير في العالم لا يكون لغيرهم من الملائكة.

- صنف ثالث، ملائكة عالم الملكوت الأعلى والجَنّات العُليا، على مختلف أصنافهم وتشتّت أنواعهم .
- صنف رابع، ملائكة عالم البرزخ والمثال.
- صنف خامس، الملائكة الموكّلون على عالم المُلك والطّبيعة، حيث يتولّى كل منهم أمرًا ويدبّر شأنًا، وهذا القسم من الملائكة المدبّرين في عالم الملك.

ومن هذا المنطلق، إنّ طَلَبة العلم والمعارف، والمتوجّهين إلى الحقّ والحقيقة، والسّالكين لسبيلِ رضا اللَّه من الأبناء الرّوحانيّين لآدم صفي اللَّه عليه السلام، الذين يكونون مسجودًا للملائكة ومطاعًا لتمام دائرة الوجود، هؤلاء يكونون محلّ عناية ملائكة اللَّه، ورعايتهم وتأييدهم، وإنّ مثل هذا المُلْكيّ الذّي تحوّل إلى وجود ملكوتي، وهذا الأرضيّ الذي أصبح سماويًا قد وطأت أقدامه أجنحة الملائكة، فإذا انفتحت عين بصيرته الملكوتيّة والمثاليّة لرأى بأنه مستقرّ على أجنحة الملائكة، وإنه يطوي المسافات بفضل تأييداتهم.

هذا بالنسبة إلى الذين -الأبناء الروحانيّين لآدم عليه السلام- هاجروا من المُلك إلى الملكوت، وإن كانوا لا يزالون في الطّريق.

وأما الذين، لا يزالون يعيشون في عالم المُلْك، ولم يطرقوا عالم الملكوت، فمِن المُمكن أن يكونوا محل تأييد ولطف الملكوتيّين، حيث يفترشون أجنحتهم تواضعًا لهم، وابتهاجًا بهم وبأعمالهم. كما أشير إلى ذلك في هذا الحديث الشّريف، وفي حديث المقداد رضي اللَّه عنه، أنه قال: «**سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم حتّى يطأ عليها رضًا به**»[1].

3. في بيان أنه يَستغفِر لطالب العلم من في السّماء ومن في الأرض

أشار كتاب اللَّه سبحانه في مواضع عدّة إلى تسبيح الموجودات بأسرها: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[3].

لا مانع من القول باستغفار كلّ شيء في السّماء والأرض للإنسان السالك لطريق العلم، المتوجّه إلى الحقّ المتعالي، الذّي هو زبدة عالَم الوجود، كما أنّه لا مانع من احتمال آخر، هو أنّ الكائنات الأخرى تعلم أنّ الوصول إلى مقام فناء ذات الإنسان المقدّس، والغرق في بحر الكمال، لا يتيسّر إلّا بتبع ذات الإنسان المقدّس الكامل العالِم باللَّه، العارِف للمعارف الإلهيّة، الجامِع للعلم والعمل -كما هو مقرّر في محلّه- فمِن هذه الجهة يسألون

(1) عوالي اللئالي، 106/1.
(2) سورة الجمعة، الآية 1.
(3) سورة الإسراء، الآية 44.

الحقّ سبحانه، الكمال الإنسانيّ، الذّي يحصل بالغرق في بحر غفّارية الحقّ، حتّى ينالوا بواسطته كمالاتهم اللّائقة بهم... واللّه العالم.

4. في بيان أنّ فضل العالِم على العابِد كفضل القمر على سائر النّجوم ليلة البدر

وهي ليالي الثّالث عشر والرّابع عشر والخامس عشر.

اعْلَم، أنّ حقيقة العلم والإيمان الذي يتقوّم بالعلم، عبارة عن النّور، وهذا الموضوع مضافًا إلى أنّه مطابق مع البرهان والعِرفان، وموافق لنصوص وأخبار أهل العصمة والطّهارة عليهم السلام أيضًا.

فالعلم عين النّور وقد عُبّر في الآيات الشّريفة عن الإيمان والعلم بالنّور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1].

وقد فسّر (النّور) حسب تفسير أهل بيت العصمة عليهم السلام في آية النّور المباركة بالعلم.

- فعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**اللَّه نـور السّمـوات والأرض**»، قال: كذلك اللَّه عزّ وجل، «**مثل نوره**» قال: محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، «**كمشكاة**» قال: صدر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، «**فيها مصباح**» قال: فيه نور العلم يعني النبوّة، «**المصباح في زجاجة**» قال: علّم رسول اللَّه صَدَر إلى قلب علي[2].

(1) سورة النور، الآية 40.

(2) توحيد الصدوق، باب تفسير آية النور، ح3، ص 157.

- وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**انا هادي السّماوات والأرض، مثل العلم الذي أُعطيته وهو النور الذي يُهتدى به، مثل المشكاة فيها المصباح، فالمشكاة قلب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، والمصباح نوره الذي فيه العلم**»[1].

وفي رواية قال: «**فالمؤمن ينقلب في خمسة من النّور: مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومصيره إلى الجنّة يوم القيامة نور**»[2].

وورد في الحديث المعروف: «**العلم نور يقذفه اللّه في قلب من يشاء**»[3].

ولهذا النّور مراتب، حسب مراتب إيمان ذوي النّور وعلمه.

ولا بدّ من معرفة أنّ هذا النّور الحقيقيّ الموجود في قلوب أهل الإيمان والعلم، لمّا كان من أنوار عالم الآخرة، يُنير في عالم الآخرة حسب فعاليّة النّفس بالنّور الحسّي. وحيث إنّ هذا النّور هو الذي ينير الصّراط، يكون نور طائفة، مثل نور الشّمس، وأخرى مثل نور القمر، حتّى ينتهي الأمر إلى نور يضيء أمام قدميه فقط.

وعندما عَلمنا أنّ العلم نور وظهور حقيقة من دون شائبة مجاز، لا بدّ من أن نعرف بأنّنا نحن المساكين الذّين ما دمنا نعيش في حجب ظلمات

(1) تفسير نور الثقلين، المجلدالثالث، ص 105 .
(2) تفسير البرهان، المجلد 3، ص 135 .
(3) بحار الأنوار، المجلد الأول، ص 225 .

الطّبيعة، وفي اللّيل المظلم من عالم المُلك، نكون محجوبين عن العلم: الشّمس الحقيقيّة، والنّور المتزايد للعلم والوعي.

«النّاس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

وعندما نفتح أعيننا، نرى العالم نيّرًا بمثل ما نرى الشّمس والقمر نيّرين، فبنوره في هذا العالم، تُضاء القلوب المظلمة، وتُحيي أموات الجهل، وفي ذلك العالم أيضًا نوره يحيط ويشفع، من خلال إحاطته النوريّة، للمقتبسين من مشكاة علمه، والمرتبطين بساحة قدسه.

ولا بدّ من أن نعرف بأن العبادة لا تتحقّق من دون علم أيضًا، ومن هنا يكون للعابد نور مخصوص به، بل إنّ نفس الإيمان وعبادة الحقّ المتعالي من سنخ النّور، ولكنّ نور العابد يضيء لنفسه، وينير تحت أقدامه، ولا ينير للآخرين؛ ولهذا يكون مَثَلهم مَثَل النجوم ليلة البدر، حيث تختفي أنوارها أمام نور القمر ليلة البدر، وإنما تضيء لنفسها من دون أن تنفع الآخرين وتسطع لهم. فمَثَل العابد أمام العالم، لا يكون مثل النّجمة في اللّيل المظلم حتى ينير قدْرًا من المساحة المحيطة بالنّجمة وإنما يضيء بمثل إضاءة النّجمة ليلة البدر حيث تكون ظاهرة وغير مظهرة لشيء آخر.

5. في بيان أنّ العلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام

هذه الوراثة روحانيّة، وولادة العلماء من الأنبياء ولادة ملكوتيّة، والإنسان كما يكون حسب نشأته المُلكيّة والجسميّة، وليد المُلك والطبيعة فبعد

تربية الأنبياء للإنسان، وحصول مقام القلب له، تكون له ولادة مَلكوتيّة.

وكما أنّ منشأ تلك الولادة المادّيّة، الأب الجِسمانيّ، يكون منشأ هذه الولادة الأنبياء عليهم السلام، فيكونون الآباء الرّوحانيّين، وتكون الوراثة، وراثة روحانيّة باطنيّة، والولادة ولادة ثانويّة ملكوتيّة. وتكون التربية والتعليم بعد الأنبياء من شؤون العلماء، الورثة الحقيقيّين للأنبياء (على المستوى الروحيّ)، أمّا أولاد الأنبياء الجسمانيون فهم الذين يرثون حسب هذا المقام الدّرهم والدّينار.

27

حضورُ القَلب

عن أبي عبد اللّه عليه السلام: «**في التّوراة مكتوب: يا بن آدم، تفرّغ لعبادتي أملأْ قلبك غنىً، ولا أكلك إلى طلبك، وعليّ أن أسدّ فاقتك، وأملأَ قلبك خوفًا منّي، وإن لا تفرغ لعبادتي أملأْ قلبك شغلًا بالدّنيا ثمّ لا أسدّ فاقتك وأكلك إلى طلبك**»[1].

- إنّ العبادةَ دون حضور القلب غير مُجدية. ولا يمكن تحقيق حضور القلب دون تكريس الوقت له، كما أنّنا نكرّس وقتًا لكسب المال و... وخاصّة موضوع الصّلاة والتّهاون فيها...

- عن محمد بن يعقوب الكلينيّ بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**لا تتهاون بصلاتك، فإن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال عند موته: ليس منّي من استخفّ بصلاته، ليس منّي من شرب مسكرًا، لا يرِد عليّ الحوض، لا واللّه**»[2].

- وبإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو الحسن الأوّل عليه السلام: «**لمّا**

(1) أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب العبادة، ح1.
(2) فروع الكافي، المجلّد الثالث، ص 269 ـ 270 .

حضرت أبي الوفاة، قال لي: يا بنيّ، لا ينال شفاعتنا مَن استخفّ بالصلاة»[1].

هل نعلم ماذا يعني الخروج من تحت ظلّ شفاعة محمّد وآله صلى الله عليه وآله وسلم؟

- فنَحن عِندما نكبّر تكبيرة الإحرام، نبدأ بحلّ المشاكل كلّها التي تواجهنا ونتذكّر أنفسنا في النّهاية. لماذا عند التّحدث مع صديق نتوجه إليه بكلّ وجودنا؟ أمّا مع وليّ النّعم وربّ العالمين، فننصرف إلى غيره؟ هل إنّ العباد يقدّرون الصديق أكثر من الذّات المقدّسة؟ يجب مهما كلّف الثّمن تفريغ القلب للّه سبحانه.

- اشتهر عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أنّ سهمًا قد أصاب رجله المباركة، فلم يستطع أن يتحمّل ألم انتزاعه من رجله، فقام وصلّى، وفي أثناء اشتغاله بالصلاة، نُزِع له السهم من دون أن ينتبه أصلًا.

- **عزيزي:** إنّ هذا الموضوع -عدم إدراك الألم حين التوجّه إلى شيء- ليس من الأمور الممتنعة، فإن له أمثلة كثيرة في الأمور العاديّة من حياة الناس. إنّ الإنسان عند هيجان الغضب أو المحبة، يغفل عن كلّ شيء...

(1) فروع الكافي، المجلّد 3، ص269 - 270.

* أحاديث الصّلاة

- عن أبي عبد اللَّه عليه السلام: «**إنّما لَكَ منْ صَلاَتك مَا أَقْبَلْتَ عليه فيها، فَإنْ أوهمَها كلّها أوْ غفَلَ عَنْ آدابها، لُفَّتْ فَضُرِبَ بها وَجْهُ صاحبها**»[1].

- وعن أبي حمزة الثّمالي: رَأيْتُ عَليَّ بَنَ الحسين عليه السلام يُصَلِّي فَسَقَطَ رِداؤُهُ عَنْ مَنْكبه، فَلَمْ يُسَوِّه حَتّى فَرَغَ منْ صَلاَته. قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذلكَ، فَقالَ: «**وَيْحَكَ، أَتَدْري بين يَدَيْ مَنْ كُنْتُ؟ إنَّ العَبْدَ لاَ يُقْبَلُ منْهُ صَلاَةٌ إلّا مَا أقْبَلَ عليه منها، فَقُلْتُ: جُعلْتُ فداكَ هلكنا. قَالَ: كَلّا، إنَّ اللَّهَ مُتَمِّمٌ ذلكَ للمؤمنين بالنَّوافلِ**»[2].

- وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**لا يَقومَنَّ أحَدُكُمْ في الصَّلاة مُتَكَاسلاً وَلاَ نَاعسًا، وَلاَ يُفَكِّرَنَّ في نَفْسه، فَإنَّهُ بين يَدَيْ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ، وَإنَّمَا للْعَبْدِ مَنْ صَلاَته مَا أقْبَلَ عليه منها بقَلْبه**»[3].

- وعنه عليه السلام: «**إنّي لأُحبُّ للرَّجُلِ المُؤْمن منْكُمْ إذَا قَامَ في صَلاة فَريضَةٍ أَنْ يُقبلَ بقَلْبه إلَى اللَّه، وَلاَ يَشْغُلَ قَلْبَهُ بأَمْر الدّنيا، فليس منْ عَبْد يُقْبلُ بقلْبه في صَلاَته إلَى اللَّه تعالى إلّا أَقْبَلَ اللَّهُ إليه بوجهه، وَأَقْبَلَ بقُلوبِ المؤمنين إليه بِالمَحَبَّة بَعْد حُبِّ اللَّه إيّاهُ**»[4].

---

(1) فروع الكافي، المجلّد 3، كتاب الصلاة، ح4، ص363.
(2) وسائل الشيعة، المجلّد 4، الباب 3، ح6 و4.
(3) وسائل الشيعة، المجلّد 4، الباب 3، ح6 و4.
(4) وسائل الشيعة، المجلد 4، الباب الثاني، ح 6.

- وعن محمّد بن عليّ بن الحسين، صدوق الطائفة، بإسناده عن عبد اللَّه بن أبي يعفور، قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: «**يا عبد اللَّه، إذا صلّيت فصلّ صلاة مودّع، يخاف أن لا يعود إليها أبدًا، ثمّ اصرف ببصرك إلى موضع سجودك، فلو تعلم مَن عن يمينك وشمالك لأحسنت صلاتك، واعلم أنّك بين يدَي من يراك ولا تراه**»[1].

- إنّ أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده المعصومين يسألون اللَّه سبحانه في المناجاة الشعبانية قائلين:

«**إلهي، هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنِر أبصار قلوبنا بضياء نَظَرِها إليك، حتّى تخرق أبصار القلوب حُجُب النور، فتصِل إلى معدن العَظَمَة، وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك**»[2].

إلهي، أيّة بصيرة هذه البصيرة القلبيّة النورانيّة التي سألها أولياؤك، ورجوك أن يصلوا إليك بها!

إلهي، ما هي هذه الحجب النوريّة التي يتداول ذكرها على ألسنة أئمّتنا المعصومين عليهم السلام! إلهي، ما هو معدن العظمة والجلال وعزّ القدس والكمال، الذي يكون منتهى طلب هؤلاء الكبار، ونحن منه محرومون حتّى عن استيعابه العلميّ فكيف بتذوقه وشهوده! إلهي، نحن عبادك المسودّة

(1) وسائل الشيعة، المجلّد الرّابع، الباب الثاني من أبواب أفعال الصلاة، ح 5.
(2) مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية.

وجوههم، والمظلمة أيّامهم، لا نعرف شيئًا عدا طعامنا وشرابنا وراحتنا وبغضنا وشهوتنا، ولا نفكّر يومًا في معرفة هذه الأمور، فانظر إلينا بلطفك، وأيقظنا من سُباتنا، وأزل عنا هذا السُكر الذي قد غشينا.

وعلى أيّ حال، يكفي لأهل المعرفة هذا الحديث الواحد، حتّى ينفقوا جلّ عمرهم لتحصيل الحبّ الإلهيّ، ويتمتّعوا بالإقبال على اللّه. ولكن أمثالنا الذين لا يكونون جيّاد هذه الساحة، وفرسان هذا الميدان، نتشبّث بأحاديث أخرى:

- عن ثواب الأعمال: بإسناده عمّن سمع أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: «**من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما، انصرف وليس بينه وبين اللّه ذنب إلّا غفر له**»[1].

وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**ركعتان خفيفتان في تفكُّر خير من قيام ليلة**»[2].

⇦ هذا ما يطلبه أئمتنا عليهم السلام منّا، ونحن نطلب الدّنيا!

* حضور القلب

هو روح العبادة، والذي ترتبِط به حقيقة العبادة، وله مراتب.

(1) وسائل الشيعة، المجلّد الرابع، الباب الثاني والثالث من أبواب أفعال الصلاة، ح 7 و ح 5.
(2) المصدر نفسه.

- **مراتب حضور القلب**

العبادات بأسرِها ثناء -مدح- للمعبود، لكن كلّ منها ثناء للحقّ سبحانه، بواسطة نعتِ -وصف- اسم من الأسماء، إلاّ الصلاة، فإنّها ثناء للحقّ مع جميع الأسماء والصِفات. فيكون حضور القلب منقسِم إلى قسمين:

1 - حضور القلب في العبادة، وله مرتبتان:

المرتبة الأولى: حضور القلب في العِبادة إجمالًا

فيعلم إجمالًا أنّه يثني على المعبود، رغم أنّه لا يعرف معنى الذي يقوم به. كالطّفل الذي تُعطيه قصيدة مدح السلطان، يعلم أنّه يمدحه، ولكن لا يعلم المعاني.

المرتبة الثانية: حضور القلب في العبادة تفصيلًا وله مرتبتان:

الأولى: الالتفات إلى معاني الألفاظ في مثلِ الصلاة والدعاء.

الثانية: أن يعرف -حسب الإمكان- أسرار العبادة، وكيفيّة ثناء المعبود في الأحوال كلّها.

2- حضور القلب في المعبود، وله مراتب عمدتها ثلاثة:

أ. حضور القلب في تجلّيات الأفعال، وله أربع مراتب:

- **المرتبة العلمية:** أن يدرك العابد عن يقين وبرهان، أنّ مراتب

الوجود (عالم الوجود) قَبَس من فيوضات الذّات، وحاضر في ساحة قُدسه.

- **المرتبة الإيمانية:** هي أن يسجّل مع قلم العقل على لوح القلب هذه القضيّة الإيمانيّة، ويبلغ حضور القلب مرتبة تجلّي الإيمان.
- **المرتبة الشهودية:** فبَعْد حصول الهِداية الإلّهية، يحصل في قلبه قَدَر من تجلّيات الأفعال بالعيان والشهود.
- **المرتبة الفنائية:** يتكامل السالك حتّى يُصبح القلب كلّيًّا مرآة للتجلّيات، ويحصل للسالك الصعق والفناء.

ب. حضور القلب في تجلّيات الأسماء والصفات:

فبعد فناء الحاضر في تجلّيات الأفعال، وإذا كان قلب السالك مؤهّلًا لأكثر من ذلك، يحصل له الأُنس، ويعود إلى عالمه، ويكون موردًا لتجلّي الأسماء (المراد تجلّي الأسماء الإلهيّة على قلبه)، ويطوي تلك المراتب الأربعة (العلميّة - الإيمانيّة - الشهوديّة - الفنائيّة)، (ولكن مع ملاحظة الأسماء الصِفاتيّة للّه سبحانه)، ويصل إلى مرحلة الفناء في الصفات.

ج. حضور القلب في تجلّيات الذّات:

وهو إذا كان للسالك استعدادٌ أكثر من جرّاء تجلّي الفيض الأقدس في عالم الأزل، يصحو من تجليّات الأسماء والصّفات، ويصير محلًّا للتجليّات

الذّاتيّة، ويطوي المراتب الأربعة (العلميّة - الإيمانيّة - الشهوديّة - الفنائيّة)، مع ملاحظة الذّات حتى يصل إلى مرحلة الفناء الذّاتي، وهو نِهاية المسير.

- ولا بدّ من معرفة أنّ العبادات والكيفيّات المعنويّة لها، تختلف كثيرًا لدى كل واحد من أصحاب هذه المقامات المذكورة وتتفاوت، ولكلّ واحد منهم حظ ونصيب من المناجاة مع الحقّ المتعالي، لا يكون لغيره الذي لم يبلغ ذلك المقام. ومن الواضح، أنّ ما حصل للإمام الصادق عليه السلام لدى العبادة لا يمكن أن يحصل للآخرين.

لقد نقل عن كتاب (فلاح السائل) للسيّد ابن طاووس قدس سره أنه قال: «**روي أنّ مولانا جعفر بن محمّد الصادق** عليه السلام **كان يتلو القرآن في صلاته فغشي عليه، فلمّا أفاق، سُئل: ما الذي أوجب ما انتهت حالك إليه؟ فقال ما معناه: ما زلت أكرّر آيات القرآن حتّى بلغت إلى حال كأنّني سمعتها مشافهة ممّن أنزلها على المكاشفة والعيان، فلم تقم القوّة البشريّة بمكاشفة الجلالة الإلهيّة**»[1].

والحال التي كانت تحصل لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، لم تحصل لأحد من الكائنات كما ورد في الحديث المشهور «**لي مع اللَّه حال لا يسعه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل**»[2]. وعليه أترك هذا الموضوع الذي لا حظ لي فيه

(1) فلاح السائل، ص 107.
(2) كتاب أحاديث المثنوى.

إلا الألفاظ. ولكنّ المهم لأمثالنا هو أننا المحرمون من مقامات الأولياء. إن لا نجد هذه المقامات بل نسلّم بها فإن في التسليم لأمر الأولياء فوائد كثيرة وفي الإنكار والعياذ باللَّه مفاسد. اللهم إني مسلّم لأمرهم ـ صلوات اللَّه عليهم أجمعين.

مثال تقريبي معرفيّ: يمكن للعالم أن يتعرّف إلى الإنسان عن طرق ثلاثة:

1. تارة عن طريق أفعاله، كالبنّاء والرسّام والمهندس... فيقال بناء فلان، أيّ فعله...
2. وتارة عن طريق صفاته، كالصّادق والعادل والكريم ... فيقال: جاء الكرم، ويقصد به فلان ...
3. وتارة عن طريق ذاته مباشرةً، كأغلب المعارف لدينا كما ذكر: أإنك أنت يوسف، فعرفوه بنفسه.

* تجسّم الأعمال وبعض أسرار العبادة:

لا شكّ في أنّ الأعمال تتجسّد: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[1]، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾[2].

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ صَلّى الصَّلَواتِ المَفْروضاتِ في أوّل وقتها، وَأَقَامَ حدودها، رفعها المَلَكُ إِلَى السَّماءِ بيضاء نقيّة تَقولُ: حَفِظَكَ**

(1) سورة الزلزلة، الآيتان 7-8.
(2) سورة الكهف، الآية 49.

اللّهُ كَمَا حَفظْتَني، اسْتَوْدَعَني مَلَكٌ كَرِيمٌ. وَمَنْ صلّاها بَعْدَ وقتها منْ غير علّة، وَلَمْ يُقمْ حدودها، رفعها المَلَكُ سَوْداءَ مُظْلمَةً، هي تهتف به: ضيّعتني، ضيّعك اللّهُ كَمَا ضيّعتني، وَلاَ رَعَاك اللّهُ كَمَا لَمْ تَرْعَني»[1].

* إدخال السّرور على قلب المؤمن يتجسّد للعبد

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إذا بَعَثَ اللّهُ المُؤمنَ منْ قَبْره خَرَجَ مَعَهُ مثالٌ يقْدُمُ أَمَامَهُ، كُلَّمَا يرى المُؤْمنُ هَولًا منْ أهوال يَوْم القيامة، قَالَ لَهُ المثالُ: لاَ تَفْزَعْ وَلاَ تَحْزَنْ وَأَبْشرْ بالسُّرور وَالكَرَامَة منَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ، حَتى يَقفَ بين يَدَي اللّه عَزَّ وَجَلَّ، فيُحَاسبُه حسابًا يسيرًا، وَيَأْمُرُ به إلَى الجَنَّة، وَالمثالُ أَمَامَهُ، فيقول لَهُ المُؤْمنُ: يَرْحَمُكَ اللّهُ، نعْمَ الخَارجُ، خَرَجْتَ مَعي منْ قَبْري وَمَا زلْتَ تُبَشِّرُني بالسُّرُور وَالكَرَامَة منَ اللّه حَتّى رَأَيْتُ ذلكَ، فيقول: مَنْ أَنْتَ؟ فيقول: أَنَا السُّرُورُ الَّذي كُنْتَ أَدْخَلْتَهُ عَلَى أخيك المُؤْمنِ في الدّنيا، خَلَقَني اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ منْهُ لأُبَشِّرَكَ»**[2].

وفي هذا الحديث الشريف -أيضًا- دلالة واضحة على تجسّم الأعمال في نشأة الآخرة . كما ذكر الشيخ الأجلّ بهاء الدين قُدِّسَ سِرُّهُ -أيضًا- إثر ذكره لهذا الحديث: (وقد ورد في بعض الأخبار تجسّم الاعتقادات -أيضًا- فالأعمال الصالحة والاعتقدات الصحيحة تُظهر صورًا نورانيّة مستحسنة موجبة لصاحبها كمال السرور والابتهاج. والأعمال السيّئة والاعتقادات

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 3، الباب 3، ح17، ص90.

(2) أصول الكافي، المجلد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب إدخال السرور على المؤمنين، ح8.

الباطلة تُظهر صورًا ظلمانيّة مستقبحة، توجب غاية الحزن والتألّم، كما قاله جماعة من المفسّرين في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾[1]. ويرشد إليه قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[2].

ومن جعل التقدير ليروا جزاء أعمالهم، ولم يرجع ضمير يره إلى العمل فقد بعد عن الحقّ)[3].

⇦ فعليه، يجب المراقبة والمحاسبة قبلَ فوات الأوَان.

الطريق صعب وطويل، فلننظر كيف كان عليّ عليه السلام يعبد اللَّه، وكيف أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان يبكي على والده السّجّاد من كثرة صلاته وعبادته، وهذا حال الأوصياء المخلصين الّذين يعبدون اللَّه سبحانه وتعالى.

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**وَاللَّه، مَا أكَلَ عَليٌّ بْنُ أبي طالب عليه السلام مِنَ الدّنيا حَرامًا قَطُّ حَتّى مَضَى لسبيله، وَمَا عَرَضَ لَهُ أَمْران كلاهُمَا للَّه رضًا إلّا أخَذَ بأَشَدِّهمَا عليه في بَدَنه، وَمَا نَزَلَتْ برَسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم نازلَةٌ قطُّ إلّا دَعَاهُ ثقةً به، وَمَا أطَاقَ أحَدٌ عَمَلَ رَسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ هذه الأُمَّة غيره، وَإنْ كَانَ ليعملَ عَمَلَ وَجِلٍ كَانَ وجهُهُ بين الجَنّة وَالنّارِ، يَرْجُو ثوَابَ هذه، وَيخافُ عِقابَ هذه.**

(1) سورة آل عمران، الآية 30.

(2) سورة الزلزلة، الآيات 6 – 8.

(3) أربعين الشيخ البهائي ص 200، شرح حديث 33 عن مرآة العقول، ج 9، ص 94.

وَلَقَدْ أَعْتَقَ منْ مَاله أَلْفَ مَمْلوك في طَلَب وَجْه اللَّه وَالنَّجَاة منَ النَّار ممّا كَدَّ بيديه، وَرَشَحَ منْهُ جبينُه. وَإِنَّهُ كَانَ لَيَقوتُ أَهْلَهُ بالزَّيْت وَالخَلِّ وَالعَجْوة، وَمَا كَانَ لِبَاسُهُ إِلّا كرابيس إذا فَضَلَ شَيْءٌ عَنْ يَدِه دَعا بِالجَلَم فَقَصَّهُ».

وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبهًا به في لباسه وفقهه من عليّ بن الحسين عليه السلام، وَلَقَدْ دَخَلَ أبو جَعْفَر عليه السلام ابْنُهُ عليه، فَإذَا هُوَ قَدْ بَلَغَ منَ العبَادَة مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ، فَرَآهُ قَد اصْفَرَّ لَوْنُهُ منَ السّهر، وَرَمَضَتْ عيناه منَ البُكَاء، وَدَبِرَتْ جبهته، وَانْخَرَمَ أَنْفُهُ منَ السُّجود وَوَرِمَتْ سَاقَاهُ وَقَدَمَاهُ منَ القيام في الصَّلاَة.

قال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال، إلّا البكاء فبكيت رحمةً له، فإذا هو يفكّر، فالتفت إليّ بعد هنَيئة من دخولي، فقال: يا بنيّ، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأعطيته فقرأ فيها شيئًا يسيرًا، ثمّ تركها من يده تضجّرًا، وقال: مَن يقوى [على] عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

عزيزي: فكّر قليلًا في هذه الأحاديث الشريفة، وانظر إلى الإمام الباقر عليه السلام المعصوم الذي بكى من شدّة وكيفيّة عبادة أبيه. وإلى الإمام السجّاد عليه السلام، رغم شدّة محافظته على العبادة وكمالها، والتي بعثت على بكاء ابنه الإمام الباقر عليه السلام، أنه صلوات اللّه عليه قرأ شيئًا يسيرًا من صحيفة عمل جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام، وأظهر عجزه. ومن المعلوم

(1) الإرشاد، ص 255 ـ 256.

أنّ الجميع، عاجزون عن عبادة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وأن الناس عاجزون عن عبادة المعصومين عليهم السلام، ولكن لا يجوز للإنسان العاجز عن نيل المقام العالي أن يترك العبادات نهائيًا.

لا بدّ من معرفة أن هذه العبادات -والعياذ باللَّه- لا تكون عبثًا، بل إنّ إبداء أهل المعرفة الحقيقيين العجز والذل وإلحاحهم في الدّعاء والمسألة، من أجل أنّ الطّريق ضيق ومحفوف بالمخاطر، وأنّ مضاعفات الموت والقيامة، صعبة للغاية. إن هذه اللامبالاة التي نعيشها تكون نتيجة ضعف إيماننا ووهن عقيدتنا وجهلنا.

إلهي أنت واقف على حقيقتنا، وعالم بقصورنا وتقصيرنا، وضعفنا وعجزنا.

أنت غمرتنا برحمتك قبل أن نسألك. وابتدأتنا بنعمك، وتفضّلت علينا من دون طلب والتماس. نحن نعترف بتقصيرنا وكفرنا لآلائك اللامتناهية، ونجد أنفسنا من المستحقّين لعذابك الأليم، ودخول الجحيم ولا نملك شيئا يسعفنا ووسيلة تعيننا، إلا ما عرّفتنا به على لسان أنبيائك من التفضّل والترحّم وسعة جودك ورحمتك، فقد عرفناك بهذه الصفات حسب فهمنا واستيعابنا. فماذا تصنع مع حفنة تراب إن لم ترحمه وتتفضّل عليه؟

أين رحمتك الواسعة؟ أين أياديك الشاملة؟ أين فضلك العميم؟ أين كرمك يا كريم؟

* في بيان أنّ التفرّغ في العبادة يوجب الغنى في القلب

«تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك غنى»

إذًا، فالتفرّغ للعبادة يوجِب الغنى في القلب؛ أي في النّفس. الثّراء لا يغني النّفس، بل لا يمسك الثّريّ أكثر في الدّنيا، وكلّما اتّجه لتعمير الدّنيا كلَما بدا عليه غبار الذّلّ والمسكنة والحاجة أكثر، وكلما ابتعدَ الإنسان عن الدّنيا، وعرف أنَهُ لا يملك لنفسه شيئًا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1]، كلّما استغنى عن العالمين أكثر، وبلغ درجةً لا يرى فيها لمُلك سليمان شيئًا.

ولذلك، يجب إعطاء القلب لأهله، والبيت إلى صاحبه، حينها يتجلّى الغنيّ المطلق في القلب، فيورث الغناء المطلق ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وينهض صاحب البيت بإدارة أموره، فيتدّخل ويتصرّف في جميع أمور عبده، بل يصبح هو سمعه وبصره ويده ورجله، وتتحقّق بذلك ثمرة التّقرّب بالنّوافل **«وإنّه ليتقرّب إليّ بالنّافلة حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعَه الّذي أسمع به، وبصَرَه الّذي يبصر به، ولسانه الّذي ينطق به، ويدَه الّتي يبطش بها»**[3].

(1) سورة فاطر، الآية 15.
(2) سورة المنافقون، الآية 8.
(3) أصول الكافي، المجلد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب من آذى المسلمين، ح8.

حينها يرتفع الخوف من الكائنات، وتصبح المخافة من الحقّ، أمّا من لا يتفرّغ للعبادة تشغله الدّنيا، ويوكله الحقّ إلى نفسه.

ونختم بحديث لإمامنا علي بن الحسين عليه السلام: «**أَسْتَنكِفُ أن أطلُب الدّنيا من خَالِقِها فَكيفَ بطلَبِها من مخلوقٍ مثلي**»[1]

(1) عِللِ الشرائع، ج1، باب 165، ح3.

28

لِقاءُ اللَّه

عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «**قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! مَنْ أَحَبَّ لقاء اللَّه أَحَبَّ اللَّه لقَاءهُ؟ وَمَنْ أَبْغَضَ لقَاء اللَّه، أبْغَض اللَّه لقاءهُ؟ قالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَوَاللَّه، إنّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ! فَقالَ: ليسَ ذلكَ حيث تَذهب، إنَّما ذلكَ عنْدَ الْمُعايَنَة، إذا رَأى ما يُحبُّ، فليس شَيْءٌ أَحَبَّ إليه منْ أنْ يُقدم علَى اللَّه، وَاللَّهُ تعالَى يُحبُّ لقاءَهُ وَهُوَ يُحبُّ لقاءَ اللَّه حينئذ، وَإذا رَأى ما يكْرَهُ، فليس شَيْءٌ أَبْغَضَ إليه مِنْ لِقاءِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ وَاللَّهُ عزَّ وجلَّ يُبْغِضُ لقاءَهُ**»[1].

- ولا بدّ أن نعرف أنّه ليس مقصود مَن أجاز فتح الطّريق على لقاء اللَّه، ومشاهدة جمال الحقّ وجلاله، جواز اكتناه -التعرّف إلى الحقيقة والذّات- ذاته المقدّس، أو إمكان الإحاطة في العلم الحضوريّ والمشاهدة العينيّة الروحانيّة، على ذاته، المحيط بكلّ شيء على الإطلاق، فإنّ امتناع الاكتناه لذاته المقدّس بالفكر في العلم الكلّيّ -الفلسفة- وامتناع الإحاطة بالبصيرة في العرفان، من الأمور البرهانيّة، ومتّفق عليه لدى جميع العقلاء، وأرباب القلوب

(1) فروع الكافي، المجلد الثالث، كتاب الجنائز، باب ما يعاني المؤمن والكافر، ص134.

والمعارف، بل المقصود لدى مَن يدّعي مقام لقاء اللَّه هو: أنّه بعد حصول التقوى التّامة والكاملة، وانصراف القلب نهائيًّا عن جميع العوالم، ورفض التوجّه نحو النشأتين -المُلك والملكوت- ووطأ الأنانيّة والإنّيّة، والإقبال الكليّ نحو الحقّ المتعالي وأسماء ذاته المقدّس وصفاته، والانصهار في عشق ذاته المقدّس وحبّه، وتحمّل جهد وترويض القلب، يحصل صفاء في القلب لدى السالك يبعث على تجلّي أسمائه وصفاته، وتمزّق الحجب الغليظة التي أسدلت بين العبد من جهة والأسماء والصفات من جهة أخرى، والفناء في الأسماء والصفات، والتعلق بعزّ قدسه وجلاله، والتدلّي التامّ بذاته. وفي هذه الحال، لا يوجد حاجز بين روح السالك المقدّسة والحقّ المتعالي سوى حجاب الأسماء والصفات.

- ويمكن أن يرفع الستار النوريّ للأسماء والصفات لبعض أرباب السلوك أيضًا، وينال التجلّيات الذاتيّة الغيبيّة، ويرى نفسه متدلّيًا ومتعلّقًا بالذّات المقدّس، ويشهد الإحاطة القيّوميّة للحقّ والفناء الذاتيّ لنفسه، ويرى بالعيان أنّ وجوده ووجود كافة الكائنات، ظلًّا للحّق المتعالي.

- وكما قامت البراهين على أنّه لا حجاب بين الحقّ سبحانه والمخلوق الأوّل المجرّد عن جميع المواد والتعلّقات، بل البرهان قائم على عدم وجود حجاب بين الحقّ وكافة المجردات بشكل عام، فكذلك لا يوجد حجاب بين هذا القلب الذي بلغ في سَعَتَه

وإحاطته الموجودات المجرّدة، بل اجتازها ووطئ بأقدامه على رؤوسها، وبين الحقّ المتعالي. كما في الحديث الشّريف: «**إنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالًا بروح اللَّه من اتّصال شعاع الشمس بها**»[1].

وفي الكتاب الإلهيّ الشّريف، لدى حكاية معراج الرّسول الأكرم ﷺ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[2].

- فانظر الآن، ما جدوى هذه التوجيهات والتأويلات البعيدة؟ هل نستطيع أن نوجّه كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الذي يقول «**فهبني صبرت على عذابك، فكيف أصبر على فراقك؟**»[3]. هل أنّ تحرّق وتألّم أولياء اللَّه، من فراق حور العين وقصور الجنّة؟ وهل يمكن تفسير هذه الجملة: «**ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا في جنّتك، بل وجدّتك أهلًا للعبادة، فعبدّتك عبادة الأحرار**»[4].

على أنّ هذا الأنين من جرّاء الفراق عن الجنّة وأطعِمَتها؟ هيهات أن يكون ذلك. إنّه لكلام غير موزون، وتوجيه غير مقبول.

هل يمكن القول، إنّ تجلّي جمال الحقّ سبحانه ليلة المعراج، والمجلس الذي أقيم في تلك الليلة من دون أن يحضرها أحد من الكائنات، أولم

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب أخوة المؤمنين، ح 4.
(2) سورة النجم، الآيتان 8 - 9.
(3) مفاتيح الجنان، دعاء كميل.
(4) وسائل الشيعة، ج1، باب 9، ح1.

يطّلع على أسراره أحد، حتّى أمين الوحي جبرائيل، بأنّه مشاهدة للجنّة وقصورها المشيّدة، وأنّ أنوار العظمة والجلال هي رؤيته لِنعَم الحقّ؟

هل أنّ التجلّيات التي حصلت للأنبياء عليهم السلام، والتي ورد ذكرها في الأدعية المعتبرة، هي من قبيل النعم والمأكول والمشروب أو البساتين والقصور؟

ومن المؤسف، أنّنا نحن المساكين، المسجونين في الحجب المظلمة، والمصفّدون بسلاسل الآمال والأمنيات، لا نفهم إلّا المطعومات والمشروبات والمنكوحات وأمثالها، وإذا أراد فيلسوف أو عارف أن يرفع هذه الحجب، اعتبرنا سعيه هذا غلطًا وخطأً، وما دمنا مسجونين في البئر المظلم، عالم المُلك لم نستوعب شيئًا من أصحاب المعارف والمشاهدات.

ولكن عزيزي: لا تقارن نفسك مع الأولياء، ولا تظنّ أنّ قلبك يضاهي قلوب الأنبياء وأهل المعارف. إنّ قلوبنا ذات غبار التعلق بالدّنيا، وملذّاتها، وإنّ انغماسنا في الشهوات يمنع قلوبنا من أن تكون مرآة لتجلي الحقّ سبحانه، ومحلًّا لظهور المحبوب. ومن المعلوم، أنّنا لا نعي شيئًا من تجلّيات الحقّ وجماله وجلاله عندما نشعر بالأنانيّة والذاتيّة والمحوريّة، بل يجب أن نكذّب في هذا الحال أحاديث الأولياء وأهل المعرفة، فإن لم نكذّبها بألسنتنا في الظاهر، كذّبناها في قلوبنا. وإن لم نجد سبيلًا للتكذيب، بأن كانت أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمة المعصومين عليهم السلام، لفتحنا باب التأويل والتفسير، وفي النهاية نسد باب معرفة اللّه.

فنفسر قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما رأيت شيئًا إلّا ورأيت اللّه معه**

وقبله وفيه»[1] على رؤية الآثار، وقوله «**لم أعبد ربًّا لم أره**»[2] بالعلم بالمفاهيم الكليّة التي تضارع علومنا، وقوله في آياته الكريمة التي تتحدّث عن لقاء اللَّه، بلقاء يوم الجزاء، وقوله «**لي مع اللَّه حالة**»[3] بحالة الرقّة في القلب، وقوله «**وارزقني النظر إلى وجهك الكريم**»[4] وتأوّه الأولياء وتحرّقهم في معاناة الفراق، بالبعد عن حور العين، وطيور الجنّة. وهذه التفاسير لا تكون إلّا نتيجة أنّنا لا نكون رجال تلك الساحات، ولا نفهم إلّا المتع الحيوانيّة والجسمانيّة دون غيرها؛ ولهذا ننكر جميع المعارف.

وفي المناجاة الشعبانية، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إلهي! هب لي كَمَالَ الانْقطَاع إليك، وَأَنْر أَبْصَارَ قُلوبنَا بضياء نظرها إليك، حَتّى تَخْرق أَبْصَارُ القُلوب حُجُبَ النُّور فَتَصلَ إلَى مَعْدن العَظَمَة، وتصير أرْوَاحُنَا مُعَلَّقَةً بعزِّ قُدْسكَ. إلهي، وَاجْعَلْني ممَّنْ نَادَيْتَهُ فأجابَكَ، وَلاحَظْتَهُ فَصَعقَ لجَلالكَ، فناجيته سرًّا، وعَملَ لَكَ جهرًا**».

* في بيان إنكشاف بعض الأموال الغيبيّة على الإنسان لدى موته

عن الأمير عليه السلام: «**حرام على كلّ نفس أن تخرج من الدّنيا حتّى تعلم أنّها من أهل الجنّة هي أم من أهل النّار**»[5].

(1) الأسفار، ج1، ص117.
(2) علم اليقين، ج1، ص49.
(3) الأربعون، المجلسي، شرح حديث 15.
(4) من دعاء للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، احياء العلوم، ج1، ص 319.
(5) علم اليقين، للفيض الكاشاني، المجلد 2، ص 853.

- من الواضح من الحديث أنّ المرء حين المعاينة وعند الموت، تنكشف أمامه بعض مقاماته وأحواله، ويعلم إن كان من أهل الجنّة أم من أهل النار.

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مِنْكُمْ وَاللَّه يُقْبَلُ، وَلَكُمْ وَاللَّه يُغْفَرُ، إنَّهُ لَيس بين أَحَدكُمْ وبين أنْ يُغْتَبَطَ وَيَرَى السُّرور وَقُرَّة العين إلاّ أنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ ههنا، وأومأ بيده إلى حَلْقه، ثُمَّ قَالَ عليه السلام: إنَّهُ إذا كانَ ذلكَ وَاحْتَضَرَ، حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وَعَليٌّ وَالأئمَّةُ وجبريل وميكائيل وَمَلَكُ الْمَوْت عليهم السلام، فيدنو منْه جبريل عليه السلام، فيقول لرَسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ هذا كَانَ يُحبُّكُمْ أهْلَ البيتَ فَأَحبَّهُ، فيقول رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل إنَّ هذا كَانَ يُحبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بيته فَأَحبَّهُ، فيقول جبرئيل: يا مَلَكَ الْمَوْت، إنَّ هذَا كانَ يُحبُّ اللَّهَ وَرَسولَهُ وَآلَ رَسوله فَأَحبَّهُ وَارْفقْ به. فيدنو منْهُ مَلَكُ المَوْت عليه السلام فيقول: يا عَبْدَ اللَّه، أَخَذْتَ فَكاكَ رَقَبتكَ؟ أَخَذْتَ أَمَانَ بَراءَتكَ؟ تَمَسَّكْتَ بِالْعصْمَة الْكُبْرى في الحياة الدّنيا؟».**

فيُوفِّقه اللَّهُ، فيقول: نَعَمْ، فيقول لَهُ: وَمَا ذاكَ؟ فيقول: ولايَةُ عَلَيٍّ بْنِ أبي طالب عليه السلام، فيقول: صَدَقْتَ، أمَّا الَّذي كُنْتَ تَحْذَرُ فَقَد آمَنَكَ اللَّه، وأمّا الَّذي كُنْتَ تَرْجو فَقَد أَدْرَكْتَ، أَبْشرْ بالسَّلَف الصّالح مُرافَقَة رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وَعَليٍّ وَالأئمَّة منْ وُلْده عليهم السلام.

«**ثُمَّ يَسُلُّ نَفْسَهُ سَلًّا رفيقًا، ثُمَّ يَنْزلُ بكَفَنه منَ الجَنَّة، وحُنوطُهُ، فَيُكَفَّنُ بذلكَ الْكَفَن، وَيُحَنَّطُ بذلكَ الحَنُوط، ثُم يُكْسَى حُلَّةً صَفْرَاءَ منْ حُلَل الجَنَّة. فَإذا وُضعَ في قَبْره، فُتحَ لَهُ بابٌ منْ أبْوَاب الجَنَّة يَدْخُلُ عليه منْ روحها**

وَرَيحانها، ثمّ يُقالُ لَهُ: نَمْ نومَةَ العَروسِ عَلى فراشها، أَبْشِرْ بِرَوْحٍ وَرَيْحانٍ وَجَنَّة نعيم وَرَبٍّ غيرِ غَضْبَانَ».

قَالَ: «**وَإِذَا حَضَرَت الكَافرَ الوَفَاةُ حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَعَليّ وَالأئمَّةُ وَجَبْرَئيلُ وميكال وَمَلَكُ الْمَوْتِ عليهم السلام، فيدنو مِنْهُ جبرئيل فيقول: يا رَسولَ اللَّه، إنَّ هذا كان مُبغضًا لَكُمْ أهْلَ البيت فَأَبْغضْهُ، فيقول رَسُولُ اللَّه ﷺ: يا جبرئيل، إنَّ هذا كان يُبْغضُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بيت رَسوله فَأَبْغَضْهُ، فيقول جبرئيل: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ، إنَّ هذا يُبْغضُ اللَّهَ وَرَسولَهُ وَأَهْلَ بيتَ رَسوله عليهم السلام فَأَبْغضْهُ، وَاعْنُفْ عليه. فيدنو منْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فيقول: يَا عَبْدَ اللَّه، أَخَذْتَ فكاكَ رَقَبَتكَ؟ أَخَذْتَ بَراءَةَ؟ أَمَا تَمَسَّكْتَ بِالعِصْمَةِ الْكُبْرى فِي الْحياة الدّنيا؟**

فيقول: لا، فيقول لَهُ: أَبْشِرْ يَا عَدُوَّ اللَّه بسَخَطِ عَذَابه وَالنَّار، وأَمَّا الَّذي كُنْتَ تَرْجو فَقَدْ فاتَكَ، وَأَمَّا الَّذي كُنْتَ تَحْذَرُ فَقَدْ نَزَلَ بك. ثُمَّ يَسُلُّ نَفْسَهُ سلًّا عنيفًا، ثُمَّ يُوَكِّلُ برُوحه ثَلاثَمائَة شيطانٍ يَبْزُقونَ في وجهه، ويَتَأَذّى بِريحه، فإذا وُضِعَ فِي قَبْرِه، فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنْ أبْوابِ النَّارِ يَدْخُلُ عليه مِنْ فيح ريحها ولِهبها»[1].

واللّافتُ أنّ في هذا الحديث حبًّا وبغضًا من اللَّه تعالى. والحبُّ هو الرّحمة والكرامة منه، والبغض هو ظهور القهريّة والانتقام.

(1) علم اليقين، المجلد 2، ص854 - 856.

ولا بدّ أن تعرف أنّ عالم برزخ كلّ شخص، نموذج من نشأته يوم القيامة، والبرزخ عالم يتوسّط بين هذا العالم وعالم القيامة، وتنفتح على هذا العالم كُوّة من الجنّة أو النّار. كما أشير إليه في نهاية هذا الحديث الشّريف، وفي الحديث النبويّ المعروف «**القبر إمّا روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران**»[1].

(1) سنن التّرمذي، المجلّد الرابع، ص 640، باب 26، كتاب صفة القيامة.

29

وصيَّةُ النَّبيّ ﷺ لِعليٍّ عليه السلام

عن معاوية بن عمار قال: سمعت أبا عبد اللَّه الصّادق عليه السلام يقول:

«كان في وصيّة النّبيّ ﷺ لعلي عليه السلام أن قال: يا عليّ، أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها عنّي، ثمّ قال: اللّهمّ أعنه. أمّا الأولى فالصّدق، ولا يخرجنَّ من فيك كذبة أبدًا. والثّانية: الورع، ولا تجترئ على خيانة أبدًا. والثّالثة: الخوف من اللَّه عزَّ ذكره كأنّك تراه. والرّابعة: كثرة البكاء من خشية اللَّه يُبنى لك بكلّ دمعة ألف بيت في الجنّة. والخامسة: بَذْلُك مالك ودمك دون دِينك. والسّادسة: الأخذ بسنّتي في صلاتي وصومي وصدقتي. أمّا الصّلاة فالخمسون ركعة، وأمَّا الصّيام فثلاثة أيّام في الشّهر: الخميس في أولّه، والأربعاء في وسطه، والخميس في آخره، وأمّا الصّدقة، فجهدك حتّى تقول قد أسرفت، ولم تسرف.

وعليك بصّلاة اللّيل، وعليك بصلاة اللّيل، وعليك بصلاة اللّيل، وعليك بصلاة الزّوال وعليك بصلاة الزّوال، وعليك بصلاة الزّوال، وعليك بتلاوة القرآن على كلّ حال، وعليك برفع يديك في صلاتك وتقليبهما، وعليك

بالسّواك عند كلّ وضوء، وعليك بمحاسن الأخلاق فاركبها، ومساوئ الأخلاق فاجتنبها، فإن لم تفعل فلا تلومنَّ إلّا نفسك»[1].

- يتّضح من نواحي عديدة من هذا الحديث الشّريف، أنّ هذه الوصايا التي أوصى بها رسول اللَّه ﷺ، مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كانت عنده صلوات اللَّه وسلام عليه مهمّة جدًّا، وهذه النواحي هي:

إحداها: توجيه الوصيّة نحو أمير المؤمنين عليه السلام مع أنّه سلام اللَّه عليه، أسمى من أن يتساهل في الأحكام الشرعيّة، والأوامر الإلهيّة، ولكن هذه الأمور لدى رسول اللَّه ﷺ كانت مهمّة جدًّا، فلم يحجم عن الوصيّة بها . ومن المتعارف، أنّ رسول اللَّه ﷺ لا يوصي بشيء إلّا وقد كان يعتني به، ويراه مهمًّا، فلأجل إظهار أهميّته، يوصي به، حتّى لمن يعرف أنّه لا يتهاون به.

ثانيتها: إنّ رسول اللَّه ﷺ أكّد على هذه الوصية بهذا المستوى من التأكيد للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، رغم أنّه لن يتجاوز عليه السلام وصيّة رسول اللَّه ﷺ قيد أنملة، ولم يبد تجاهها وهنًا ولا فتورًا.

ثالثتهما: نبّه رسول اللَّه ﷺ عليًّا بعد أن قال: «**يا عليّ أوصيك**»، على أهمية الوصيّة قائلًا: «**فاحفظِها عنّي**». ولمّا تمنّى رسول اللَّه ﷺ على عليّ عليه السلام أن يأتي بهذه الوصايا المهمّة، دعا له قائلًا: «**اللهم أعنِه**»،

(1) روضة الكافي، ح33، ص79.

وهكذا بقيّة التأكيدات التي وردت في كلّ واحدة من هذه الجمل بصورة مستقلّة، مثل نون التأكيد، وتكرار الوصيّة، وغير ذلك ممّا لا نحتاج إلى تعداده.

- من اللافت أن النبي ﷺ بدأ وصيّته «**بالصدق**»!

* في شرح موجز للوصية:

1 - عدم الكذب:

ولعلَّ تقديمَ الكَذب في الحديث هو لِأهَمّيّته، ولكونه من الصّفات القبيحة الّتي يرفُضها العقل والدين، ويُسقط المرء من أعين النّاس، ويمكن ذلك من جرّاء كذبة واحدة لا نستطيع ترميمها بأعين النّاس... وأيضًا هي تقضي على الدين في مضمون حديث الرّسول أنّ المؤمن يمكن أن يزني و.... ولكن ليس من عادته الكذب.

عن أبي جعفر عليه السلام: «**إن اللَّه عزَّ وجلَّ جعل للشّرّ أقفالًا، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشّراب، والكذب أشرّ من الشّراب**»[1].

وعنه عليه السلام أيضًا: «**الكذب هو خراب الإيمان**»[2]، وعن رّسول اللَّه ﷺ لأبي ذرّ: «**يا أبا ذر، ويل للّذي يحدّث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له**»[3]. وعنه ﷺ أيضًا: «**إنّ أقربكم منّي غدًا وأوجبكم عَليّ شفاعة،**

(1) الكافي، ج2، كتاب الإيمان والكفر، ح3.

(2) المصدر نفسه، ح4.

(3) وسائل الشيعة، المجلّد 8، ص577.

أصدقكم لسانًا، وأدّاكُم للأمانة، وأحسنكم خُلُقًا، وأقربكم من النّاس»[1].

وعن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: «**سُئل رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: يكون المؤمن جبانًا؟ قال: نعم، قيل: ويكون بخيلًا؟ قال: نعم، قيل: ويكون كذّابا؟ قال: لا»**[2].

ونُقل عن صدوق الطائفة محمد بن عليّ بن الحسين أنّه قال: من كلام رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**أربى الربا الكذب»**[3]، مع أنّ التشديد في حرمة الرّبا وبشاعته ممّا يذهل الإنسان.

ومن الأمور التي لا بدّ للإنسان أن يلتفت إليها، هو أنّ الأخبار قد استنكرت الكذب حتّى هزله ومزحه، وشدّدت في ذلك. وأفتى العلماء بحرمته أيضًا، كما ذكر صاحب الوسائل في عنوان الباب الذي هو تعبير عن فتاواه: باب تحريم الكذب في الصّغير والكبير.

وعن الكافي الشّريف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**كان عليّ بن الحسين صلوات اللَّه عليهما يقول لِولده: اتّقوا الكذب، الصّغير منه والكبير في كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرّجل إذا كَذب في الصّغير، اجترئ على الكبير، أما علمتم أنّ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما يزال العبد يصدُق حتّى يكتبه اللَّه صدّيقًا، وما يزال العبد يكذب حتّى يكتبه اللَّه كذّابًا**[4].

(1) بحار الأنوار، ج66، الباب 38، ح4.
(2) وسائل الشيعة، المجلّد الثامن، الباب 138، باب تحريم الكذب، أبواب أحكام العشرة، ح 11 و 12.
(3) المصدر نفسه.
(4) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الكذب، ح 2.

في الحقيقة، إنّ مثل هذه الأخبار، تهزّ أعماق الإنسان، وتقصم ظهره، فإنّنا نتصوّر بأنّ الكذب من الأعمال الفاسدة، التي فقد الإحساس بقبحها نهائيًّا جرّاء شيوعها بين الناس، ولكن سيأتي وقت ننتبه ونشعر بأنّ الإيمان الذي هو رأس مال حياة عالم الآخرة، قد زال من أيدينا جرّاء الاستهانة بالكذب، ولم نشعر بذلك أبدًا.

2 - الورع:

الورعُ له مراتبُ كثيرة:

- ورعُ العوامّ (اجتناب الكبائر).
- ورع الخواصّ (الابتعاد عن الشّبهات خشية الوقوع في المحرّمات).
- ورعُ أهل الزّهد (اجتناب المباحات للابتعاد عن وزرها).
- ورع أهل السّلوك (ترك النّظر إلى الدّنيا لأجل الوصول إلى المقامات).
- ورع المجذوبين (تركُ المقامات لأجل الوصول إلى باب اللَّه، ومشاهدة جمال اللَّه).

المجذوب: «**سالك ومريد، كان يسعى جاهدًا لترك الآثام واجتناب المحرّمات لنيل المقامات، ولأنّه صافي السّريرة، نالته جذبة إلهيّة خرقت الحجب الظّلمانيّة، فاستقرّ في مدخل الحجب النّورانيّة، وحقّق الانقطاع الأوّل**».

- ورع الأولياء (الاجتناب عن التّوجّه إلى الغايات).

الوليّ: واحد ذائب الإرادة، خرق حجب النّور، فَوصل إلى معدن العظمة، فأصبح مُحبًّا وعاملاً.

⇦ لا يمكن الوصول إلى أي مرتبة إلّا بالورع عن المحرّمات والمعاصي، فهذه هي البداية. عن أبي عبد اللَّه عليه السلام: «**أوصيك بتقوى اللَّه، والورع والاجتهاد، واعلم أنّه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه**»[1]، وعنه عليه السلام أيضًا: «**عليكم بالورع، فإنّه لا ينال ما عند اللَّه إلّا بالورع**»[2]، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**لا تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع**»[3].

⇦ إذًا، بابُ الوصول إلى اللَّه هو ترك المحرّمات أوّلًا.

- إنّ الابتعاد عن المحرّمات الإلهيّة، لا يستدعي جهدًا جبّارًا، بل الإنسان مع قليل من الترويض النفسي والعمل، يستطيع أن يترك جميع المحرّمات، شريطة إرادته على أن يكون من أهل السعادة والنجاة، ومن أهل الولاية للأئمّة الأطهار، وكرامة الحقّ المتعالي. وإذا لم يكن له صبر على المعصية، بهذا المقدار، لما تحقّق له البعد عن المعصية. إنّه يجب أن يتمتّع بقدر من الجلادة والإصرار والترويض النّفسيّ.

(1) أصول الكافي، المجلد2، كتاب الإيمان والكفر، باب الورع، ح11.
(2) أصول الكافي، المجلد2، كتاب الإيمان والكفر، باب الورع، ح3.
(3) وسائل الشيعة، المجلّد11، باب 21، ح17 و11.

* في بيان مفاسد الخيانة وحقيقة الأمانة

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ رسول اللَّه ﷺ بعد أن أوصى بالورع، فرّع عليه قائلًا: «**ولا تجترئ على خيانة أبدًا**»، مع أنّ الورع يكون عن كلّ المحرّمات، أو يكون أعمّ من الخيانة؛ وعليه لا بدّ من تفسير الخيانة بمعنى أعمّ من المتفاهم العرفيّ لها، حتّى تتطابق مع الورع، بأن نقول: إنّ مطلق المعصية أو اقتراف مطلق ما يمنع السير إلى اللّه خيانة؛ لأنّ التكاليف الإلهيّة أمانات للحقّ سبحانه، كما ورد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾[1]، حيث فسّر بعض المفسّرين الأمانة بالتكاليف الإلهيّة، بل إنّ جميع الأعضاء، والجوارح والقوى، أمانات للحقّ المتعالي، واستعمالها على خلاف رضا الحقّ سبحانه خيانة، كما أنّ توجيه القلب إلى غير الحقّ يعدّ من الخيانة.

إذًا، ارتكاب المحرّمات هو خيانة للحقّ تعالى، وهذه الأعضاء التي خلقها اللَّه لنا هي أمانة عندنا لنستعملها في طاعته... والخيانة من الصّفات القبيحة، فالذي يتحلّى بصفة كهذه في المجتمع يسقط من أعين النّاس، فكلّما عصى الإنسانُ خان أمانة الأنبياء والأوصياء، وهذا ما يجب الالتفات إليه.

* الصّدق وأداءُ الأمانة

عن الإمام الصّادق عليه السلام مخاطبًا أحد الصّحابة: «**انظر ما بلَغ به عليّ عند رسول اللَّه فالزمه، فإنّ عليًّا عليه السلام إنّما بلَغ به عند رسول اللَّه بصدق**

(1) سورة الأحزاب، الآية: 72.

الحديث وأداء الأمانة»[1].

- وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أدّوا الأمانة ولو إلى قاتل وَلَد الأنبياء»**[2].
- وعن أبي حمزة الثّمالي: سمعت عليّ بن الحسين بن علي أبي طالب عليهما السلام يقول لشيعته: «**عليكم بأداء الأمانة، فوالّذي بعث محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم بالحقّ نبيًّا، لو أنّ قاتل أبي الحسين بن عليّ عليه السلام ائتمنني على السّيف الّذي قتله به، لأدّيته إليه»**[3].
- وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**لا تنظروا إلى طول ركوع الرّجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه، وأداء أمانته»**[4].
- وفي الحديث عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**من خان أمانة في الدّنيا، ولم يردّها إلى أهلها، ثمّ أدركه الموت، مات على غير ملّتي، ويلقى اللّه وهو عليه غضبان...»**[5].

الموهوبة لنا من الحقّ هي أمانة عندنا، فإذا جاء يوم القيامة لاسترداد هذه الأمانة يجب ألّا تكون ملطّخة بقبائح الدّنيا، «**لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»**[6]، فالحقّ في قلب كلّ مؤمن، فعند التّوجّه إلى غيره تكون خيانة للحقّ تعالى، فلا محبوب غيره!

(1) أصول الكافي، المجلد2، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق والأمانة، ح5.
(2) كتاب فروع الكافي، المجلد 5، باب أداء الأمانة، ح3 و 5.
(3) وسائل الشيعة، المجلد13، باب وجوب أداء الأمانة، ح13.
(4) أصول الكافي، المجلد2، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة، ح12.
(5) وسائل الشيعة، المجلد13، باب 3، ح2.
(6) بحار الأنوار، ج55، ص39.

إنّ خيانة المؤمنين تعمّ الخيانة الماليّة والخيانات الأخرى التي هي أكبر من الخيانة الماليّة، فيجب على الإنسان في هذه الدنيا أن يراقب النفس الأمّارة كثيرًا؛ إذ ربّما تقوم بعملية التّعتيم للحقائق على الإنسان وتذليل الصعوبات وتسهيلها، مع أنّها توجب الشقاء الدّائم والخذلان الأبديّ. هذه هي حال الخيانة لعباد اللَّه. ويتبيّن من هنا -أيضًا- وضع الخائن لأمانة الحقّ المتعالي.

3 - الخوف من الحقّ:

اعلم، أنّ الخوف من الحقّ جلّ وعلا من المنازل التي قلّما نستطيع أن نجد للعوام من الناس منزلة، في مستوى منزلة الخوف من الحقّ سبحانه. وهذا الخوف، مضافًا إلى أنّه يكون من الكمالات المعنويّة، يعتبر منشأ لكثير من الفضائل النفسيّة، وعاملًا مهمًّا لإصلاح النفس، بل مصدر جميع الإصلاحات للنفس، ومبدأ لعلاج جميع الأمراض الروحيّة . ويجب على الإنسان المؤمن باللَّه، السالك والمهاجر إلى اللَّه، أن يهتمّ كثيرًا بهذه المنزلة، وأن يُقبل بوجهه أكثر فأكثر على ما يبعث الخشية من اللَّه في القلب، ويعمّق جذوره فيه، مثل التفكّر في العذاب والعقاب، وشدّة أهوال الموت وبعد الموت، من عالم البرزخ والقيامة، والصراط والميزان والحساب، وألوان عذاب جهنّم، ومثل التذكّر لعظمة الحقّ المتعالي وجلاله، وقهره وسلطانه، ومكره وسوء العاقبة، وأمثال ذلك.

فيجب دائمًا ذكرُ العقاب والأهوال والصّراط... لكي نحافظ على خشية اللَّه ومراعاة حضوره، فعن أبي عبد اللَّه عليه السلام: «**يا إسحاق، خف اللَّه كأنّك تراه، وإن كنت لا تراه فإنّه يراك، وإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون النّاظرين عليك**»[1] (لم نأخذ وجوده بعين الاعتبار...).

⇦ إذًا، توجد درجات للمخافة، منهم من يرى اللَّه، ومنهم من يعلم أنّ اللَّه يراه فيرتدعُ.... فكلٌّ بحسب إيمانه ووصوله...

واعلم، أنّه إذا عرف شخص كيفيّة تجلّي الحقّ في المُلك والملكوت، وظهور الذات المقدّس في السماوات والأرضين، بواسطة المشاهدة الحضوريّة، أو المكاشفة القلبية، أو الإيمان الحقيقيّ، وإذا أدرك كيفيّة ارتباط الحقّ بالخلق، والخلق بالحقّ على ما هي عليها، وكيفيّة ظهور المشيئة الإلهيّة في الكائنات الموجودة، وفناء هذه الموجودات في تلك الإرادة على ما هي عليها، لعرف أنّ الحقّ المتعالي حاضر في كلّ مكان وحيّز، ولشاهده بالعلم الحضوريّ في جميع الموجودات، كما يقول الإمام الصّادق عليه السلام: «**ما رأيتُ شيئًا إلّا ورأيتُ اللَّه مَعَهُ وفيه**»[2] وتنكشف عليه حقيقة «**كنت سمعه وبصره ويده**»[3] المتوخّاة من التقريب بالنوافل. فيرى الحقّ حاضرًا في جميع مراتب الوجود، حسب مرتبته ومقامه إمّا

(1) أصول الكافي، المجلد2، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء، ح2.
(2) علم اليقين، ج1، ص49.
(3) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب من آذى المسلمين، ح 1.

علمًا أو إيمانًا أو عينًا وشهودًا. ومن المعلوم، أنّ السالك في أيّ مقام كان، يراعي حضور الحقّ، ويمتنع عن مخالفة ذاته المقدّس؛ لأنّ مراعاة الحضور والمحضر من الأمور الفطريّة التي جبل عليها الإنسان، فإنّه مهما كان مستهترًا ومن دون حياء، لفرّق بين حضور الطرف الآخر وغيابه، خاصة إذا كان حضورًا للمنعم العظيم الكامل، لأنّ فطرة الإنسان تراعي حضور كلّ شيء بصورة مستقلّة.

4 - البكاء من خشية اللَّه

فضل البكاء من خشية اللَّه: إنّ للبكاء من خشية اللَّه سبحانه مفعولاً كبيرًا، ففي الحديث: «**يُبنى لك بكلّ دمعة ألف بيت في الجنّة**».

- وعن النّبيّ ﷺ: «**ومَن ذَرُفَت عيناه من خشية اللَّه، كان له بكلّ قطرة من دموعه قصرٌ في الجنّة، مكلَّلٌ بالدّرّ والجوهر، فيه ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[1].

- عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إنّ الرّجل ليكون بينه وبين الجنّة أكثر ممّا بين الثّرى إلى العرش؛ لكثرة ذنوبه، فما هو إلّا أن يبكي من خشية اللَّه عزَّ وجلَّ ندمًا عليها، حتّى يصير بينه وبينها أقرب من جِفْنِه إلى مقْلَتِه**»[2].

(1) وسائل الشيعة، المجلد11، الباب 15، ص175.

(2) وسائل الشيعة، المجلد11، الباب 15، ص178.

وغيرُها الكثير من الأحاديث في هذا الخصوص، والتي تعطي الأجر المضاعَف على البكاء من خشية اللَّه... فيسأل بعضهم ويشكّك آخرون في هذا الأجر الكبير، أليست فيه مبالغة؟ نعم من يريد أن يفكّر في عقله الصّغير وبخلنا نحن، لن يستوعب كرم الحقّ، فهذه البشارة لا تقتصر على الأحاديث، وإنّما وردت أيضًا في القرآن الكريم: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾[1]، وأيضًا ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[2]، وأيضًا: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾[3].

⇦ **إذًا، رحمة اللَّه لا يمكن أن نتخيّلها أصلًا؛ لأنّ أعمالَنا لا تستحق كلّه هذا الكرم من جنان الخلد وغيرها.**

5 - بذل المال والدمّ دون الدين:

في موضوع بذل المال والدّم دون الدّين فقد تعرّض الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ له في محطّات متعدّدة، وخُطَب وكتابات كثيرة، **ولكنّه لم يوسّع في هذا الكتاب**. فرأينا أن نتوسّع قليلًا في هذه الفكرة لأهميّتها في السّير والسّلوك إلى اللَّه، فَمَن ليس عنده حظّ من الجهاد بالأموال والأنفس فلا حظّ له في الوصول إلى المقامات المُعَدّة لأولياء اللَّه.

(1) سورة القدر، الآية 3.
(2) سورة البقرة، الآية 261.
(3) سورة الأنعام، الآية 160.

من هنا نستعرض بعض الآيات والأحاديث الشّريفة التي تتحدّث عن الجّهاد وأهميّته ومَنفَعته الكبرى في الوصول إلى اللّه تعالى:

*** فضل المجاهدين على القاعدين:**

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

*** وصف الجهاد بالمال والنّفس «بالفوز العظيم»**

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

*** وصف الجهاد بالمال والنفس «بالتّجارة المربحة»**

وبما أنّ البشرية تبحث - دومًا - عن التّجارة والحصول على الربح، والخوف من الفشل، وحبّ المساكن وترك الهجرة؛ لذلك فقد قال اللّه عزّ وجلّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

(1) سورة النساء، الآية 95.

(2) سورة التوبة، الآية 111.

مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

* حَثُّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على الجهاد بالمال لمن يجبن على الجهاد بنفسه

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من جَبُن من الجهاد فليجهّز بالمال رجلًا يجاهد في سبيل اللَّه، والمجاهد في سبيل اللَّه إنّ جُهّز بمال غيره فله فضل الجهاد، ولمن جهّزه فضل النّفقة في سبيل اللَّه، وكِلاهما فضل، والجود بالنفس أفضل في سبيل اللَّه من الجود بالمال[2].

ونختم بحديث رائع عن لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، واصفًا أجر المجاهدين، من لحظة خروجه من منزله ولغاية لحظة استشهاده:

«إنّ الغزاة إذا همّوا بالغزو كتب اللَّه لهم براءة من النار، فإذا تجهّزوا لغزوهم باهى اللَّه تعالى بهم الملائكة، فإذا ودّعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من ذنوبهم، كما تخرج الحيّة من سلخها، ويوكّل اللَّه عزَّ وجلَّ بهم بكلّ رجل منهم أربعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ولا يعمل حسنة إلّا ضُعِّفَت له، ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون اللَّه ألف سنة كلّ سنة ثلاث مائة وستون يومًا، واليوم مثل عمر الدّنيا، وإذا صاروا بحضرة عدوّهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب اللَّه إيّاهم، فإذا برزوا لعدوّهم

---

(1) سورة الصف، الآيات 10 - 13.

(2) مستدرك الوسائل: 11 / 24 / 12333 و ح 12335 وص 29 / 12351 وانظر الجبن: باب 491.

وأشرعت الأسنّة وفوّقت السّهام وتقدّم الرّجل إلى الرّجل، حفّتهم الملائكة بأجنحتهم ويدعون اللَّه لهم بالنّصر والتّثبيت، فينادي مناد: الجنّة تحت ظلال السّيوف، فتكون الطّعنة والضّربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصّائف، وإذا زال الشّهيد عن فَرَسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتّى يبعث اللَّه عزَّ وجلَّ زوجته من الحور العين فتبشّره بما أعدّ اللَّه له من الكرامة، فإذا وصل إلى الأرض تقول له: مرحبًا بالروح الطيّبة التي أخرجت من البدن الطيّب، أبشر فإنّ لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويقول اللَّه عزّ وجلّ: أنا خليفته في أهله، ومن أرضاهم فقد أرضاني، ومن أسخطهم فقد أسخطني، ويجعل اللَّه روحه في حواصل طير خُضر تسرح في الجنّة حيث تشاء تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة بالعرش، ويعطي الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس ما بين صنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين، في كل غرفة سبعون بابًا على كلّ باب سبعون مصراعًا من ذهب على كل باب ستور مسبلة، في كلّ غرفة سبعون خيمة، في كلّ خيمة سبعون سريرًا من ذهب قوائمها الدرّ والزَبرْجَد، موصولة بقضبان من زمرّد، على كلّ سرير أربعون فرشًا غلظ، كلّ فراش أربعون ذراعًا، على كلّ فراش زوجة من الحور العين عربًا أترابًا، فقال الشابّ: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن العربة؟

قال: هي الغنجة الرضيّة المرضيّة الشهيّة لها سبعون ألف وصيف، وسبعون ألف وصيفة، صفر الحلي، بيض الوجوه، عليهم تيجان اللؤلؤ،

على رقابهم المناديل، بأيديهم الأكوبة والأباريق، وإذا كان يوم القيامة يخرج من قبره شاهرًا سيفه تشخب أوداجه دمًا، اللون لون الدم، والرائحة المسك، يخطو في عِرْصة القيامة.

فوالّذي نفسي بيده، لو كان الأنبياء على طريقهم لترجّلوا لهم لما يرون من بهائم حتّى يأتوا إلى موائد من الجواهر فيقعدون عليها، ويشفع الرجل منهم في سبعين ألفًا من أهل بيته وجيرته، حتّى إنّ الجارين يختصمان أيّهما أقرب، فيقعدون معه ومع إبراهيم على مائدة الخلد، فينظرون إلى اللَّه تعالى في كلّ بكرة وعشية»[1].

6 - الأخذ بسنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

* عدد النّوافل:

جاء في هذه الرواية أنّ عددها خمسون رغم أنّنا نعلم أنّها واحدة وخمسون، فالقضيّة أن المستحبّات الأكيدة هي خمسون، ركعتان من جلوس بعد صلاة العشاء هي ركعة واحدة، أضيفت وهي صلاة العتمة، وهي بديل للوتر لعلّه أدركنا الموت قبل صلاة الوتر، فنكون حصلنا عليها، فأضيفت وأصبحت إحدى وخمسين ركعة. وهذا ما جاء عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**شيعتنا أصحاب الإحدى وخمسين ركعة**»[2]، وعن الإمام العسكريّ عليه السلام:

(1) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص 2826.

(2) وسائل الشيعة، ج3، كتاب الصلاة، ص26.

«علامات المؤمن خمس، وعدّ منها صلاة الإحدى وخمسين»[1].

إذًا، من علامات المؤمن هذه النّوافل، وفي بعض الرّوايات، إنّ اللّه سيعذّب ويحاسب الإنسان على ترك السّنّة، وفي بعض الرّوايات أنّ من المعاصي ترك النّافلة، فعلى الإنسان مهما أمكن أن لا يتركها. (فالنوافل متمّمات لنقص الواجبات، ولا بدّ للمؤمن أن يتطوّع في صلاة، وعند المواظبة عليها يصل إلى مرحلة حرمة تركها، ويكون هناك عتاب شديد في يوم القيامة).

* صوم ثلاثة أيّام في الشّهر:

في الرواية عن أبي عبد اللّه عليه السلام: «**... لأنّ مَن قبلنا من الأمم كانوا إذا نزل على أحدهم العذاب، نزل في هذه الأيّام، فصام رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأيّام؛ لأنّها الأيّام المخوفة**»[2]. وفي صدر هذا الحديث: «**وقال ليعدلنّ ـ صيام ثلاثة أيام في الشهر ـ صوم الدهر**».

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لِيَعدِلَنّ صيام ثلاثة أيّام في الشهر صوم الدهر**»[3].

هو أوّل وآخر خميس من الشهر، والأربعاء في نصف الشّهر... والسّبب أنّ أوّل خميس تعرض الأعمال، وآخر خميس -أيضًا- تعرض الأعمال (ولعلّ نفس سبب صلاة العتمة هو عدم إدراك الخميس الأخير من الشّهر بسبب

(1) وسائل الشيعة، ج3، كتاب الصلاة، الباب 3، ص29.
(2) وسائل الشيعة، المجلّد 7، الباب 7 من أبواب الصوم المندوب، ح 1.
(3) وسائل الشيعة، ج7، كتاب الصلاة، الباب 7، ح 2 - 5 - 6.

الموت)، والأربعاء من العشر الثّاني من الشّهر هو يوم نحس مستمرّ، ويوم نزول العذاب.

* الصّدقة:

جاء في الحديث عن الرّسول ﷺ: «**أمّا الصّدقة فجُهدك حتّى تقول قد أسرفتُ ولم تسرف**»[1].

ولا يوجد إسراف في الصّدقة، فيمكن لأحد أن يتصدّق بنصف مدخوله، ولكن بشرط أن يكفي عائلته.

عن أبي عبد اللّه عليه السلام في حديث قال: «**إنّ اللّه لم يخلق شيئًا إلّا وله خازن يخزنه، إلاّ الصدقة، فإنّ الربّ يليها بنفسه؛ وكان أبي إذا تصدّق بشيء، وضعه في يد السائل، ثمّ ارتدّه منه، فقبّله وشمّه، ثمّ ردّه في يد السائل**»[2].

إنّ الإنسان عندما يتصدّق بيده، إذا منّ على الفقير أو أساء إليه -والعياذ باللّه- كانت منّته وإساءته أوّلًا إلى اللّه تعالى، وثانيًا إلى الفقير. كما أنّه إذا خشع وتواضع، وأبدى منتهى الذلّ والمسكنة، لدى تقديم الصدقة إلى السائل المؤمن، كان خضوعه وذلّه وخشوعه للّه أوّلًا، ثمّ للفقير المؤمن ثانيًا.

(1) الكافي، الكليني، ج8، ص 103.

(2) فروع الكافي، ج4، كتاب الزكاة، باب صدقة الليل، ح3.

من خصوصيّة الصّدقة أنّ ثوابها الغيبيّ لم يوكله اللَّه إلى أحد إلّا إلى نفسه، فالصّدقة تقع بيده.

- عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**ليس شيء أثقل على الشّيطان من الصّدقة على المؤمن، وهي تقع في يد الرّبّ تبارك وتعالى قبل أن تقع في يد العبد**»[1].
- النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**الصّدقة تدفع البلاء**»[2].

الأحاديث كثيرة في الصّدقة، ومنها ما يدلّ على تفاوت الأجر بين الأرحام والعلماء، فعن أبي جعفر عليه السلام: "**الصّدقة على خمسة أجزاء، جزء الصّدقة فيه بعشرة وهي الصّدقة على العامّة، وقال تعالى:** ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾[3]**. وجزء الصّدقة فيه بسبعين، وهي الصّدقة على ذوي العاهات. وجزء الصّدقة فيه بسبعمائة، وهي الصّدقة على ذوي الأرحام. وجزء الصّدقة فيه بسبعة آلاف وهي الصّدقة على العلماء. وجزء الصّدقة فيه بسبعين ألفًا، وهي الصّدقة على الموتى**[4].

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**أرض القيامة نار ما خلا ظلّ المؤمن، فإنّ صدقته تظلّه**»[5].

(1) فروع الكافي، المجلّد 4، كتاب الزكاة، ح5.
(2) البحار، للمجلسي، ح93، ص137.
(3) سورة الأنعام، الآية 160.
(4) مستدرك وسائل الشيعة، المجلّد 7، باب 18، ح10، ص196.
(5) فروع الكافي، المجلّد 4، ص 3.

عن رسول اللَّه ﷺ: «**الصدقة تدفع ميتة السوء**»[1].

وعن أبي الحسن عليه السلام: «**استنزلوا الرزق بالصدقة**»[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «**البرّ والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان سبعين ميتة سوء**»[3].

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام: «**ارغبوا في الصدقة، وبكّروا بها، فما من مؤمن يتصدّق بصدقة حين يُصبح يريد بها ما عند اللَّه، إلاّ دفع اللَّه بها عنه شرّ ما ينزل من السماء في ذلك اليوم، أو قال: وقاه اللَّه شرّ ما ينزل من السّماء في ذلك اليوم**»[4].

وعن رسول اللَّه ﷺ: «**ومَن أحبّ أن يذهب اللَّه عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة، يدفع اللَّه عنه نحس ليلته**»[5].

في بيان أمر دقيق: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾[6]، وكان الإمامان الحسين والصّادق عليهما السلام يتصدّقان بالسّكّر ويقولان لأنّه أحبّ الأشياء إليهما، ولهذا كانا يتصدّقان به.

- وفي حديث عن أبي الطفيل قال: اشترى عليّ عليه السلام ثوبًا فأعجبه

(1) فروع الكافي، ألمجلّد 4، ص 2، ح 1 و ص 10 ح 4.
(2) المصدر نفسه.
(3) البحار، المجلّد 96، باب فضل الصدقة وأنواعها، ح 17، ص 119.
(4) مستدرك وسائل الشيعة، المجلّد 7، الباب 7 من أبواب الصدقة، ح 1 ص 170.
(5) فروع الكافي، المجلد 4، ص 5.
(6) سورة آل عمران، الآية 92.

فتصدّق به، وقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«من آثر على نفسه آثره اللَّه يوم القيامة بالجنّة، ومَن أحبّ شيئًا فجعله للَّه، قال اللَّه تعالى يوم القيامة: قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف، وأنا أكافيك اليوم بالجنة»**[1].

*** نختم بكلام لإمامنا الخمينيّ قدس سره محيي أرواحنا وقلوبنا:**

«يؤسفني، ويلمّ بي الأسف آلاف المرّات، أنّي قدمت إلى هذا العالم وأنا مستغرق في بحار هوى النفس، وملتصق بالأرض المادّيّة، ومقيّد بالشهوات وأسير للبطن والفرج، وغافل عن عالم مُلك الوجود، وسكران بسكر الأنانيّة ومحوريّة الذات، وسأفارق هذا العالم، ولم أدرك شيئًا من محبّة الأولياء، ولم أفهم شيئًا أبدًا من جذباتهم وجذواتهم ومنازلهم ومغازلاتهم، وكان حضوري في هذا العالم حضورًا حيوانيًّا، وحركاتي حركات حيوانيّة وشيطانيّة. وعليه، فسيكون موتي -أيضًا- حيوانيًّا وشيطانيًّا. اللهمّ، إليك المشتكى، وعليك المعوّل.

إلهي، أنقذنا بنور هدايتك، وأيقظنا من هذا النوم العميق، وخذنا إلى عالم الغيب والنور ودار البهجة والسرور، ومحفل الإنس، والخلوة الخاصّة بك».

إن كان هذا كلام مَن أحيا اللَّه به روح هذه الأمّة، فما حالنا نحن المذنبين الغارقين في الدنيا...

(1) مجمع البيان، المجلّد الثاني، ص 472، طباعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* صدقة السرّ:

لا بدّ وأن نعرف أنّ صدقة السرّ أفضل من الصدقة في العلن، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال «**يا عمّار، الصدقة في السرّ -واللّه- أفضل من الصدقة في العلانيّة، وكذلك -واللّه- العبادة في السرّ أفضل منها في العلانية**»[1].

- قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**صدقة السرّ تطفىء غضب الربّ تبارك وتعالى**»[2].

- وفي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**سبعة يظلّهم اللّه في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه -إلى أن قال- ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لم تعلم يمينه ما تنفق شماله**»[3].

ولعلّ أفضليّة صدقة السرّ تكمن أوّلًا في أنّ عبادة السرّ أبعد من الرياء، وأقرب إلى الإخلاص، وثانيًا أنّ صدقة السرّ تحافظ على كرامة الفقراء.

* صلاة اللّيل:

أبدى هذا الحديث الشريف اهتمامًا بالغًا تجاه صلاتي الليل والزوال قائلًا: «**وعليك بصلاة اللّيل، وعليك بصلاة اللّيل، وعليك بصلاة اللّيل. وعليك بصلاة الزّوال، وعليك بصلاة الزّوال، وعليك بصلاة الزّوال...**» وبهذا الصدد، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنّعاس في**

---

(1) فروع الكافي، ج 4، كتاب الزكاة، باب فضل صدقة السر، ح 2.
(2) فروع الكافي، ج 4، كتاب الزكاة، باب فضل صدقة السر، ح 1و3.
(3) وسائل الشيعة، المجلّد 6، الباب 13 من أبواب الصدقة، ح 11.

عينيه، ليُرضي ربّه بصلاة ليله، باهى اللَّه تعالى به الملائكة، وقال: أما تَرَون عبدي هوذا قد قام من لذيذ مضجعه لصلاة لم أفرضها عليه! اشهدوا أنّي قد غفرت له»[1].

- عن أبي عبد اللَّه الإمام الصادق عليه السلام قال: «**شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزّ المؤمن كفّه عن أعراض الناس»**[2].

- وعنه عليه السلام: «**قال النبيّ ﷺ لجبرائيل: عظني، فقال: يا محمّد، عش ما شئت فإنّك ميّت، وأحبب ما شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك ملاقيه، واعلم أنّ شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزّه كفّه عن أعراض الناس»**[3].

- وعن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «**المال والبنون زينة الحياة الدنيا، وثمان ركعات من آخر الليل، والوتر زينة الآخرة، وقد يجمعها اللَّه لأقوام»**[4].

والأحاديث المأثورة في فضل صلاة الليل كثيرة، فلا مجال لعرضها في هذا المختصر.

(1) وسائل الشيعة، المجلد 5، باب 39، ص277.
(2) وسائل الشيعة، المجلّد 5، الباب 39 من أبواب بقية الصلوات المندوبة ح2 و 3، ص 268.
(3) المصدر نفسه.
(4) وسائل الشيعة، المجلّد 5، الباب 39 من أبواب بقية الصلوات المندوبة، ح 34، ص 276.

* صلاة الزوال

وأما المقصود من صلاة الزوال في وصيّته صلوات اللّه وسلامه عليه: «**وعليك بصلاة الزوال**» فهو نوافل صلاة الظهر، كما صرّحت بها الأحاديث. وهذا القدر من الاهتمام إمّا لأجل أنّ في هذه النوافل خصوصيّة معيّنة، وإمّا لأجل أنّها من توابع الصلاة الوسطى، ومتمّماتها، ومن بواعث قبولها.

ويمكن أن يكون المقصود من صلاة الزوال صلاة الظهر نفسها التي تُدعى أيضًا بالصلاة الوسطى، من جهة وقوعها في وسط الصلوات اليوميّة، وقد أمر الحقّ المتعالي بالمحافظة على إقامتها قائلًا: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[1].

ويؤيّد هذا الاحتمال:

أوّلًا: أنّه المشهور بين الفقهاء رضوان اللّه عليهم.

ثانيًا: أنّه الأظهر من الروايات، حيث تحظى بخصائص زائدة على الصلوات الأخرى.

ثالثًا: أنّها الصلاة الأولى التي أنزلها الحقّ سبحانه بواسطة جبرائيل على آدم أبي البشر على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام.

والظاهر، أنّ اهتمام رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بصلاة الزوال حيث يوصي قائلًا: «**عليك بصلاة الزوال**» لأجل المحافظة على شروطها وحدودها ونوافلها

(1) سورة البقرة، الآية: 238.

وأوقاتها، وليس لأجل التأكيد. على صلاة الظهر ويستفاد ذلك من الأمر بالمحافظة على الصلوات وخاصة صلاة الظهر أيضًا. وقد وردت أحاديث كثيرة مأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، تأمرنا بالمحافظة على أوقات الصلوات، والإتيان بها في وقت فضيلتها، بل قد يسبّب تأخير الصلاة عن وقت الفضيلة من دون مبرّر من التهاون في الصلاة، وخاصّةً إذا استمرّ على مثل هذا التهاون، وتكرّر على مدى الأيّام اللّاحقة.

- إنّنا قلّما يعترينا النسيان تّجاه أمر دنيوي، ولا سيّما في الأمور المهمّة منها؛ وذلك لاستعظام النفس لها، وتعلّقها بها، وتذكّرها الدائم. ومن الطبيعي أن لا يُنسى مثل هذا الأمر، فإذا قال لك شخص صادق في وعوده، إنّني لدى الظهر من يوم كذا، أدفع لك مبلغًا كبيرًا مهمًّا عندك، فإنّك لا تنسى ذلك اليوم والموعد، بل تحصي الساعات والدقائق حتّى يقترب الوقت لكي تستقبل الموعد بكلّ توجّه وحضور قلب، كلُّ ذلك نتيجة أنّ حبّ النفس لذلك الشيء وإكبارها له، قد شغلك به، فلا تتهاون فيه أبدًا. وهكذا يتمّ الاهتمام من جانب الإنسان في كلّ الأمور الدنيويّة حسب وضعه وشؤونه، وأمّا إذا كان الشيء تافهًا لدى الإنسان، لتوجّهت النفس لحظة واحدة، ثمّ غفلت عنه.

⇦ **إذًا:** هل تعرف المسوّغ لفتورنا هذا في الأمور الدينيّة؟ إنّه لأجل عدم إيماننا بالغيب، وإن مرتكزات عقائدنا واهية، وإيماننا بالوعود الإلهيّة والأنبياء مهتزًّا ومتزلزلًا، وتكون النتيجة أنّ جميع الأمور الدينيّة والشرائع

الإلهيّة عندنا تافهة وموهونة، ويفضي هذا الوهن شيئًا فشيئًا إلى الغفلة؛ فإمّا أنّ هذه الغفلة تهيمن علينا، وتخرجنا كلّيًّا من هذا الدين الشكليّ الصوريّ الذي نعتنقه، أو تبعث على الغفلة لدى أهوال نزع الروح وشدائد اللحظات الأخيرة من حياة الإنسان.

فيا أيّها العزيز: إيّاك ثم إيّاك -واللَّه معينك في أولاك وأخراك- أنّ تتهاون في أمورك الدينيّة، وخاصّة الصلوات الخمسة، وتبدي الفتور والإهمال تجاهها. ويعلم اللَّه بأنّ الأنبياء والأولياء وأئمّة الهدى عليهم السلام قد دفعوا بالناس نحو الصلوات وحذّروهم من التخلّف عنها، نتيجة العطف والحنان منهم على العباد، إذ أنّهم لا ينتفعون من إيماننا، ولا تجديهم أعمالنا شيئًا.

⇦ فيجب الإتيان بالصّلاة في أوّل وقتها لكي لا نقع في التهاون، فإنّ الأمور الّتي تهمّنا ولها قيمة عندنا نؤديّها في وقتها وبأفضل صورة، أمّا الّذي لا يهمّنا نتركه ونؤخّره، فتأخير الصّلاة وعدم الإتيان بها بصورة لائقة يوقعانا في خانة التّهاون في الصّلاة...

* القرآن الكريم:

قد أوصى النّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم «**وعليك بتلاوة القرآن على كلّ حال**».

- فضله:

إنّ من وصايا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الأمر بتلاوة القرآن «**وعليك بتلاوة**

القرآن على كل حال»، وإنّ عقلنا القاصر لا يستوعب فضيلة تلاوة القرآن وحمله وتعلّمه والتمسّك به وملازمته والتدبّر في معانيه وأسراره. وما نقل عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في ذلك أكثر من طاقة هذا الكتاب على استيعابه . ونحن نقتصر على ذكر بعضها:

- الكافي: بإسناده عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**القرآن عهد اللَّه إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية**»[1].

وبإسناده عن الزُّهري قال: سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: «**آيات القرآن خزائن، فكلّما فتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر فيها**»[2].

والمستفاد من هذين الحديثين أنّه حريٌّ بقرّاء القرآن التدبّر في آياته، والتفكّر في معانيه، والتمعّن والتأمّل في الآيات الكريمة الإلهيّة، واستيعاب المعارف والحِكَم والتوحيد من القرآن العظيم...

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**قال رسول اللَّه ﷺ: من قرأ عشر آيات في ليلة لم يُكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كُتب من الذّاكرين، ومن قرأ مائة آية كُتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كُتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كُتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كُتب له قنطار من برّ، القنطار خمسة عشر**

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب فضل القرآن، باب في قراءته ح 1 و 2.
(2) المصدر نفسه.

ألف مثقال من ذهب، والمثقال أربعة وعشرون قيراطًا أصغرها مثل جبل أُحُد وأكبرها ما بين السّماء والأرض»[1].

وعن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**من قرأ القرآن وهو شابّ مؤمن، اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله اللَّه مع السّفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزًا عنه يوم القيامة، يقول: «يا ربّ، إنّ كلّ عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي، فبلِّغْ به أكرم عطاياك، قال: فيكسوه اللَّه العزيز الجبّار حلّتين من حلل الجنة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثمّ يقال له: «هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: «يا ربّ، قد أرغب له في ما أفضل من هذا فيُعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره، ثمّ يدخل الجنّة، فيقال له: اقرأ فاصعد درجة، ثمّ يقال له: هل بلغنا به وأرضيناك، فيقول: نعم»**[2].

وفي نفس الحديث عن الصادق عليه السلام: «**ومن قرأه كثيرًا، وتعاهده بمشقّة من حِفظهِ، أعطاه اللَّه عزَّ وجلَّ أجر هذا مرّتين»**[3].

ويتبيّن من هذا الحديث الشريف، أنّ المطلوب من تلاوة القرآن الكريم هو تأثيره في أعماق قلب الإنسان، وصيرورة باطنه صورة كلام اللَّه المجيد، وتحويل ما هو ملكة القلب من القرآن الكريم إلى التحقّق والفعليّة؛ وذلك حسب ما ورد في الحديث المذكور «**من قرأ القرآن وهو شابٌّ مؤمن**

(1) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب فضل القرآن، ح5، (القيراط في الدنيا يعادل أربعين غرامًا، ولكن عند اللَّه القيراط أصغره مثل جبل أحد).

(2) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب فضل القرآن، ح4، ص603.

(3) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب فضل القرآن، ح4، ص603.

اختلط القرآن بلحمه ودمه»، حيث يكون كناية عن استقرار صورة القرآن في فؤاده، بدرجة يتحول باطن الإنسان حسب استعداده وأهليّته، إلى كلام اللَّه المجيد والقرآن الكريم.

- أداب التّلاوة: يجب أن تكون بتفكّر وتدبّر

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى، ومصابيح الدُّجى، فَلْيَجْلُ جالٍ بصره، ويفتح للضّياء نظره، فإنّ التّفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظّلمات بالنّور**»[1].

- وفي المجالس بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام طويل في وصف المتّقين: «**وإذا مرّوا بآية فيها تخويف، أصغوا إليها مسامع قلوبهم وأبصارهم، فاقشعرّت منها جلودهم، ووجلت قلوبهم، فظنّوا أنّ صهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في أصول آذانهم، وإذا مرّوا بآية فيها تشويق، ركنوا إليها طمعًا، وتطلّعت أنفسهم إليها شوقًا، وظنّوا أنّها نصب أعينهم**»[2].

- ومن الواضح أنّ مَن يتمعنّ ويتدبّر في معاني القرآن الكريم، يتأثّر قلبه، ويبلغ مقام المتّقين شيئًا فشيئًا. وإن حظي بتوفيق وسداد من اللَّه، لتجاوز هذا المقام، ولتحوّل كلّ عضو وجارحة وقوّة منه إلى آية من الآيات الإلهيّة، ولعلّ جَذَوات خطاب اللَّه وجذباته،

(1) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب فضل القرآن، ح5.
(2) وسائل الشيعة، المجلد 4، الباب 3 من أبواب قراءة القرآن، ح 6

ترفعه وتبلغ به إلى مستوى إدراك حقيقة «**اقرأ واصعد**»...

- الإخلاص في القراءة:

ومن الآداب اللازمة في قراءة القرآن، والتي لها دور أساسيّ في التأثير في القلب، والتي لا يكون من دونها لأيّ عمل أهميّة وشأن، بل يعتبر ضائعًا وباطلًا وباعثًا على السخط الإلهيّ، هو الإخلاص، فإنّه ركن أصيل للانطلاق إلى المقامات الأخرويّة، ورأس مال في التجارة الأخرويّة.

وقد ورد في هذا الباب -أيضًا- أخبار كثيرة من أهل بيت العصمة عليهم السلام منها:

- عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة، واستدرّ به الملوك، واستطال به على الناس. ورجل قرأ القرآن، فحفظ حروفه وضيّع حدوده، وأقامه إقامة القدح، فلا كثّر اللَّه هؤلاء من حملة القرآن. ورجل قرأ القرآن، فوضع دواء القرآن على داء قلبه، فأسهر به ليله، وأظمأ به نهاره، وقام به في مساجده، وتجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع اللَّه العزيز الجبّار البلاء، وبأولئك يُديل اللَّه من الأعداء، وبأولئك ينزل اللَّه الغيث من السماء، فواللَّه لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر**»[1].

(1) أصول الكافي، المجلّد 2، ص 604، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح 1، ص 627.

- عن رسول اللَّه ﷺ في حديث قال: «**مَن تعلّم القرآن فلم يعمل به، وآثر عليه حب الدنيا وزينتها، استوجب سخط اللَّه وكان في الدرجة مع اليهود والنصارى، الذين ينبذون كتاب اللَّه وراء ظهورهم. ومن قرأ القرآن، ولم يعمل به، حشره اللَّه يوم القيامة أعمى، فيقول:** ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ **فيُؤمر به إلى النار. ومن قرأ القرآن ابتغاء وجه اللَّه وتفقّهًا في الدين، كان له من الثواب مثل جميع ما أعطي الملائكة والأنبياء والمرسلون. ومن تعلّم القرآن يريد به رياء وسمعة، ليُماري به السفهاء، ويُباهي به العلماء، ويطلب به الدنيا، بدّد اللَّه عظامه يوم القيامة، ولم يكن في النار أشدّ عذابًا منه، وليس نوع من أنواع العذاب إلّا سيُعذّب به من شدّة غضب اللَّه عليه وسخطه. ومن تعلّم القرآن وتواضع في العلم وعلّم عباد اللَّه وهو يريد ما عند اللَّه، لم يكن في الجنّة أعظم ثوابًا منه ولا أعظم منزلة، ولم يكن في الجنّة منزل ولا درجة رفيعة ولا نفيسة إلّا وكان له فيها أوفر النصيب وأشرف المنازل**»[1].

* في معنى الترتيل

ومن آداب قراءة القرآن الكريم، الذي يبعث على التأثير في النفس، ويجدر بالقارئ أن يراعيه، هو الترتيل في التلاوة، وهو، كما في الحديث،

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 4، الباب 9 من أبواب تكبيرة الإحرام، ح 7 و 11، ص 727.

عبارة عن الحدّ الوسط بين السرعة والعجلة من جهة، والتأنّي والفتور المفرطِين الموجَبين لتفرّق الكلمات وانتشارها من جهة أخرى.

- عن محمّد بن يعقوب بإسناده عن عبد اللَّه بن سليمان قال: «**سألت أبا عبد اللَّه** عليه السلام **عن قول اللَّه تعالى: «ورتل القرآن ترتيلا»** قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**تبيّنه تبيانًا (تبيينًا) ولا تهُدّه هدّ الشعر، ولا تنثُره نثر الرمل، ولكن أفرغوا قلوبكم القاسية، ولا يكن هَمّ أحدكم آخر السورة**»[1] (أي لا يكن هدفكم ختم القرآن في أيّام معدودة أو الإسراع في قراءة السورة والبلوغ إلى آخرها).

- فالإنسان الذي يريد أن يتلو كلام اللَّه، ويداوي قلبه القاسي، ويشفي أمراضه القلبيّة، من خلال قراءته للكلام الجامع الإلهيّ، ولكي يطوي مع نور هداية هذا الصباح الغيبيّ المنير، وهذا النّور على النّور السماويّ، طريق الوصول إلى المقامات الأخرويّة والمدارج الكمالية، لا بدّ له من توفير الأسباب الظاهريّة والباطنيّة، والآداب والصوريّة والمعنويّة. أمّا أمثالنا عندما نقرأ القرآن بعض الأحيان، فمضافًا إلى أنّنا نغفل نهائيًّا عن معاني الآيات الكريمة، وأهدافها السامية، وأوامرها ونواهيها، ووعظها وزجرها، وكأنّ آيات الجنّة ونعيمها، وآيات جهنّم والعذاب الأليم، لا تعنينا، بل -نعوذ باللَّه- يكون انتباهنا وتوجه قلوبنا عند قراءة الكتب القصصيّة أكثر من

(1) اصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب فضل القرآن، ح 1، ص 614.

توجهنا حين تلاوتنا للآيات المجيدة، مضافًا إلى ذلك، فإنّنا في غفلة حتّى عن الآداب الظاهريّة لقراءة القرآن الكريم.

- وقد ورد في الأحاديث الشريفة، الأمر بقراءة القرآن بصوت حزين وجميل:

فعن أبي الحسن عليه السلام قال: «**ذكرت الصوت عنده، فقال إن عليّ بن الحسين عليهما السلام كان يقرأ فرُبّما مرّ به المار فصعق من حسن صوته، وأنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئًا لما إحتمله الناس من حُسنه**»[1].

ونحن عندما نريد أن نُري للناس صوتنا الحسن وأنغامه الجميلة، نلتجأ إلى قراءة القرآن أو الآذان، ومن دون أن نستهدف تلاوة القرآن والعمل بهذا الاستحباب. وعلى كلّ حال، إنّ مكائد الشيطان، وأضاليل النفس الأمّارة كثيرة، وغالبًا يلتبس الحقّ بالباطل، والحسن بالقبيح، فيجب أن نلوذ إلى اللَّه سبحانه، ونعوذ به من هذه الأشراك والأفخاخ.

* رفع اليدين في الصّلاةِ وتقليبهما:

إنّ ما ورد في هذا الحديث الشريف من قوله «**وعليك برفع يديك في صلاتك وتقليبهما**» ظاهر في رفع اليدين لدى التكبيرات أثناء الصلاة. وأنّ المقصود من تقليب اليدين يحتمل أن يكون جعل باطن الكفّين نحو القبلة، فإنّ من المستحبات هو رفع اليدين لدى التكبير، ويحتمل أن يكون المقصود

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، باب ترتيل القرآن، ح 4.

منه رفع اليدين لدى القنوت، فيجعل باطن الكفّين نحو السماء، كما أفتى باستحباب ذلك الفقهاء رضوان اللّه تعالى عليهم، وناقشوا في دليل ذلك، رغم أنّه لا حاجة إلى دليل آخر بعد السيرة القطعيّة المتشرّعة على القنوت المتعارف من رفع اليدين نحو السماء، وعدم فهمهم منه إلّا هذه الطريقة الشائعة لدى المصلّين في القنوت، وعدم اكتفائهم برفع اليدين بصورة مطلقة؛ وعلى أيّ حال، فإنّ الأظهر من هذه الرواية الشريفة، هو الاحتمال الأول.

من المستحبّ رفع اليدين في تكبيرة الإحرام، بل قال بعض الفقهاء إنّها واجبة بتفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[1]؛ بمعنى أنّ النّحر هو رفع اليدين في التّكبيرة، وكانت بصيغة الأمر وتستحب سبع تكبيرات (6 + 1 تكبيرة الإحرام) لخرق حجب السّموات السّبع. ويستحبّ التّكبير أيضًا بعد الرّكوع والسّجود في قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾. عن مقاتل بن حيّان، عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام في ما يخصّ سورة الكوثر قال: «**لمّا نزلت على النّبيّ** صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ **قال جبرئيل** عليه السلام: **ما هذه النّحيرة الّتي أمَرَ بها ربّي؟ قال يا محمد: إنّها ليست بنحيرة، ولكنّه يأمرك إذا تحرّمت للصّلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الرّكوع، وإذا سجدت، فإنّه صلاتنا وصلاة الملائكة في السّماوات السّبع، وإنّ لكلّ شيء زينة، وإنّ زينة الصّلاة رفع الأيدي عند كلّ تكبيرة**»[2].

(1) سورة الكوثر، الآية 2.

(2) وسائل الشيعة، مجلّد 4، الباب 9، حديث 13 و14.

وفي حديث آخر قريب من هذا المضمون، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قَالَ: **قُلْتُ لَهُ لأَيِّ علَّة صارَ التَّكْبيرُ في الافْتتاح سَبْعَ تَكْبيرات أَفْضَلْ** (إلى أن قال) قالَ: «**يا هِشَامُ، إنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّماوات سَبْعًا وَالأَرْضَينَ سَبْعًا وَالْحُجُبُ سَبْعًا، فَلَمَّا أَسْرَى بالنَّبي ﷺ، فكانَ منْ رَبِّه كقاب قَوْسَيْن أَوْ أَدْنى رَفَعَ له حجابًا مَنْ حُجُبه، فكَبَّر رَسُولُ اللَّه ﷺ، وَجَعَلَ يَقُولُ الْكَلمات الَّتي تُقالُ في الافْتتاح، فلَمَّا رَفَعَ لَهُ الثّاني كَبَّرَ، فَلَمْ يَزلْ كَذلكَ حتَّى بَلَغَ سَبْعَ حُجُب، فكَبَّرَ سَبْعَ تَكْبِيراتٍ، فَلتلكَ الْعِلَّة يُكَبِّرُ للافْتتاح في الصَّلاة سَبْعَ تَكْبِيراتٍ**»[1].

إنّ هذا الحديث ينسجم مع الذوق والمشرب العرفانيّ؛ لأنّ مع رفع كلّ يد لدى التكبير، خرق لحجاب، وإزاحة لستار، وظهور نور من أنوار الكرامة، وحيث إنّ هذا النور قيد من الحجب النورانيّة، فمع رفع اليدين يحطّم هذا القيد، ويزيح الحجاب، ويُنَحّى، وهكذا حتّى يتجلّى الذات ويتمّ الوصول إلى منتهى الكرامة، الذي هو غاية آمال الأولياء. ونستطيع أن نفسّر الرواية السابقة في ضوء هذه الرواية، وعلى أيّ حال، إنّنا محرومون من استيعاب هذه المعاني، فكيف بمشاهدتها أو الوصول إليها...!

- نُقل عن الإمام الرّضا عليه السلام كما في كتابَي (علل الشّرائع) و(عيون الأخبار) قال: «**إنَّما تُرْفَعُ اليَدان بالتَّكْبير؛ لأَنَّ رَفْعَ الْيَدَين ضَرْبٌ منْ الابْتهالِ وَالتَبَتُّلَ وَالتَّضرُّع، فَأَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ أَنْ يكُونَ العَبْدُ في**

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 4، الباب 7، ح7.

وَقْتِ ذِكْرِه لَهُ مُتَبَتِّلًا مُتَضَرِّعًا مبتهِلًا، وَلأَنَّ فِي رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِحْضارَ النِّيَةِ وَإِقْبالَ الْقَلْبِ»[1].

وهذا الكلام يتطابق مع ما يقوله بعض أهل المعرفة في فلسفة رفع اليدين لدى التكبير من إلقاء غير اللَّه وراء ظهره، واقتلاع أشواك طريق الوصول إلى الحبيب، وجعل نفسه منقطعة عن الغير، وخالصة مخلصة له من دون أدنى توجّه إلى الغير والغيريّة، الذي يعدّ في مذهب العشّاق والمحبّين شركًا للَّه سبحانه- ثم يبدأ معراجه الحقيقيّ الروحانيّ، والسفر إلى اللَّه. وهذا السفر والمعراج لا يمكن أن يتحقّق من دون رفض الغير والغيريّة، وترك الذات والأنانيّة. كما أنّ مع التكبيرات السبعة الافتتاحيّة نخرق الحجب السبعة الملكيّة والملكوتيّة نهائيًّا. ففي كلّ تكبيرة من التكبيرات السبعة من صلاة الأولياء خرق لحجاب، ورفض لعوالم ذلك الحجاب وللقاطنين فيها. ثمّ ينكشف عليهم حجاب آخر، ويتجلّى لهم على قلوبهم، تجليًّا تقييديًّا، فبالتكبير اللّاحق يجتث الأشواك من الطريق، ولا يلتهي بعالم ما وراء الحجاب وساكنيه، وكأنّ باطن قلوبهم يهتف: اللَّه أكبر من أن يتجلّى تجلّيًا تقييديًّا، كما هتف بذلك شيخ الأولياء والمخلصين، خليل الرحمن في ذاك السفر العرفانيّ الشهوديّ، والتجلّيات التقييديّة. فالسالك إلى اللَّه، والمسافر إلى ساحة الحبيب، والمجذوب لطريق الوصول إلى المعشوق، يخرق الحجب واحدًا بعد آخر، حتّى ينتهي إلى التكبير الأخير،

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 4، الباب 9، ح11.

فيخرق به الحجاب السابع، ويرفض الغير والغيريّة، ويقول: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، كما قاله النبيّ إبراهيم خليل الرحمن. ثمّ تنفتح عليه الأبواب، وتنكشف له سبحات الجلال، فيستعيذ من الشيطان الرجيم، ويبدأ ببسم اللّه الرحمن الرحيم.

*** فضل السّواك:**

اعلم، أنّ من الآداب المستحبّة الشرعيّة بشكل مطلق السواك، الذي أوصى به رسول اللّه ﷺ، في هذا الحديث الشريف «**وعليك بالسواك عند كل وضوء**». ويتأكّد في بعض الحالات الخاصّة، مثل قبل الوضوء، وقبل الصلاة، وعند قراءة القرآن، وحين السحر، ولدى القيام من النوم. وقد أكّدت الأخبار الشريفة على ذلك، وذكرت له آثارًا كثيرة. ونحن نقتصر على ذكر بعضها في هذا الكتاب.

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «**في السواك اثنتا عشرة خصلة: هو من السنّة، ومطهرة للفم، ومجلاة للبصر، ويُرضي الربّ، ويذهب بالبلغم، ويزيد في الحفظ، ويبيّض الأسنان، ويُضاعف الحسنات، ويذهب بالحفر، ويشدّ اللثة، ويُشهّي الطعام، ويفرح به الملائكة**»[2].

(1) سورة الأنعام، الآية: 79.

(2) فروع الكافي، المجلّد 6، كتاب الزي والتجمل، باب السواك، ح 6.

وفي الحديث عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك**»[1].

فمن الحريّ بالإنسان أن يواظب على السواك، الذي يفيد صحّته، وينظّف أسنانه، مع قطع النظر عن الأمور الغيبيّة الباطنيّة التي أعظمها رضا اللَّه سبحانه، وأن يستمرّ على هذه السُنّة التي تعدّ من سُنن المرسلين.

* محاسن الأخلاق ومساوِئُها:

لا شكّ في أنّ هدف بعثة الأنبياء هو إتمام مكارم الأخلاق... فعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**بُعِثتُ لأتّمم مكارم الأخلاق**»[2] وإنّ الفضائل النّفسيّة هي موجودة في الإنسان، فتأتي تصرّفاته الإراديّة.

ولا بدّ من معرفة أنّ علماء الأخلاق أرجعوا كافّة الفضائل النفسيّة، إلى أمور أربعة هي: **الحكمة، العفّة، الشجاعة، والعدالة.** اعتبروا الحكمة فضيلة للنفس الناطقة التي تُميّز وتفرّق الإنسان عن غيره. والشجاعة من فضائل النفس الغضبيّة. والعفّة من فضائل النفس الشهويّة، والعدالة ترعى الفضائل الثلاثة. كما وأنّ علماء الأخلاق أرجعوا جميع الفضائل والكمالات النفسيّة إلى هذه الفضائل الأربعة.

- عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قالَ: «**إنَّ اللَّه خَصَّ رَسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ**

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 1، الباب 5 من أبواب السواك.
(2) تفسير مجمع البيان، المجلّد 10، ص333.

فَامْتَحنُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنْ كَانَتْ فيكُمْ فَاحْمَدُوا اللَّهَ، وَارْغَبُوا إِلَيْه في الزِّيَادَة منْهَا؛ فَذَكَرَهَا عَشْرَةً: اليَقينُ، وَالقَنَاعَةُ، وَالصَّبْرُ، وَالشُّكْرُ، وَالحِلْمُ، وَحُسْنُ الخُلْقِ، وَالسَّخَاء، وَالغيرَةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالمُرُوَّةُ»[1].

* تفسير المروّة

(لم يتطرق الإمام الخمينيّ قدس سره إلى تفسير المروّة في «**الأربعون حديثًا**»، فمن باب إيضاح المعنى، قمنا بذكر هذين الحديثين).

عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**ستّ من المروّة: ثلاث منها في الحَضَر، وثلاث منها في السفر: فأمّا التي في الحَضَر: فتلاوة كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ، وعمارة مساجد اللَّه، واتّخاذ الإخوان في اللَّه عزَّ وجلَّ، وأما التي في السّفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير المعاصي**»[2].

وعن الإمام الحسن عليه السلام، عن المروّة: «**هي إصلاح الرّجل أمر دينه، وحسن قيامه على ماله، ولين الكفّ، وإفشاء السّلام، والتّحبّب إلى الناس**»[3].

* تتمّة أحاديث محاسن الأخلاق ومساوِئُها:

- عن الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام أنه قال: «**عليكم**

(1) كتاب من لا يحضره الفقيه، المجلّد 3، ح4901.
(2) الخصال، ج1، ص28.
(3) تاريخ اليعقوبي (2): 226.

بمكارم الأخلاق فإنّ اللّه عزّ وجلّ يُحبّها، وإيّاكم ومذامّ الأفعال، فإنّ اللّه يُبغضها ـ إلى أن قال: وعليكم بحسن الخُلُق، فإنّه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم»[1].

- الكافي: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنّ أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا**»[2].

- وبإسناده عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة، أفضل من حسن الخُلُق**»[3].

- وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**أكثر ما تلج به أمّتي الجنّة، تقوى اللّه، وحسن الخُلُق**»[4].

- وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «**البرّ وحسن الخلق يعمّران الديار، ويزيدان في الأعمار**»[5].

- وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «**إنّ اللّه تبارك وتعالى ليُعطي العبد من الثواب على حسن الخُلُق كما يعطي المجاهد في سبيل اللّه، يغدو عليه ويروح**»[6].

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 11، الباب 6 من أبواب جهاد النفس وما يناسبه، ح 8.
(2) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق، ح 2.
(3) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق، ح 6.
(4) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق ح 6، 8، 12.
(5) المصدر نفسه.
(6) المصدر نفسه.

وكما أنّ حسن الخُلُق يوجب كمال الإيمان، وثقل الميزان، والدخول في الجنان، فإنّ سوء الخُلُق على العكس من ذلك؛ حيث إنّه يفسد الإيمان، ويلقي بصاحبه في العذاب الأليم. كما أشير إلى ذلك في الأحاديث الشريفة:

- الكافي: بإسناده عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**إنّ سوء الخُلُق ليُفسد الإيمان، كما يُفسد الخلّ العسل**»[1].
- وفي رواية أخرى عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**إنّ سوء الخُلُق ليفسد العمل، كما يُفسد الخلّ العسل**»[2].
- وعن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**قال النبيّ ﷺ: أبى اللَّه عزّ وجلّ لصاحب الخُلُق السيّئ بالتوبة، قيل: وكيف ذلك، يا رسول اللَّه؟ قال: لأنّه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه**»[3].
- وعن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**من ساء خُلُقه عذّب نفسه**»[4].

يستطيع الإنسان ما دام حيًّا، أن ينقذ نفسه من هذه الظلمات، ويبلغ بها عالم الأنوار. نعم، يستطيع البلوغ إلى ذلك، ولكن لا مع هذه البرودة والخمود والفتور والإهمال الذي أصابنا، حيث نرى جميعًا بأنّنا منذ أيّام

(1) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب سوء الخلق، ح 1 - 2 - 3 - 4.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه.

الطفولة ننمو على الخلق الذميم والسلوك المنحرف، الذي أقترفناه جرّاء هذه الحالات السيّئة من العشرة اللامسؤولة، والاختلاط غير اللائق، ونحافظ عليها، بل نضيف في كلّ يوم على تلك الصفات البشعة، جريرة أخرى، وكأنّنا لا نعتقد بوجود عالم آخر، ونشأة باقية أخرى.

وكأنّ دعوة الأنبياء والأولياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا تعنينا؛ وعليه لا نعلم إلى أين نصل مع هذه الأخلاق التي نتّصف بها، ومع هذه الأعمال التي نقترفها؟ وفي أيّ صورة نُحشر يوم القيامة؟

وعندما نصحو ونستيقظ، نعرف بأنّ الفرصة قد فاتتنا، وأنّ الحسرة والنّدامة ستكون من نصيبنا، ولا نلومنّ حينئذٍ إلّا أنفسنا!

فيا أيّها العزيز: إن وجدت نفسك في غنى عن اقتناء الفضيلة، أو لا تلمس ضرورة في الابتعاد عن الخلق السيّئ، فحاول أن تعالج جهلك الذي هو رأس الأمراض!

30 أقسامُ القُلوب

عن الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام: «**إنّ القلوبَ أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر أجرد، فقلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئة السّراج، فأمّا المطبوع فقلب المنافق، وأمّا الأزهر فقلب المؤمن، إن أعطاه شكر، وإن ابتلاه صبر، وأمّا المنكوس فقلب المشرك، ثم قرأ هذه الآية** ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]**، وأمّا القلب الّذي فيه إيمان ونفاق، فهم كانوا بالطّائف، فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك، وإن أدركه على إيمانه نجا**»[2].

«**المنكوس**»؛ أي المقلوب يُقال: نَكَستُ الشيء أنكُسُهُ نكسًا: قَلَبتُهُ على رأسه، وفي الصحاح الوَلَدُ المنكوس: الذي يَخرج رجلاه قبل رأسه، وقريب إلى هذا المعنى ما في الآية الشريفة ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾. وقد استشهد الإمام الباقر عليه السلام بهذه الآية؛ لأن الإكباب هو السقوط على الوجه، وهو

---

(1) سورة الملك، الآية 22.

(2) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في ظلمة قلب المنافق، ح2.

كناية عن أنّ قلوب أهل الشرك مقلوبة، وإنّ حركتهم وسيرهم تكون على غير الصراط المستقيم.

و«**المطبوع**»: أي المَختوم، والطبع بالسكون: الخَتم، وبالتحريك الدَّنس والوَسَخ. فإذا كان بمعنى المختوم، كان كناية عن عدم تغلغل كلمة الحقّ والحقائق الإلهيّة في قلوبهم، ورفضها لتقبّل تلك الحقائق...

و«**الأزهر**»: النيّر، ويُسمّى القمر الأزهر، قال ابن السكّيت: الأزهران، الشمس والقمر، ورجل أزهر أي أبيض مُشرق الوجه، والمرأة: الزهراء.

و«**الأجرد**»: الذي ليس في بدنه شعر. وفي «الصحاح»: الجُرد: فضاء لا نبات فيه. وهذه كناية عن عدم تعلّق قلبه بالدنيا، أو عن خلوّه من الغلّ والغشّ.

*** إذًا، توجد أربعة أقسام للقلوب:**

1- قلب فيه نفاق وإيمان (إيمانه متقلّب).

2- قلب منكوس (قلب المشرك والكافر).

3- قلب مطبوع (قلب المنافق).

4 - قلب أزهر أَجْرد (قلب المؤمن).

- إنّ النفوس المنكبّة على الدنيا، والملتهية بتعميرها والمنصرفة عن الحق، تكون منكوسة، رغم أنّها تعتنق الإيمان بالمبدأ والمعاد، لأنّ المقياس في انتكاس القلوب، هو الغفلة عن الحقّ والانشغال بالدنيا وتعميرها. وهذا الإيمان بالمبدأ والمعاد إمّا لا يعدّ إيمانًا

وعقيدة، كما ذكر في شرح بعض الأحاديث السابقة، أو أنّ الإيمان يكون ناقصًا وبسيطًا جدًّا؛ وعليه لا يتنافى مع انتكاس القلب، بل أنّ من يظهر الإيمان بالغيب والحشر والنشر، ولا يخشى من ذلك، وأنّ إيمانه لا يدفع به إلى عمل الجوارح والأركان، يكون مثل هذا الإنسان منافقًا، ولا يكون مؤمنًا. ويمكن أن يكون مَثَل هؤلاء المؤمنين الشكليّين، مَثَلَ قوم كانوا بالطائف، كما ورد في الحديث: «**إن أدرك أحدهم أَجَلَه على نفاقه هلك، وإن أدركه على إيمانه نجا**»[1] ونعوذ باللَّه من زوال هذا الإيمان الذي ليس له لبّ وجوهر، ولا هيمنة له في مُلك الجسم، ومن انتقال الإنسان من هذه الدنيا على النفاق، وحشره مع المنافقين. وهذا من الأمور الهامّة التي لا بدّ أن تذعن لها نفوسنا الضعيفة، ونهتمّ بها، ونكون حريصين على تعميق الإيمان في الظاهر والباطن والسرّ والعلن، وكما ندّعي الإيمان في قلوبنا، نجهد أنفسنا على هيمنة الإيمان على الظاهر أيضًا، حتّى يتجذّر الإيمان في القلب، ولا يزول أمام أيّ عائق ومانع، أو أيّ تغيير وتبديل، إلى أن يتمّ تسليم هذه الأمانة الإلهيّة، والقلب الطاهر الملكوتي، الذي تخمّر بالفطرة الإلهية إلى الذات المقدّس، من دون أن تمتد إليه يد الشيطان والخيانة...

* تفسير الآية الشّريفة ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي

(1) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في ظلمة قلب المنافق، ح2.

سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾[1].

لقد فسّرت الأحاديث الشريفة: ﴿صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ المذكور في نهاية هذه الآية المباركة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة المعصومين عليهم السلام:

- عن الكافي بإسناده عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: «قلت: «أفمن يمشي مُكبّا على وجهه أهدى، أم من يمشي سويًا على صراط مستقيم»؟ قال: إنّ اللّه ضرب مثلًا، من حاد عن ولاية عليّ عليه السلام، كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سويًّا على صراط مستقيم. والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام»[2].

- وعن الفضيل قال: دخلت مع أبي جعفر عليه السلام المسجد الحرام وهو متّكئ عليّ، فنظر إلى النّاس ونحن على باب بني شيبة فقال: **يا فُضَيل هكذا كانوا يطوفون في الجاهليّة، لا يعرفون حقًّا، ولا يدينون دينًا، يا فضيل، اُنظر إليهم مُكبّين على وجوههم، لعنهم اللّه من خلق، مسخهم ربّهم مُكبّين على وجوههم، ثمّ تلا هذه الآية:** ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾، **يعني عليًّا عليه السلام والأوصياء عليهم السلام**[3].

(1) سورة الملك، الآية 22.
(2) أصول الكافي، المجلّد 1، كتاب الحجّة، ح 91.
(3) روضة الكافي، ح 434.

- من التصرّفات الخبيثة للشيطان، إضلال القلب، وإزاغته عن الصراط المستقيم، وتوجيهه نحو فاتنة أو شيخ مرشد. ومن إبداع الشيطان الموسوس في صدور النّاس، الفريد من نوعه، هو أنّه مع بيان عذب ومليح، وأعمال مغرية، قد يعلّق بعض المشائخ بشحمة أذن فاتنة جميلة، ويبرّر هذه المعصية الكبيرة، بل هذا الشرك لدى العرفاء، بأنّ القلب إذا كان متعلّقًا بشيء واحد، استطاع أن يقطع علاقاته مع الآخرين بصورة أسرع، فيركّز كلّ توجّهه أوّلًا على الفتاة الجميلة بحجّة أنّ القلب ينصرف عن غيرها، وأنّه منتبه إلى شيء واحد، ثمّ يقطع هذا الارتباط الوحيد، ويركّز قلبه على الحقّ المتعالي. وقد يدفع الشيطان بإنسان أبله نحو إنسان أبله، نحو محيا مرشد مكّار وحش، بل شيطان قاطع للطريق، ويلتجئ في تبرير هذا الشرك الجليّ، إلى أن هذا المرشد هو الإنسان الكامل، وأنّه لا سبيل للإنسان في الوصول إلى مقام الغيب المطلق إلّا بواسطة الإنسان الكامل المتجسّد في المرآة الأحديّة للمرشد، ويلتحق كلّ منهما بعالم الجنّ والشياطين. ذاك -المرشد- بالتفكير في جمال معشوقه ومفاتنه إلى نهاية عمره، وهذا -الإنسان البسيط- بالانتباه الدائم إلى محيا مرشده المنكوس حتّى آخر حياته، فلا تنسلخ العلقة الحيوانيّة عن المرشد، ولا يبلغ الإنسان الأبله الأعمى إلى منشوده ومبتغاه.

- فالقلوب التي أعرضت عن الحقّ والحقيقة، وخرجت عن فطرتها المستقيمة، وأقبلت على الدنيا، ألقت بظلالها على ذلك العالم، حيث يخرج أصحابها هناك من الاعتدال، ويكونون منكوسين، ومتّجهين نحو عالم الطبيعة والدنيا، التي تعتبر أسفل السافلين. فمن المحتمل أن يمشي البعض مكبًّا على وجهه، وتكون ساقاه نحو الأعلى، ويمشي بعض على بطنه، وبعض على يدَيه ورجليه، كما كان اتّجاهه في هذا العالم ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فمن الممكن أنّ هذا الاستعمال المجازيّ في هذا العالم المجازيّ، يتحوّل إلى واقعيّة وحقيقة في عالم الحقائق والظهور للروحانيّات والغيبيّات.

فلا بدّ من السّعي لإصلاح القلب الّذي على أساس إصلاحه يكون إمّا السّعادة وإمّا يكون الشقاوة، ويجب على الإنسان أن يجعل موضوع إصلاح قلبه هو المبتغى الّذي به منتهى السّعادة الرّوحية، وبعد أن يصلح القلب تتجلّى له حقيقة النّور.

31

إنَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يوصّف

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سَمعْتُهُ يقول: «**إنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يُوصَفُ، وَكَيْفَ يَوصَفُ وَقالَ في كِتَابه:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾[1]، **فَلا يوصَفُ بِقَدَرٍ إلّا كانَ أعْظَمَ مِنْ ذلكَ. وَإنَّ النَّبيَّ** صلى الله عليه وآله وسلم **لا يوصَفُ، وَكَيْفَ يوصَفُ عَبْدٌ احْتَجَبَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِسَبْعٍ، وَجَعَلَ طاعَتَهُ في الأرْضِ كَطاعَته في السَّماء، فَقالَ:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[2]. **وَمَنْ أطَاعَ هذا فَقَدْ أطاعَني، وَمَنْ عَصاهُ فَقَدْ عَصاني، وَفَوَّضَ إلَيْـه. وَإنّا لا نوصَفُ، وَكَيْفَ يوصَفُ قَوْمٌ رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وهُوَ الشَّكُّ. وَالْمُؤْمنُ لا يوصَفُ، وَإنَّ الْمُؤْمنَ لَيَلْقى أخاهُ فَيُصافحُهُ، فَلا يَزالُ اللَّهُ يَنْظُرُ إلَيْهِما وَالذُّنُوبُ تَتَحاتُّ عَنْ وُجوههما كَما يَتَحاتُّ الْوَرَقُ عَنِ الشَّجَرِ**»[3].

(1) سورة الأنعام، الآية 91.

(2) سورة الحشر، الآية 7.

(3) أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الايمان والكفر، باب المصافحة، ح 16.

- إنّ الحقَّ تعالى لا يوصف بالشكل والحجم والطول، لأنّ هذا نقص، ومن يفعل ذلك فإنّما يفتري على اللَّه... أمّا نحن فمأمورون بوصفه حسب صفاته في القرآن، وما جاء على لسان العترة، مثل أسماء اللَّه الحسنى، بل يجب تعظيم الحقّ، والمقصود بالآية الشّريفة ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾[1]؛ يعني ما عظّموه حقّ تعظيمه.
- لا شكّ في أنّ العلم بحقيقة الأسماء والصّفات غير ميسور، فإذا لم يتمّ خرق الحجب، بتوفيق من اللَّه سبحانه، ظلّ التّقوى الكاملة، والتّرويض المجهد للنّفس، والانقطاع التّامّ للَّه، والمناجاة الصّادقة معه، لم تشرق في قلب السّالك أنوار الجمال والجلال، ولم يشهد قلب المهاجر إلى اللَّه المشاهدات الغيبيّة، ولم يحظَ بالحضور العينيّ لتجلّيات الأسماء والصّفات، فضلًا عن حظوظ التّجلّيات الذّاتيّة؛ ولذلك ندعو اللَّه أن يتفضّل علينا، ويكون ويعيننا ويهدينا إلى أنوار جماله.

* في بيان أنّ العلم بحقيقة روحانيّة الأنبياء والأولياء، لا يمكن أن يتمّ بالفكر والبرهان

اعلم، أنّه لا يمكن معرفة روحانيّة ومقام خاتم الأنبياء ﷺ خاصّة، والأنبياء العظام والأولياء المعصومين عليهم السلام عامّة مع التفكّر والتدبّر وسير الآفاق والأنفس؛ لأنّ هؤلاء الأجلّاء، من الأنوار الغيبيّة

(1) سورة الأنعام، الآية 91.

الإلهيّة، والمظاهر التامّة للجلال والجمال، وآياتهما الباهرة. وقد بلغوا في سيرهم المعنويّ، وسفرهم إلى اللّه، الغاية القصوى، والفناء في الذّات، ومنتهى العروج: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

- عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ الْعالم، فَقالَ لي: «**يا جابِرُ، إنَّ في الأنْبِياءِ والأوْصياءِ خَمْسَةَ أرْوَاحٍ: روحَ الْقُدُسِ، وُروحَ الإيمانِ، ورُوحَ الْحياةِ، وَرُوحَ القُوَّةِ، وُروحَ الشَّهْوَةِ. فَبِروحِ الْقُدُسِ -يا جابِرُ- عَرَفُوا ما تَحْتَ الْعَرشِ إلى ما تَحْتَ الثَّرى. ثُمَّ قالَ: يا جابِرُ، إنَّ هذه الأرْبَعَةَ أرْواحٍ يُصيبُهَا الْحِدْثانُ إلاّ روحَ الْقُدُسِ، فَإنَّها لا تَلْهو وَلا تَلْعَبُ**»[1].

- وعن أبي بصير قال: سَأَلْتُ أبا عَبْدِ اللّه عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللّه تَبارَكَ وتَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾، قالَ: «**خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللّه تَبارَكَ وَتَعالى، أعْظَمُ مِنْ جَبْرَئيلَ وَميكائيلَ، كانَ مَعَ رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يُخْبِرُهُ وَيُسَدِّدُهُ وَهُوَ مَعَ الأئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ صَلَواتُ اللّه عَلَيْهِمِ**»[2].

- وفي الحديث الشّريف عن النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: «**عليٌّ ممسوس في ذات اللّه**»[3].

(1) أصول الكافي، المجلد الأوّل، كتاب الحجّة باب فيه ذكر أرواح الأئمّة، ح 2.
(2) الكافي الأصول، المجلد الأوّل باب الرّوح التي يسدّد اللّه، ح1.
(3) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج39، ص313.

يُفهم من الحديث الأوّل، أنّ للأنبياء والأوصياء عليهم السلام مقامًا شامخًا من الروحانيّة يدعى بـ (**الروح القدس**)، ومن خلاله يتمتّعون بالإحاطة العلميّة القيّوميّة لجميع الكائنات، حتّى ذرّاتها الصغيرة جدًّا، ولا توجد فيها الغفلة والنوم والسهو والنسيان وكافّة الحوادث والتغيّرات والنقائص الملكيّة، بل تكون من عالم الغيب المجرّد، والجبروت الأعظم.

كما يُستفاد من الحديث الثاني، أنّ تلك الروح المجرّدة الكاملة، أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهما السلام، رغم أنّهما أعظم القاطنين في مقام قرب الجبروت.

نعم، إنّ الأولياء، الذين تخمّرت طينتهم على يدي قدرة الجمال والجلال للحقّ المتعالي، وتجلّى سبحانه في مرآتهم الكاملة، لدى التجلّي الذاتيّ الأوّل بجميع الأسماء والصفات، ومقام أحديّة الجمع، وتعلّموا حقائق الأسماء والصفات في مقام غيب الهويّة. إنّ مقام هؤلاء الأولياء أسمى وأرفع من أن تنال آمال أهل المعرفة أطراف كبرياء جلالهم وجمالهم، وأن تبلغ خطوات معرفة أهل القلوب ذروة كمالهم.

* تفسير قوله كيف يوصف عبد احتجب اللّه عزَّ وجلَّ بسبع:

يوجد احتمالات في هذه الجملة، ومنها اثنان:

1 - ما ذكره بعض العارفين من أنّ للّه سبعين ألف حجاب من نور وظُلمة، فيكون التّفسير أنّ اللّه كشف جميع الحجب إلّا سبعًا «فاحتجب اللّه بسبع».

2 - ما نقله المجلسيّ (رض) من أنّ اللّه احتجب عن الخلق بسبع سماوات، وجعل النّبيّ خليفة في عباده، وأناط طاعته بطاعته، وفوّض إليه أمور

خلقه، كالملك الّذي يوجد بينه وبين الناس سبعة أبواب، فيضع وزيرًا له، وينصّبه، حاكمًا، ويكتب كتابًا بوجوب طاعته.

* معنى التّفويض:

عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وأبا عبد اللّه عليه السلام يقولان: «**إنّ اللّه عزّ وجلّ فوّض إلى نبيّه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ؛ ثم تلا هذه الآية:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1] [2].

اللّه هو الغنيّ المطلق، وليس ناقصًا؛ ليقوم بالتفويض بمعنى مساعدة الآخرين له، ولكن يفوّض بمعنى يكرم عباده المخلصين والملائكة، وهذا ضمن النّظام الملكيّ، وقد تعلّمنا النّظام من هذا الأمر... فاللّه قد فوّض عزرائيل بقبض الأرواح، وإسرافيل بإحياء الموتى، ونُبيّ اللّه عيسى بالإحياء وغيرهم... وأيضًا قد بلّغ النّبيّ باستحباب إتيان بعض الصلوات، فكلّ قراراتهم تكون حسب المصلحة الإلهيّة وبالإلهام والوحي... ولكن ذلك كلّه بإذن من اللّه.

* مقام النبيّ وآله:

اعلم، أنّ لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام مقامًا روحانيًا شامخًا، في السير المعنويّ إلى اللّه، يفوق قدرة استيعاب الإنسان حتّى من الناحية العلميّة، وأسمى من عقول ذوي العقول وأعظم من شهود أصحاب العرفان. كما يُستفاد من الأحاديث الشريفة، أنّهم صلوات اللّه عليهم، يشاركون

(1) سورة الحشر، الآية 7.

(2) أصول الكافي، المجلّد 1، كتاب الحجّة، باب التفويض إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، ح3.

الرسول الأكرم ﷺ في مقام الروحانيّة، وأنّ أنوارهم المطهّرة كانت تسبّح وتقدّس للذات المتعال قبل خلق العالم.

- عن محمَّد بن سنان قالَ: «**كُنْتُ عنْدَ أبي جعفر الثّاني** عليه السلام **فأجْرَيْتُ اخْتلافَ الشِّيعَة، فقال: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالى لَمْ يَزَلْ مُتَفَرِّدًا بوَحْدانيَّته، ثُمَّ خلَقَ مُحَمَّدًا وَعَليًّا وَفاطمَةَ فَمَكثُوا ألْفَ دَهْر، ثُمَّ خَلَقَ جَميعَ الأشْياء، فَأشْهَدَهُمْ خَلْقَها، وَأجْرى طاعَتَهُمْ عَلَيْها، وَفَوَّضَ أُمورَها إلَيْهمْ، فَهُمْ يُحلّونَ ما يَشاؤُونَ، وَيُحَرِّمونَ ما يَشاؤُونَ، وَلَنْ يَشاؤُوا إلاّ أنْ يَشاءَ اللَّهُ تَعالى».**

ثُمَّ قالَ: «**يا مُحَمَّدُ، هذه الدِّيَانَةُ الَّتي مَنْ تَقَدَّمَها مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها مُحقَ، وَمَنْ لَزمَها لَحقَ، خُذْها إلَيْكَ يا مُحَمَّدُ**»[1].

- وبإسناده عَن الْمُفَضَّل قالَ: قُلْتُ لأبي عَبْد اللَّه عليه السلام: «**كَيْفَ كُنْتُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ فِي الأظلَّة؟ فقالَ: «يا مُفَضَّلُ، كُنّا عنْدَ رَبِّنا، لَيْسَ عنْدَهُ أحَدٌ غَيْرُنا في ظلَّة خَضْراء، نُسَبِّحُهُ وَنُقَدِّسُهُ وَنُهَلِّلُهُ وَنُمجِّدُهُ، وَما منْ مَلَك مُقَرَّب وَلا ذي رُوح غَيْرنا حَتّى بَدا لَهُ في خَلْق الأشْياء، فَخَلَقَ ما شاءَ منَ الْمَلائكَة وَغَيْرِهِمْ، ثُمَّ أنْهى علْمَ ذلكَ إلَيْنا**»[2].

- إنّ الأحاديث المأثورة في طينة أبدانهم، وخلق أرواحهم ونفوسهم، وفيما منحوا من الاسم الأعظم، والعلوم الغيبيّة الإلهيّة من علوم الأنبياء والملائكة، وممّا هو أعظم، ممّا لا يخطر على بال أحد.

(1) أصول الكافي، المجلد الأوّل، كتاب مولد النبي ﷺ، ح5.
(2) أصول الكافي، المجلّد 1، كتاب مولد النبي ﷺ، ح7.

وهكذا الأخبار المنقولة في فضائلهم في مختلف الأبواب من الكتب المعتبرة، وخاصّة كتاب أصول الكافي. إنّ مثل هذه الأخبار كثيرة بقدر تبعث على تحيّر العقول، ولم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم عليهم الصلوات إلّا أنفسهم.

* آية التّطهير في الحديث:

«**الرّجس**» منهم من قال هو الشّكّ، ومنهم من قال هو العيوب كلّها... فالأخطاء والمعاصي تأتي بسبب ضعف في اليقين والإيمان. وهناك مراتب كثيرةٌ للإيمان واليقين... فالّذي يصل إلى مرحلة اليقين يتوقّف عن المعاصي، وعندها يصبح من الأنوار القدسيّة، ويحقّق مقامًا رفيعًا... وهذا ما وصل إليه الأمير عليه السلام، الذي يقول: «**واللَّه، لو أعطيت الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي اللَّه في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته**»[1] وأيضًا «**لو كُشِفَ لِيَ الغطاء ما ازددتُ يقينًا**»[2].

وهذا هو الإيمان التّامّ، والاطمئنان التّامّ، اللذَين حظي بهما الأنبياء والأئمّة عليهم السلام.

* عدم إمكانيّة وصف الإيمان:

اعلم، أنّ الإيمان -أيضًا- من الكمالات الروحيّة، التي قلّما يدرك أحد

(1) نهج البلاغة، الخطبة 224.

(2) الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ص235.

حقيقتها النوريّة، حتّى إنّ المؤمنين لم يعرفوا شيئًا عن نورانيّة إيمانهم، والكرامات التي تنتظرهم لدى ساحة قدسه المتعالي، ما داموا في عالم الدنيا، وظلام الطبيعة.

إنّ الإنسان نتيجة عيشه في هذا العالم، واندماجه مع الظروف السائدة، يقيس الكرامات التي وعد الحقّ المتعالّ المؤمنين، والعطايا التي ذخّرها لهم، حسب ما حدّث عنها الأنبياء عليهم السلام، بهدايا السلاطين والأجلاء.

فلنستعرض بعض الأحاديث الشريفة، التي ذُكر فيها كرامة من كرامات المؤمنين، التي لا تُقاس لدى أصحاب المعرفة وَأرباب القلوب، بأيّ شيء آخر، ولا تدخل في أيّ ميزان ومقياس:

- عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنّ المؤمنَين إذا تصافحا، أقبل اللَّه تعالى عليهما بوجهه وتساقطت عنهما الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر**»[1].
- عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنّ المؤمنَين إذا التقيا وتصافحا، أدخل اللَّه يده بين أيديهما، فصافح أشدّهما حبًّا لصاحبه**»[2].
- وفي رواية أخرى عن إسحاق بن عمار، قال: دخلت على أبي عبد اللَّه عليه السلام... إلى أن قال «**أوما علمت أنّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا، أنزل اللَّه عزّ وجلّ الرحمة عليهما فكانت تسعة وتسعين لأشدّهما حبًّا لصاحبه، فإذا توافقا غمرتهما الرحمة**»[3].

(1) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب المصافحة، ح 4 و ح 2.
(2) المصدر نفسه.
(3) أصول الكافي، المجلّد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب المصافحة، ح 14.

32

الرِّزق

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من صحّة يقين المرء المسلم أن لا يُرضي النّاس بسخط اللَّه، ولا يلومهم على ما لم يؤته اللَّه، فإنّ الرّزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يردّه كراهيّة كاره، ولو أنّ أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت»**، ثمّ قال: **«إنّ اللَّه بعدله وقسطه جعل الرّوح والرّاحة في اليقين والرّضا، وجعل الهمّ والحزن في الشّكّ والسّخط»**[1].

- الرُّوح هي راحة القَلب، والرّاحة هي راحة البدن... والقِسط هو عطف تفسيريّ على العدل... وأمّا معنى الهمّ فهو اضطراب النفس في وقته، والنتيجة بعده هي الحزن.

- ولا بدّ من معرفة أنّ أمثال هذه الأحاديث الشريفة الظاهرة في أنّ الرزق مقسوم ومقدّر، كما هو المستفاد من الآيات القرآنية المباركة، هذه الأحاديث لا تتنافى مع الأخبار التي تحثّ على طلب الرزق، وتؤكّد على الكسب والتجارة، والتي ترى كراهة شرعيّة في

---

(1) أصول الكافي، المجلد الثّاني، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين، ح2.

ترك العمل، والإحجام عن تحصيل الرزق، وتلوم على التخلّي عن الكسب، وجاعلة التارك للاشتغال بالعمل التجارّ ممّن لا يستجاب دعاءه، ولا يبعث اللَّه رزقه . والأحاديث بهذا الصدد كثيرة . ونحن نقتصر على حديث واحد منها:

- عن محمّد بن الحسن شيخ الطائفة قُدِّسَ سِرُّهُ بإسناده عن عليّ بن عبد العزيز قال: قال أبو عبد اللَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جُعلت فداك، أقبل على العبادة وترك التجارة. فقال: وَيحه، أما عَلم أنّ تارك الطلب لا يُستجاب له دعوة؟ إنّ قومًا من أصحاب رسول اللَّه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ **لمّا نزلت** ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ **أغلقوا الأبواب، وأقبلوا على العبادة، وقالوا: قد كُفينا، فبلغ ذلك النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ **فأرسل إليهم فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول اللَّه، تكفّل اللَّه بأرزاقنا، فأقبلنا على العبادة، فقال: من فعل ذلك لم يُستجب له، عليكم بالطلب**»[1].

ووجه عدم المنافاة بين الأخبار هو أنّ طلب الرزق من الإنسان، وأمّا بعده من الأرزاق والأمور الأخرى التي تحفّ بالرزق ففي يد قدرة الحقّ المتعالي ولا يكفي طلبنا وحده مستقلًّا في جلب الرزق، فإنّ طلب الرزق من وظيفة العباد، وأمّا تنظيم الأمور وترتيب الأسباب الظاهريّة وغير الظاهريّة التي تخرج عن اختيار العباد غالبًا، فيكون بتقدير من الباري تعالى.

(1) وسائل الشيعة، المجلّد 12، الباب 5، من أبواب مقدمات التجارة، ح 7.

فالإنسان الذي يتمتّع بيقين صحيح، والذي يكون واقفًا على مجاري الأمور، يجب عليه في اللحظة التي لا يفتر فيها عن طلب الرزق، بل ينهض بوظائفه العقليّة والشرعيّة في الاكتساب، ولا يوصد أبواب الطلب على نفسه، يعرف إنّ كل شيء من الذات المقدّس الحقّ المتعالي، وأنّه لا يؤثّر موجود آخر في الوجود ولا في كمالات الوجود، إنّ الطالب والطلب والمطلوب، منه سبحانه. وأمّا ما ورد في هذا الحديث الشريف «**ولا يلومهم على ما لم يؤته اللَّه**»، فمعناه إذا كان هناك طلب بالقدر المتعارف فلا يلومهم على ما لم يؤته اللَّه. وهذا لا يتنافى مع رجحان توبيخ طائفة وملامتهم إذا تقاعسوا عن الطلب حتّى يدفعهم نحو الرزق، كما ورد مثيله في الأخبار المباركة.

*** علامات صحّة يقين المرء:**

1 - لا يرضي النّاس بسخط اللَّه.

2 - لا يلوم النّاس على ما لم يؤتِ اللَّه.

وهاتان العلامتان من نتائج كمال اليقين... وعكسهما يدلّ على ضعف اليقين... فكثيرًا ما ورد في الرّوايات عبارة: أنّ المؤمن لا يرضي النّاس بسخط الخالق، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ لأنّ الموضوع ليس في صغر المعصية أو كبرها، ولكن في عظيم مَن عصى العبد.

- فالنّاس على قسمين:

الأوّل: يرون أنّ الأسباب الظّاهريّة مسخرة تحت الإرادة الأزليّة، فلا يجدون دورًا لغير الحقّ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِى ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[1]، فيرون أنّ الحقّ هو مالك الوجود، فتتحوّل قلوبهم إلى قلوب إلهيّة، فلا يعبأون برضى النّاس وسخطهم، ويرونهم فقراء للّه.

الثّاني: ينتبهون للأسبَاب الظّاهريّة، وقد غفلوا عن مسبِّب الأسباب، فأخذوا يركضون وراء رضا المخلوق، ويشترونه بغضب اللّه، ويرضونه للوصول إلى مبتغاهم الدّنيوي؛ لأنّهم مقتنعون بأنّه هو المؤثّر في الوجود... وهذه مرتبة من مراتب الشّرك.

وأخيرًا: الرّوح والرّاحة لا تكون إلّا في اليقين والرّضا، والهمّ والحزن لا يكون إلّا في الشّكّ والسّخط، فالّذي لديه يقين لا يحزن ويتوكّل على اللّه.

(1) سورة آل عمران، الآية 26.

33

ولايَة أهل البيت عليهم السلام

عن محمَّد بن مارد قال: قُلْتُ لِأبي عَبْد اللَّه عليه السلام: «**حَديثٌ رُويَ لَنا أنَّكَ قُلْتَ: إذا عَرَفْتَ فَاعْمَلْ ما شئْتَ، فَقالَ: قَدْ قُلْتُ ذلكَ، قالَ: قُلْتُ: وَإنْ زَنَوْا، وَإنْ سَرَقُوا، وَإنْ شَربُوا الْخَمْرَ؟ فَقَالَ لي: إنّا للَّه وَإنّا إليه راجعُونَ، وَاللَّه ما أنْصَفُونا أنْ نَكُونَ أُخذْنا بِالْعَمَلِ وَوُضعَ عنهم! إنَّما قُلْتُ: إذا عَرَفْتَ فَاعْمَلْ ما شِئْتَ مِنْ قليلَ الخير وكثيرِه، فَإنَّهُ يُقْبَلُ مِنْكَ**»[1].

شرح:

- قوله «**إذا عرفت**» أنّ المقصود من المعرفة في هذا الحديث هو معرفة الإمام عليه الصلاة والسلام.

- قوله عليه السلام: «**أن نكون**»؛ أيّ بمعنى أنّهم لم ينصفونا في أن نكون مكلّفين ومأخوذين على التكاليف، وهم لأجل عقيدتهم فينا لم يكلّفوا ولم يؤخذوا على أعمالهم. ثم ذكر عليه السلام مغزى كلامه من أنّ الولاية شرط في قبول الأفعال ..

---

(1) أصول الكافي، المجلد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب أنّ الإيمان لا يضرّ معه سيّئة، ح 5.

وتوجد أحاديث كثيرة تدُلّ على أنّ الحبّ لأهل البيت عليهم السلام دون عمل هو حبّ وهميّ، ومن يعصي اللَّه ليس بموالٍ لأهل البيت عليهم السلام، بل هو عدوّهم، فالمحبّ لحبيبه مطيع... وقد عبرّ النّبيّ والأئمّة في مواطن كثيرة عن أنّ أساس العمل عند كلّ واحد منّا هو ولاية أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّهم قطب الرّحى، وأساس الدّين، ودعائم الإسلام، والأدلّاء على اللَّه.

- عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**شيعتنا هم الشّاحِبُون الذّابِلُونَ النّاحِلُونَ الَّذِينَ إذا جنّهم اللّيل اسْتَقْبَلوهُ بِحُزْنٍ**»[1].
- وعنه عليه السلام: «**إيّاك وَالسَّفْلَةَ، فَإنَّما شِيَعةُ عَلِيٍّ عليه السلام مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ، وَاشْتَدَّ جِهادُه، وَعَمِلَ لِخالقه، وَرَجا ثَوابَهُ، وَخافَ عِقابَهُ، فَإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر**»[2].
- وعن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال لخيثَمَة: «**أبْلِغْ شيعتنا، أنّا لا نغني مِنَ اللَّه شيئًا، وَأَبْلِغْ شيعتنا أَنَّهُ لا يُنَالُ ما عِنْدَ اللَّه إلاّ بِالْعَمَلِ، وَأَبْلِغْ شيعتَنَا أَنَّهُم إذا قامُوا بِما أُمِرُوا أَنّهم هُمُ الْفائِزُونَ يَوْمَ القِيامة**»[3].
- وعنه عليه السلام: «**لَا تَذْهَبْ بِكُمُ الْمَذاهِبُ، فواللَّهِ ما شِيعَتُنَا إلّا مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ**»[4].

(1) أصول الكافي، المجلد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته، ح7.
(2) أصول الكافي، المجلد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته، ح9.
(3) أمالي الطّوسي، المجلد 1، ص380.
(4) أصول الكافي، المجلد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب الطاعة والتقوى، ح1،ح3.

وبإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: «**يا جابر، أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟ فواللّه ما شيعتنا إلّا من اتّقى اللّه وأطاعه ـ إلى أن قال: فاتّقوا اللّه، واعملوا لما عند اللّه، ليس بين اللّه ولا بين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى اللّه تعالى، وأكرمهم عليه، أتقاهم وأعملُهُم بطاعته. يا جابر، واللّه ما نتقرّب إلى اللّه تعالى إلّا بالطاعة، ما مَعَنا براءة من النار، ولا على اللّه لأحد من حجّة، من كان للّه مطيعًا فهو لنا وليّ، ومن كان للّه عاصيًا فهو لنا عدوّ، وما تُنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع**»[1].

- وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**يا معشر الشيعة -شيعة آل محمد- كونوا النَمرِقة الوُسطى، يَرجع إليكم الغالي، ويَلحق بكم التالي، فقال له رجل من الأنصار يُقال له سعد: جُعلت فداك، ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منّا ولَسنا منهم. قال: فما التالي؟ قال المُرتاد يُريد الخَير يُبَلّغه الخير عليه، ثم أقبل علينا فقال واللّه ما مَعَنا من اللّه براءة، ولا بيننا وبين اللّه قرابة، ولا لنا على اللّه حُجّة، ولا نتقرب إلى اللّه إلّا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعًا للّه تَنفعه ولايتُنا، ومن كان منكم عاصيًا للّه لَم تنفعه ولايتُنا. ويحكم! لا تغترّوا، وَيحَكم! لا تغترّوا**»[2].

(1) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب الطاعة والتقوى، ح 6.
(2) روضة الكافي، ص 159 ح205.

- عن أبي عُبيدة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قام رسول اللَّه على الصّفا فقال: يا بني هاشم، يا بني عبد المطّلب، إنّي رسول اللَّه إليكم، وإنّي شفيق عليكم، وإنّ لي عملي، ولكلّ رجل منكم عملَه، لا تقولوا إنّ محمّدًا منّا وسندخل مدخله، فلا واللَّه، ما أوليائي منكم ولا من غيركم، يا بني عبد الملطب، إلّا المتّقون، ألا فلا أعرفكم يوم القيامة، تأتون تحملون الدنيا على ظهوركم، ويأتون الناس يحملون الآخرة**»[1].

- وفي حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام .. فقال : «**يا جابر، لا تذهب بك المذاهب، حَسْبُ الرجل أن يقول أُحبّ عليًّا وأتولّاه ثّم لا يكون مع ذلك فعّالًا؟ فلو قال: إنّي أحبّ رسول اللَّه، فرسول اللَّه** صلى الله عليه وآله وسلم **خير من عليّ** عليه السلام**، ثم لا يتّبع سيرته، ولا يعمل بسُنّته، ما نفعه حبّه إيّاه شيئًا**»[2].

* قصّة الإمام زين العابدين عن الاستغفار وعدم فائدة النّسب:

قال طاوس الفقيه: إنّه رأَى الإمام زين العابدين عليه السلام يطوف من العشاء إلى السّحر ويتعبّد.

فلمّا لم يَرَ أحدًا رمق السّماء بطرفه، وقال: «**إلهي، غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتّحات للسّائلين، جئتك لتغفر**

(1) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب الطاعة والتقوى، ح 6.
(2) أصول الكافي، المجلّد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب الطاعة والتقوى، ح 3.

لي وترحمني وتريني وجه جدِّي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة، ثمَّ بكى وقال: «وعزَّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكٌّ، ولا بنَكَالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانني على ذلك سَترك المرخى به عليَّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنّي؟ فوا سوأتاه غدًا من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفِّين جُوزوا، وللمثقلين حطّوا، أمع المخفِّين أجوز؟ أم مع المثقلين أحطّ؟ ويلي! كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحي من ربّي؟!» ثمّ بكى وأنشأ يقول: «أتحرقني بالنّار يا غاية المنى، فأين رجائي ثمَّ أين محبّتي، أتيت بأعمال قباح زريّة وما في الورى خلق جنى كجنايتي!»، ثمَّ بكى وقال: «سبحانك تُعصى كأنّك لا ترى، وتحلم كأنّك لم تُعصَ، تتودّد إلى خلقك بحسن الصّنيع كأنَّ بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيّدي الغنيُّ عنهم» ثمَّ خرَّ إلى الأَرض ساجدًا، قال: فدنوت منه، ورفعت رأسه ووضعته على ركبتي، وبكيت حتّى جرت دموعي على خدِّه، فاستوى جالسًا وقال: «من الّذي شغلني عن ذكر ربّي؟»، فقلت: «أنا طاوس يابن رسول اللَّه، ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن عليّ، وأُمّك فاطمة الزّهراء، وجدُّك رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم؟!»، قال: فالتفت إليَّ وقال: «هيهات هيهات يا طاوس! دع عنّي حديث أبي وأُمّي وجدِّي. خلق اللَّه الجنّة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبدًا حبشيًّا، وخلق النّار لمن عصاه ولو كان ولدًا قُريشيًّا، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ

﴿فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[1]! واللّه لا ينفعك غدًا إلاّ تَقدْمَة تُقدِّمُها من عمل صالح»[2].

فالّذي لا يتَبع سيرة الأئمّة عَلَيْهِمْ السَّلَامُ، ولا يعمل بسنّة عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما نفعه حبّه إيّاه شيئًا... لأنّ حبّ آل محمّد نافع، لكنّه ليس الأصل، بل الأصل أن نعمل بما أمرونا به من حسن الطّاعة والسّلوك، وتنفيذ هذا مع المحبّة يكتمل، فلا يغرّنّك الشّيطان، ولا تخدعنّك الأهواء النّفسيّة، فيكون الإنسان حينئذ يدّعي التّشيّع وحبّ أهل بيت العصمة والطّهارة وهو يرتكب كلّ محرّم من المحظورات الشّرعيّة، ويرفع عنه قلم التّكليف. إنّ هذا السّيّئ الحظّ لم ينتبه إلى أنّ الشّيطان يُلبِس عليه الأمور، فيُخشى عليه أن تُسلَب منه هذه المحبة الجوفاء في آخر عمره، ويقف في صفوف نواصب العداء لآل محمّد، فانتبه أيّها العزيز.

* يبدّل اللّه السيئات حسنات

قال اللّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

(1) سورة المؤمنون، الآية 101

(2) بحار الأنوار، للمجلسي، مجلد 46، تاريخ علي بن الحسين، باب 5، ح75، ص82.

(3) سورة الفرقان، الآيات 68 - 70.

عن الشيخ في أماليه بإسناده عن محمّد بن مسلم الثقفيّ قال: «سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام، عن قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾، **فقال عليه السلام: يُؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتّى يُقام بمَوقف الحساب، فيكون اللَّه تعالى هو الذي يتولّى حسابه، لا يُطّلع على حسابه أحد من الناس، فيُعرّفه ذنوبه، حتّى إذا أقرّ بسيّئاته، قال اللَّه عزّ وجلّ للكَتَبَة: بدّلوها حسنات، وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيّئة واحدة! ثم يأمر اللَّه به إلى الجنّة، فهذا تأويل الآية، وهي في المُذنبين من شيعتنا خاصّة»**[1].

يدلّ الحديث الشريف، على أنّ اللَّه سبحانه وتعالى يبدّل السّيّئات حسنات لمن تاب، وآمن وعمل، وهي مختصّة بالشّيعة؛ لأنّها بالمؤمنين ﴿تَابَ وَءَامَنَ﴾، ومن توفّرت فيه هذه الأمور الثّلاثة فاز، وشملتهُ ألطاف اللَّه سبحانه، وأصبح مكرّمًا أمام ساحة قدسه... فمن تاب وهو مؤمن يحيه اللَّه حياة طيّبة.

*** الولاية هي شرط قبول الأعمال، ومن انتقل للولاية وتشيّع واستبصر، لا يجب عليه قضاء الصّلاة والصّوم، فهي مقبولة منه إلّا الزّكاة.**

- عن أبي جعفر عليه السلام: **«ذرْوَةُ الأَمْرِ وَسَنامُهُ وَمِفْتاحُهُ وَبابُ الأشياء وَرِضَى الرَّحْمنِ الطّاعَةُ للإمام بَعْدَ مَعْرِفَته... أما لَوْ أنَّ رَجُلًا قامَ ليله، وَصامَ نهاره، وَتَصَدَّقَ بجميع ماله، وَحَجَّ جميع دهره، وَلَمْ يَعْرِفْ وِلايَةَ وَلِيِّ اللَّه فيواليه، وَتَكُونُ جميع أعْماله بِدَلالَته إليه، ما**

(1) كتاب أمالي الشيخ الطوسي، المجلّد 1، ص 70.

كانَ له عَلَى اللَّه حقٌّ في ثَوابِهِ، وَلا كانَ مِنْ أهْلِ الإيمان»[1].

- وعنه عليه السلام: «**كُلَّ عَمَل عَمَلهُ وَهُوَ في حالِ نُصْبه وَضَلالَته، ثُمَّ مَنَّ اللَّه عليه وَعَرَّفَهُ الْولايَةَ فَإنَّهُ يؤخّر عليه إلاّ الزَّكاة فَإنَّه يعيدها؛ لأنَّه وضعها في غير موضعها؛ لأنّها لأهْلِ الْولايَة، وأمّا الصَّلاةُ وَالْحَجُّ والصّيام فَليس عليه قَضاءٌ**»[2].

- وبإسناده عن أبي عبد اللَّه عليه السلام في حديث قال: «**واللَّه، لو أنّ إبليس -لعنه اللَّه- سجد للَّه بعد المعصية والتكبّر عُمر الدنيا ما نفعه ذلك، ولا قبله اللَّه، ما لم يسجد لآدم كما أمره اللَّه عزّ وجلّ أنْ يسجد له، وكذلك هذه الأمّة العاصية المفتونة بعد تركهم الإمام الذي نصّبه نبيّهم لهم، فلن يقبل اللَّه لهم عملًا، ولن يرفع لهم حسنة، حتّى يأتوا اللَّه من حيث أمرهم، ويتولَّوا الإمام الذي أمرهم اللَّه بولايته، ويدخلوا من الباب الذي فتحه اللَّه ورسوله لهم**»[3].

أيّها العزيز: لا يغرّنّك الشيطان، ولا تخدعنّك الأهواء النفسيّة. ومن المعلوم أنّ الإنسان الخامل المبتلى بالشهوات، وحبّ الدنيا والجاه والمال، مثل الكاتب يبحث عن مبرّر على خموله، ويقبل على كلّ ما يوافق شهواته، ويدعم رغباته النفسيّة وأوهامه الشيطانيّة، وينفتح بكلّ وجوده على مثل

(1) أصول الكافي، مجلد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح 5.
(2) وسائل الشّيعة، كتاب الطّهارة، باب 69، من أبواب مقدّمة العبادات، ح5.
(3) وسائل الشيعة، الباب 69، من أبواب مقدمة العبادات، ح 5.

هذه الأخبار، من دون أن يفحص عن مغزاها، أو يتأمّل في الأخبار الأخر التي تعارضها وتقابلها. إنّ هذا المسكين يظن أنّ مجرّد ادّعاء التشيّع، وحبّ التشيّع، وحبّ أهل بيت الطهارة والعصمة، يسوّغ له -والعياذ بالله- اقتراف كلّ محرّم من المحظورات الشرعيّة، ويرفع عنه قلم التكليف. إنّ هذا السيّئ الحظّ، لم ينتبه أنّ الشيطان قد ألبس الأمر عليه، ويُخشى عليه في نهاية عمره أن تُسلب منه هذه المحبّة الجوفاء التي لا تجدي ولا تنفع، ويُحشر يوم القيامة صفر اليدين، وفي صفوف نواصب أهل البيت عليهم السلام. إنّ ادّعاء المحبّة من دون دليل وبيّنة، لا يكون مقبولاً. إنّه لا يمكن أن أكون صديقك، وأضمر لك الحبّ، والإخلاص، وأقوم بكلّ ما هو مناقض لرغباتك وأهدافك. إنّ شجرة المحبّة تنتج وتثمر في الإنسان المحبّ، فالعمل حسب درجة المحبّة ومستواها، وإن لم تحمل تلك الشجرة هذه الثمرة، فلا بدّ من معرفة أنّها لم تكن محبّة حقيقيّة، وإنّما هي محبّة وهميّة.

إنّ النبيّ الأكرم وأهل بيته العظام صلوات الله عليهم، قد بذلوا حياتهم في نشر الأحكام الشرعيّة والعقائد والأخلاق، وأرادوا في ذلك البلوغ إلى منشودهم الوحيد، وهو إبلاغ أحكام الله، وإصلاح الإنسان وتهذيبه، واستساغوا في هذا السبيل الشريف، أنواع السلب والقتل والإذلال والإهانة، ولم يتوانوا في ذلك. فمحبّ أهل البيت، وشيعتهم، هو الذي يشاركهم في أهدافهم، ويعمل على ضوء أخبارهم وآثارهم. إنّ ما ذكر في الأخبار الشريفة من أنّ الإقرار باللّسان والعمل بالأركان من دعائم الإيمان، فهو بيان لسرّ

طبيعيّ، ولسنّة اللَّه الجارية؛ لأنّ حقيقة الإيمان تلازم العمل والتنفيذ. إنّ العاشق في جوهر طبيعته، يُظهر العشق تجاه المعشوق، ويتغزّل به، وإنّ المؤمن إذا لم يعمل بمتطلّبات الإيمان، وما تستدعيه محبّة اللَّه وأوليائه، لما كان مؤمنًا ومحبًّا . وإنّ هذا الإيمان الشكليّ والمحبّة الجوفاء، من دون جوهر ومضمون، ينتفي ويزول أمام حوادث بسيطة، وضغوط يسيرة، وينتقل هذا المحبّ إلى دار جزاء الأعمال، صفر اليدين.

34

المُؤمن

عَن أبي جعفر عليه السلام قال: «**لَمّا أُسْرِيَ بالنَّبيِّ** صلى الله عليه وآله وسلم **قالَ: يا رَبِّ، ما حالُ الْمُؤْمِن عنْدَكَ؟ قالَ: يا مُحَمَّدُ، مَنْ أهان لي وَليًّا فَقَدْ بارَزَني بالْمُحارَبَة، وَأَنَا أَسْرَعُ شَيْءٍ إلى نُصْرَة أوليائي، وَما تَرَدَّدْتُ في شَيْءٍ أنَا فاعلُهُ كَتَرَدُّدي في وفَاة الْمُؤْمن، يَكْرَهُ الموت وأكرهُ مَساءتَهُ. وَإنَّ منْ عباديَ الْمُؤْمنينَ مَنْ لا يُصْلحُهُ إلّا الْغنى، وَلَوْ صَرَفْتُهُ إلى غَيْر ذلك لَهَلَكَ، وَإنَّ من عباديَ الْمُؤْمنينَ مَنْ لا يُصْلحُهُ إلّا الْفَقْرُ، وَلَوْ صَرَفْتُهُ إلى غير ذلكَ لَهَلَكَ. وَمَا يَتَقَرَّبُ إلَيَّ عَبْدٌ منْ عبادي بشَيْءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه، وَإنَّهُ يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنافلَة حَتّى أحبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُه كُنْتُ -إذًا- سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصرُ به، ولسانه الّذي ينطق به، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطشُ بها، إنْ دَعاني أَجَبْتُـهُ، وَإنْ سَأَلَني أعْطَيْتُهُ**»[1].

* الأمر بين الأمرين

لا بدّ من معرفة أنّ جميع مراتب الوجود، من منتهى قمّة عالم الملكوت

---

(1) أصول الكافي، المجلد 2، كتاب الإيمان والكفر، باب من أذى المسلمين، ح8.

وذروة عالم الجبروت، إلى أسفل السافلين من عالم الظلمات والهيولى، تكون مظاهر جمال الحقّ سبحانه وجلاله، ومراتب تجلّيات الربّ عزّ وجلّ، وإنّ جميع الكائنات غير مستقلّة في ذاتها، وإنّما هي تعلّق صرف، وربط محض، وعين الفقر والتدلّي بالذات المقدّس الحقّ، وإنّ الموجودات كافّة مسخّرات بأمر الحقّ، ومطيعات للأوامر الإلهيّة. كما أنّ الآيات القرآنيّة التي أشارت إلى ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1].

إنّ هذا الإثبات والنفي ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ إشارة إلى مقام الأمر بين الأمرين، بمعنى أنّك رميت، وفي نفس الوقت أنّك لم ترم بقدرتك المستقلّة، بل إنّما حصل الرمي بواسطة ظهور قدرة الحقّ في مرآتك، ونفوذ قدرته في عالم مُلكك وملكوتك. فإذًا، أنت تكون راميًا، وفي نفس اللحظة يكون الحقّ جلّ وعلا راميًا. ومن أمثال الآيات المباركات، قول اللّه تعالى، حيث يقول: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2]، مع أنّ ملك الموت هو المسؤول عن توفي النفوس.

وقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[3]، فاللّه تعالى هو الهادي والمضلّ، مع أنّ جبرائيل يكون هاديًا، والرسول الأكرم ﷺ يكون هاديًا ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[4]، وإنّ الشيطان يكون مضلًّا.

(1) سورة الأنفال، الآية: 17.
(2) سورة الزمر، الآية: 42.
(3) سورة النحل، الآية: 93.
(4) سورة الرعد، الآية: 7.

- يوجد ثلاثة أنواع من النّاس:

1- مُنهَمك في الدّنيا وزخارفها.

2 - ذائبٌ في اللَّه، فلم يعد يأبه لنفسه.

3- مطيع للَّه، ولكن في الوقت عينه، تميل عينه للدنيا بالحلال، فهذا الّذي يكره الموت.

1 - ما هي أهمّيّة المؤمن عند اللَّه؟

أهمّيّة المؤمن ومنزلته عند اللَّه أعظم من الكعبة، فلعلّ هذا المؤمن وليٌّ من أولياء اللَّه، فلا يجوز الاستهانة بالمؤمن، ولا إذلاله ولا الاستخفاف به؛ وعليه تكون إهانة المؤمن لإيمانه باللَّه، فكما ورد في الحديث السّابق عن اللَّه أنّه من أهان له وليًّا كأنّه بارزه، وسيلقى محاربة المولى جلَّ وعلا.

2 - لماذا يُبتلى بعض المؤمنين بالفقر والبعض بالغنى؟

اللَّه يغني، ويُفقِر، ويعطي ويمنع، بحسب كلّ شخص، كوصفة الطّبيب وهذا من رحمته علينا، وهذا متعلّق ومتوقّف على مصلحة المؤمن، فبعض المؤمنين يضيع، ويعصي أو يتهاون، فيكون علاج إصلاحه بالفقر حتّى يتوب ويعود، وبعضهم لا يصلح إلّا إذا كان غنيًّا فيعطيه اللَّه، وهاتان الحالتان من كرامة المؤمن في ساحة قدس اللَّه.

3 - آثار أداء الفرائض والنوافل على الإنسان

عندما نصل إلى مرحلة «**حبّ اللَّه لنا**»، ننال شرف ومقام «**سمعنا سمَعَه، بصرنا بَصرَه، ولساننا لسانه، ويدنا يدَه...**» عندما نكون قد كُشف

عنّا، ونصبح مسلِمين له كلّ التّسليم، ونصل إلى مرحلة نرى فيها الملائكة، بل نسمع نداء الحق تعالى «**إلهي، واجعلني ممّن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق بجلالك، فناجيته سرًّا، وعمل لك جهرًا**»[1]، قال النّبيّ ﷺ: «**اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور اللّه**»[2] وعن الإمام علي عليه السلام: «**ما رأيتُ شيئًا إلّا ورأيت اللّه مَعَهُ وفيهِ وقبلَه وبعدَهُ**»[3] وعن الأمير عليه السلام: «**ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانيّة، بل بقوّة ربّانيّة**»[4].

فبعد أن يُخلص الإنسان، ويطأ برجله على هامة أنانيّته، وإنيّته، ويغادر البيت المظلم، يخرق الحجب الظّلمانيّة والنّورانيّة، ويقطع آماله من الموجودات والكائنات كلّها، ويغدو قلبه إلهيًّا، ذا وجه واحد، ويفنى في الأسماء والذّات والأفعال. إذًا، تنكشف للإنسان الكامل المنطوي تحت الاسم الجامع الأعظم مطلق الأعيان الثابتة، ويتحوّل إلى موجود منسجم مع المشيئة الإلهيّة.

نختم بكلام إمامنا الصادق عليه السلام: «**إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد قال: «أنا علم اللّه وأنا قلب اللّه الواعي وأنا لسان اللّه الناطق وعين اللّه وجنب اللّه وأنا يد اللّه»**»[5].

(1) المناجاة الشعبانية.
(2) تفسير ميزان 186/12 و 187.
(3) الأسفار الأربعة، ج1، ص117.
(4) شرح نهج البلاغة، 626/316/20.
(5) توحيد الصدوق، الباب 22، ح1.

35 الحسناتُ من اللَّهِ والسّيّئاتُ من الإنسان

عن أبي الحسن الرِّضا عليه السلام أنّه قال: «**قالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، بِمَشيئَتي كُنْتَ أَنْتَ الَّذي تَشَاءُ لِنَفْسكَ مَا تَشَاءُ، وَبِقُوَّتي أَدَّيْتَ فَرائضي، وَبِنعْمَتي قَوِيتَ عَلَى مَعْصيَتي، جَعَلْتُكَ سَميعًا بَصيرًا قَويًّا، مَا أَصَابَكَ منْ حَسَنَةَ فَمِنَ اللَّه، وَمَا أَصَابَكَ منْ سَيِّئَة فَمِنْ نَفْسكَ، وَذلكَ أَنّي أَوْلى بِحَسَنَاتكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتكَ مِنِّي، وَذاك أَنَّني لا أُسْأَلُ عَمّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلونَ**»[1].

- هنا واضح أنّ مشيئتَنا مرتبطة بمشيئة اللَّه؛ إذًا، الأمر ليس بجبر ولا تفويض، وإنّما الأمر بين أَمرين.
- وقوّتنا من اللَّه ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2].
- واللَّه هو الكامل والحكيم، فلا تأتي منه إلّا الحسنات، وأمّا النّاقص فتأتي منه السّيّئات، ولكن كلٌّ من اللَّه؛ أي من قوّته التي يمدّنا بها. ولا يُسأل عن فعله؛ لأنّه كامل وليس ناقصًا، وعلى ذلك كل ما

---

(1) أصول الكافي، كتاب التوحيد، باب المشيئة والإرادة، ح 6.

(2) سورة الأنفال، الآية 17.

يقع به الإنسان من ذنوب فهو من نفسه؛ لأنّه استخدم نعم اللّه في معصيته.

*** المقامات للّه تعالى المتعلّقة بالأسماء والصفات الفعليّة ومقام مرتبة التّجلّي بالصّفات الجماليّة هي:**

- مقام المعيّة ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[1].
- مقام وجه اللّه ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾[2].
- مقام النّوريّة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[3].
- مقام المشيئة المطلقة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[4].

*** في الإشارة إلى مسألتي الجبر والتّفويض:**

أشار الإمام الرضا عليه السلام، في هذا الحديث الشريف، بكلّ وضوح، إلى مسألتي الجبر والتفويض، والمذهب الحقّ وهو الأمر بين الأمرين، والمنزلة بين المنزلتين، الموافق لمسلك أهل المعرفة، وأصحاب القلوب؛ لأنّه أثبت المشيئة والقوّة للعبد، وفي نفس الوقت جعلها مشيئة الحقّ سبحانه، قائلًا: «**يا بن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقُوّتي أدّيت فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي**»، فلا تنتفي

(1) سورة الحديد، الآية 4.
(2) سورة البقرة، الآية 115.
(3) سورة النور، الآية 35.
(4) سورة الإنسان، الآية 30.

الأفعال والأوصاف والوجودات بصورة مطلقة، كما لا يثبت للإنسان كلّ تلك الأمور بصورة مطلقة. إنّك شئت، ومشيئتك قد فنيت فيّ، ومشيئتك مظهر مشيئتي، وتعيّنك مظهر تعيّني؛ وتنهض بقوّتك على طاعتي ومعصيتي، مع العلم أنّ قوّتك وقدرتك مظهر قدرتي وقوّتي.

ولمّا كان هناك توهّم إشكال واعتراض، وهو أنّه بناءً على هذا العرض المذكور، تنسب إلى الحقّ المتعالي النقائص والرذائل والمعاصي أيضًا.

أجاب عليه السلام على هذا الزعم على أساس فلسفيّ برهانيّ، وذوقيّ عرفانيّ، من أنّ الحقّ عزّ وجلّ لمّا كان كمال صرف، وخير محض، وعين الجمال والبهاء، كانت الكمالات والخيرات من ناحيته، بل إنّ نظام الوجود، وحقيقته في عالم الغيب والشهود، عين الكمال، وأصل الجمال والتمام. وما يعود إلى النقص والرذيلة والشرّ والوبال، فهو عائد إلى العدم والتعيّن، ومن لوازم الماهيّة، ولا يكون مجعولًا ومفاضًا من الحقّ سبحانه، بل إنّ الشرور الحاصلة في عالم الطبيعة، وهذه النشأة المُلكيّة الضيّقة، نتيجة التضادّ بين الموجودات، وعسر هذا العالم، وأنّ التضاد بين الكائنات لا يكون مجعولًا. فما هو من الخيرات والكمالات والحسنات فمن الحقّ، وما هو نقص وشرّ ومعصية فمن الخلق، كما قال عليه السلام: «**ما أصابك من حسنة فمن اللَّه وما أصابك من سيئة فمن نفسك**».

إذًا، إنّ جميع أنواع السعادة الدنيويّة والأخرويّة، وجميع أنواع الخير المُلكيّة والملكوتيّة، قد أفيضت من ينبوع الخير والسعادة. وإنّ كافة أنواع

الشقاء الدنيويّ والأخرويّ، وشرور هذا العالم والعوالم الأخرى، من القصور الذاتيّ للموجودات ونقصها.

* إنّ الحقّ المتعالّ أولى بالحسـنات من العباد، وهم أولى بالسيّئات من الذات المقدّس للحقّ

أمّا بيان أولويّة الحقّ سبحانه في الخير من عباده؛ فلأجل أنّ نسبة الخير إلى مبدئ المبادئ نسبة وجوديّة بالذات، فإنّ الخير ذاتيّ الوجود وهو في الواجب عين الذات، وفي الممكن بالجعل والإفاضة؛ وعليه يكون مصدر إفاضة الخير من الواجب تعالى، ولكن مرآة ظهوره، ومَظهره يكون الممكن. وتلك النسبة الظاهريّة والمفيضة، أتمّ من هذه النسبة المظهريّة والقابليّة.

وأمّا في السيّئات والشرور، فيكون الأمر معكوسًا، رغم صحّة الانتساب إلى الطرفين؛ لأنّ ما يفاض من الحقّ يكون خيرًا، ويلازمه تخلّل الشرّ على أساس الانجرار والتبعيّة، فتكون نسبة الشرّ إلى الحقّ بالعرض، وإلى الماهيّة بالذات، لنقصانها وقصورها. وقد تولّت الآية الكريمة بيان هاتين النسبتين. فعندما تتحكّم الوحدة، وتتلاشى الكثرات والنقائص، يقول سبحانه ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾[1]، ولدى مراعاة الكثرات بالعرض والوسائط، يقول عزّ وجلّ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾[2].

(1) سورة النساء، الآية: 78.
(2) سورة النساء، الآية: 79.

* هامش توضيحي

النسبة الوجوديّة تنقسم الى قسمين:

1 - نسبة بالذات، والمراد منها ذات الشيء تقتضي الوجود والكمال.

2 - نسبة بالعرض، وهي أن نسبة الوجود إليها لاحقة بسبب خارجيّ.

- ومثال الأوّل الحلاوة للسكر (فهي ذاتيّة).
- ومثال الثاني حلاوة الشاي، فهي بسبب خارجيّ، وهو السكر (فهي نسبة بالعَرَض).

فالخير هو الوجود المطلق الذي لا نقص فيه، وهو النور المطلق والكمال الذي ليس فوقه كمال، وذاته تقتضي ذلك. فالخير نسبة بالذات إلى اللّه تعالى، ونسبة بالعرض إلى مخلوقاته.

وأمّا الشر: هو ما يقابل الخير هنا، وهو المقصود به أنّ كلّ الموجودات التي هي ما سوى اللّه سبحانه في ذاتها نقص وفقر وينسب إليها بالذات، فهي بمقدار نقصانها يصاحبها الشرّ والخير بالنسبة إليها بالعَرَض؛ لأنّ ذاتها فاقدة للكمال، وعند إفاضة الكمال من الواجب ينسب الخير إليها، وهذا مراد الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ من الانجرار والتبعيّة، ونسبة الشر إلى الحقّ بالعَرَض.

36

الصِّفات الذَاتيّة للَّه

عن أبي بصير قال: سَمعْتُ أبا عبداللَّه عليه السلام يَقولُ: «**لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَبَّنَا وَالْعلْمُ ذَاتُهُ وَلاَ مَعْلومَ، وَالسَّمْعُ ذَاتُه وَلاَ مَسْمُوعَ، وَالْبَصَرُ ذَاتُهُ وَلاَ مُبْصَرَ، وَالْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلاَ مَقْدورَ؛ فَلمّا أَحْدَثَ الأَشْيَاء وَكَانَ المَعْلُومُ وَقَعَ العلْمُ منْهُ عَلَى المَعْلوم، وَالسَّمْعُ عَلَى المَسْموع، وَالْبَصَرُ عَلَى المُبْصَر، وَالقُدْرَةُ عَلَى المَقْدور. قَالَ: قُلْت: فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَحَرِّكًا؟ قال: فَقالَ: تَعالَى اللَّهُ عَنْ ذلكَ، إنَّ الحَرَكَةَ صفَةٌ مُحْدَثَةٌ بالفعْل. قال: فَقُلْتُ: فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا؟ قَالَ: فقالَ: إنَّ الكَلامَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ لَيْسَتْ بِأَزَلِيَّةٍ، كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلا مُتَكَلِّمَ**»[1].

(1) أصول الكافي، كتاب التّوحيد، باب صفات الذات، ح 1.

*** اعلم أنّ الفلاسفة الإلهيّين الحكماء، قد قسّموا صفات الحقّ سبحانه على أقسام ثلاثة:**

الأوّل: الصفات الحقيقيّة، وصنّفوها إلى صنفين:

(أ) الصفات الحقيقيّة المحضة، مثل الحياة والثبات والبقاء والأزليّة وأمثال ذلك.

(ب) الصفات الحقيقيّة ذات الإضافة، مثل العلم والقدرة والإرادة. وهذه الصفات قد أضيفت إلى شيء آخر، مثل المعلوم والمقدور والمراد. وهذان الصنفان من الصفات الحقيقيّة، يعتبران عين الذات.

الثاني: الصفات الإضافيّة المحضة، مثل المبدئيّة والرازقيّة والراحميّة، والعالميّة، والقادريّة وأمثالها.

الثالث: الصفات السلبيّة المحضة مثل القدوسيّة والفرديّة والسبوحيّة وأمثالها. ويعتبر العلماء هذين النوعين -الثاني والثالث- من الصفات الزائدة على الذات المقدّس. كما وأنّهم يرجّعون جميع الصفات السلبيّة إلى سلب واحد هو سلب الإمكان. وجميع الصفات الإضافيّة إلى إضافة واحدة هي الموجديّة، ويرون بأنّ مبدأ الإضافات يعود إلى الإضافة الإشراقيّة والإفاضة النوريّة ـ صدور المعلول من العلّة.

* الصّفات الذّاتيّة للَّه:

«صفات اللَّه تعالى ثبوتيّة (الخلق، العلم، القدرة، الحياة...)، وسلبيّة؛ أي الّتي تُسلب عنه ولا تليق به (العجز، الضّحك، الشّرّ....)، وهي ذاتيّة للَّه؛ أي موجودة فيه غير مكتسبة، ولذلك «العلم ذاته ولا معلوم...».

«**فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم**»؛ أي خلق كلّ شيء، وأصبحنا موجودين، «**وقع العلم منه على المعلوم...**»، واللَّه ليس متَحرّكًا؛ لأنّنا نعطيه بهذا الكلام مكانًا خاصًّا، واللَّه -أيضًا-، لا يتكلّم عبر لسان.

- تنقسم أوصاف الحقّ تعالى إلى محضة ومضافة، أمّا الأولى كالثّبات والأزليّة، وأمّا الثّانية كالقدرة والحياة، ولكن كلاهما تعتبران من عين الذّات؛ لأنّ صفات اللَّه عين ذاته.

- توجد صفات سلبيّة للَّه على معنيَين، المعنى الأوّل هي الصفات المسلوبة عنه، كالضّعف مثلًا، وأمّا المعنى الثّاني فهي الصّفات التي تسلب عن الله النّقص، كالقدّوسيّة والفرديّة. كما أنّ الأوصاف السّلبيّة مثل القدّوس والسّبوح، فإنّها من لوازم الذّات المقدّس، فيكون الكمال بهذه الصّفات عَرَضيًّا لا ذاتيًّا؛ لأنّه كمال مطلق، ويصدق عليه الكمال المطلق بالذّات لا بالعرض.

* في بيان أنّ العلم قبل الإيجاد:

العلم الإلهيّ هو علم اللَّه بمخلوقاته قبل إيجادها، وقد ثبت لدى

أصحاب الأدلة والبراهين بأنّ هذا الحديث قد أومأ إلى أنّ العلم بالمعلوم قد كان بالأزل قبل الإيجاد، وأنّ هذا العلم عين ذاته، وأنّ علمه تفصيليّ ليس إجماليًّا، حيث قال الإمام بالنّصّ السّابق: «**والسّمعُ ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مُبصَر**». وأُشيرَ أيضًا إلى علمه التّفصيليّ بالحديث أنّه أحدث الأشياء، فكان المعلوم، فوقع العلم منه على المعلوم بعد حدوثه، وهذا معناه أنّ العلم بشيء وبسببه وعلّته يستلزم العلم بذاك الشيء، فإنّ علم المُنجّم بالخسوف في ساعة محدّدة يكون نتيجة علم المنجّم بالأسباب، حيث يرصد حركة القمر وحيلولة القمر بين الأرض والشّمس، فكان على ذلك الحقّ عالمًا بذاته الّذي هو سبب لجميع الموجودات، وعالم بالمُسبّب أيضًا. ولما كانت كذلك، كان اللّه عالمًا بكلّ الأشياء، وكان علمه بنفسه سببًا لظهور جميع الأشياء وخلقها.

37

معرفةُ اللَّه باللَّه والرّسول بالرّسالة

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**اعرفوا اللَّه باللَّه، والرّسول، بالرّسالة، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان**»[1].

يوجد فرق بين العرفان والعلم؛ إذ العلم بشيء هو علم بالكلّيّات، أمّا المعرفة فيه فهي بجزئيّاته وتفاصيله. ولذلك، ليس المطلوب معرفة اللَّه بالعقل؛ العارف الحقيقيّ باللَّه هو الّذي يتعرّف على الحقّ من خلال المشاهدة الحضوريّة، أمّا العالم بالله فهو الّذي ينتهي إلى الحقّ بالبراهين الفلسفيّة.

وذهب بعضهم إلى أنّ الفارق بين العلم والعرفان من وجهين: الأوّل من ناحية متعلّق كلّ منهما كما ذكرنا -متعلّق العلم كلّيّ ومتعلّق المعرفة جزئيّ-. والثاني أنّه أخذ في المعرفة نسيان الشيء المعلوم سابقًا. في حين أنّ العلم هو ما يدركه الإنسان ابتداءً. وأمّا الشيء الذي كان معلومًا فغُفل عنه ونسيه ثمّ أدركه ثانيًا، يقال له إنّه قد عرفه، وإنّما يقال للعارف عارفًا؛ لأنّه يتذكّر الأكوان السالفة، والنشآت السابقة على كونه المُلكيّ، ونشأته الطبيعيّة.

(1) أصول الكافي، المجلد 1، كتاب التوحيد، باب إنه لا يعرف إلا به، ح 1.

وادّعى بعض أهل السلوك -العرفاء- أنّ سبب التسمية هو تذكّر عالم الذر، ويقول إنّه لو أزيح حجاب الطبيعة الباعث على الغفلة والنسيان عن أعين السالك، لتذكّر العوالم السابقة.

وقال بعض العرفاء: إنّ حقيقة المعراج المعنويّ والروحانيّ، هي تذكّر الأيّام السالفة، نحن إذا قفلنا راجعين إلى الوراء للإطلال على أيّام الطفولة والمراهقة والشباب و... لوجدنا أنّ كلّ شخص يسترجع فترة من حياته ويتذكّر بعض الأيام، فهناك من يتذكّر أيّام عامه السابع من حياته وما بعدها، وهناك من يتذكّر أيّام السنة الخامسة من عمره، وبعض يذهب إلى أبعد من ذلك ويدّعي تذكر أيّام حوله الثالث. ومن النّادر من يسترجع إلى ذاكرته أبعد من أعوام الثلاثة الأولى.

لقد نقل عن الشيخ الرئيس ابن سينا، أنّه كان يدّعي تذكّر أوّل لحظة ولادته، وكان يقول:

«**يمكن للإنسان أن يتذكّر أبعد من ذلك، فيتذكر فترة تواجده جنينًا في رحم الأم، أو فترة وجوده في صلب الأب، وهكذا يرجع إلى الوراء، ويتذكّر جميع الأحوال التي مرّ بها في عالم الملك، حتّى يصل متقهقرًا إلى أكوان عالم الملكوت الأعلى والجبروت، إلى عالم الجبروت الأعلى، وهكذا يقفل ويتقهقر حتّى يتذكّر نشأة العلم الربوبيّ، ومثل هذا التذكّر هو حقيقة المعراج، ومنتهى العروج الروحانيّ**».

- ولذلك ﴿مَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1]، ويبدأ برحلة السّلوك إلى اللَّه من خلال تجلّي الأسماء والصّفات، وبترويض النّفس المتمثّلة بالمرتبة الأولى، فقد عرف اللَّه باللَّه... وبعدها عندما يفنى المؤمن في هذا التّجلّي ويستأنس، ويبدأ بخطوات العشق والشّوق، فيبلغ مقام الاسم الأعظم، فتتحقّق معرفة اللَّه باللَّه في مرتبة عالية...

- يقول الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي ـ روحي فداه: **إنّ الحالة الروحيّة للنبيّ آدم عليه السلام كانت تجذبه نحو عالم الغيب والمقام المقدّس، وتُبعده عن عالم مُلكه وعالمه الطبيعيّ، ومثل هذه الحركة الجذبيّة كانت تبعث على سلب الآدميّة عن آدم عليه السلام، فسلّط الحقّ المتعالي الشيطان عليه؛ لكي ينتبه إلى شجرة الطبيعة، وينعطف عن الجذبة الملكوتيّة، وينصرف إلى عالم الملك والطبيعة.**

- قوله عليه السلام: «**والعدل والإحسان**» الظّاهر أنهما معطوفان على قوله «**الأمر بالمعروف**» أيّ: إعرِفوهم بالأمر بالمعروف وبالعدل والإحسان. ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله «**المعروف**» أي: إعرفوهم بالأمر بالمعروف وبالأمر بالعدل والإحسان.

(1) سورة النساء، الآية 100.

* في تبيان معنى: اعرفوا اللّه باللّه:

اعلم، أنّ كلّ واحد من العلماء قد فسّر هذه العبارة، ولكن كلٌّ بحسب مذهبه العلميّ أو الفلسفيّ، ولكن نقتصر بإيجاز على رأي ثقة الإسلام الكليني في الكافي، أنّ معنى «**اعرفوا اللّه باللّه**»؛ يعني أنّ اللّه خلق الأنوار والأشخاص والجواهر والأعيان، فالأعيان هي الأبدان، والجواهر هي الأرواح، وهو عزَّ وجلَّ لا يشبه جسمًا ولا روحًا، فإذا نفى (العبد) عنه الشّبهين: شبّه الأبدان وشبّه الأرواح، فقد عرف اللّه باللّه، وإذا شبّهه بالرّوح أو البدن أو النّور فلم يعرف اللّه باللّه[1].

أمّا رأي الشّيخ الصّدوق رحمه الله بعد إيراد الخبر، فيقول: «**عرفنا اللّه باللّه؛ لأنّا إن عرفناه بعقولنا، فهو عزَّ وجلَّ واهبها، وإن عرفناه عزَّ وجلَّ بأنبيائه ورسله وحُجَجه، فهو عزَّ وجلَّ باعثهم ومرسلهم ومتّخذهم حججًا، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عزَّ وجلَّ محدثُها، ففيه عرفناه**»[2].

(1) أصول الكافي، مجلّد1، باب أنّه لا يعرف إلاّ به، ح1.
(2) مرآة العقول، مجلّد 1، ص298.

38

إنّ اللَّهَ خلقَ آدَم على صورَته

- عن محمَّد بن مسلم قال: سَأَلْتُ أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ عمّا يَرْوُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى صورَته، فَقالَ: «**هِيَ صورَةٌ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ[و] اصْطَفَاهَا اللَّهُ وَاخْتَارَهَا عَلَى سَائر الصُّوَر المُخْتَلفَة، فَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسه كَمَا أَضَافَ الْكَعْبَةَ إِلَى نَفْسه، وَالرُّوحَ إِلَى نَفْسه، فَقَالَ: بَيْتي**»[1] ويقول تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[2].

- عن الحسين بن خالد قَـالَ: قُلْتُ للرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يَابْنَ رَسُولِ اللَّه، إِنَّ النَّاسَ يَرْوُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُوْرَته، فَقَالَ: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، لَقَدْ حَذَفُوا أَوَّلَ الْحَدِيث، إِنَّ رَسُولَ اللَّه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ **مَرَّ بِرَجُلَيْن يَتَسَابَّان، فَسَمعَ أَحَدُهُمَا يَقُولُ لصَاحبه: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ يُشْبِهُكَ، فَقَالَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يَا عَبْدَ اللَّه، لَا تَقُلْ هذَا لأَخيْكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُوَرته**»[3].

---

(1) أصول الكافي، مجلد أول، كتاب التّوحيد، باب الروح، ح 4.

(2) سورة الحجر، الآية 29.

(3) بحار الأنوار، المجلّد 4، الباب 3، ص 11.

- معنى آدم؛ لأنّه خُلِق من أديم الأرض؛ أي من وجه الأرض، وأيضًا لعلّه كان أسمرَ، وآدم يعني السَّمَار.

- فهي محدثة؛ أي حديثة مخلوقة ليست أزليّة، وفي الحديث أن اللَّه اصطفاها لنفسه؛ أي اختارها من بين الجميع، والسّبب في ذلك أنّ أكمل شيء بين المخلوقات موجود على وجه الأرض هو الإنسان، وأنّه مرآة لتجلّي الأسماء والصّفات (رحمة، غضب، سمع....) وأنّه وجه اللَّه وعينه....، حاشى للَّه أن يكون له صورة وأن نشبهه، ولكن من باب التّقريب؛ لأنّ الأدوات الإنسانيّة تستعمل للحادث المتغيّر؛ لأنّها أدوات قد تُفقد وتستعمل للمحدود.

* في بيان أنّ الإنسان مظهر تامّ للَّه، وأنّه الاسم الأعظم للحقّ جلَّ وعلا

أنّ الإنسان الكامل مظهر الاسم الجامع، ومرآة تجلّي الاسم الأعظم، كما أشير إلى هذا المعنى في الكتاب والسّنّة كثيرًا.

يقول أرباب المعرفة وأصحاب القلوب، بأنّ لكلّ اسم من الأسماء الإلهيّة لدى الحضرة الواحدية، صورة، تابعة للتجلّي بالفيض الأقدس لدى الحضرة العلميّة، وذلك بواسطة الحب الذاتي وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلّا هو، ويعبّر لدى أهل اللَّه عن تلك الصورة بـ«**العين الثابتة**» وتحصل أولًا، من جرّاء هذا التجلي بالفيض الأقدس، التعيّنات الاسمائية، ويتحقّق ثانيًا، بسبب هذه التعينات الاسمائيّة، صور الأسماء التي هي الأعيان الثابتة. والاسم الأول الذي يبرز ويظهر مع مرآته،

بتجلي الأحديّة، والفيض الأقدس، لدى حضرة العلميّة الواحديّة، هو الاسم الأعظم الجامع الإلهي، والمقام المسمى بـ«**اللَّه**» الذي يكون من الناحية الغيبيّة عين التجلّي بالفيض الأقدس. وفي التجلي الظهوري يكون كمال الجلاء والاستجلاء عين مقام جمع الواحديّة باعتبار، وعين الكثرة الاسمية باعتبار آخر.

- قال اللَّه تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾[1]. وقد تمّ هذا التّعليم الإلهيّ على يدي الجَمال والجلال تجاه باطن آدم بواسطة التخمير الغيبيّ الجمعيّ لدى الحضرة الواحديّة، كما أنّه تمّ تعليم الإلهيّ تجاه صورة آدم وظاهره في عالم الشّهادة بمظهره الطّبيعيّ الماديّ بواسطة ظهور يدي الجلال والجمال، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾[2]. وتكون الأمانة لدى العرفاء هي الولاية المطلقة الّتي لا يليق بها غير الإنسان، وهذه الولاية هي مقام الفيض المقدّس، وقد أشير إليه في القرآن الكريم بقوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾[3]. وفي الزّيارة الجامعة الكبيرة نلاحظ تعبير (**المثل الأعلى**) والدّالّ على المعنى نفسه، وهذا هو الوجه الإلهيّ وهو الوارد في الحديث الشّريف بأنّ اللَّه خالق آدم على

(1) سورة البقرة، الآية 31.
(2) سورة الأحزاب، الآية 72.
(3) سورة القصص، الآية 88.

صورته، والإنسان يكون هو المثل الأعلى للحقّ تعالى، وآيتُه الكبرى، ومظهره الأتمّ، وأنّه مرآة لتجلّي الأسماء والصّفات، وأنّه عين اللَّه، ويد اللَّه، وجنب اللَّه، وهو يسمع ويبصر ويبطش باللَّه، واللَّه يبصر ويسمع ويبطش به. ووجه اللَّه هو النّور المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾[1].

- عن الإمام الباقر عليه السلام: «**نحن حجّة اللَّه، ونحن باب اللَّه، ونحن لسان اللَّه، ونحن وجه اللَّه، ونحن عين اللَّه في خلقه، ونحن ولاة أمر اللَّه في عباده**»[2]، وأيضًا في دعاء النّدبة: «**أين وجه اللَّه الّذي يتوجّه إليه الأولياء!**».

- وأيضًا عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ﴾[3]، «**النّور واللَّه نور الأئمة من آل محمّد إلى يوم القيامة، وهم واللَّه نور اللَّه الّذي أنزل، وهم واللَّه نور اللَّه في السّموات والأرض**»[4].

- وأيضًا عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾[5] «**هي في أمير المؤمنين**»[6].

---

(1) سورة النور، الآية 35.
(2) أصول الكافي، المجلّد 1، كتاب التوحيد، ح7.
(3) سورة التغابن، الآية 8.
(4) أصول الكافي، المجلّد 1، كتاب الحجّة، ح1.
(5) سورة النبأ، الآيتان 1 - 2.
(6) أصول الكافي، المجلّد 1، كتاب الحجّة، ح3.

- وفي زيارة الجامعة الكبيرة «**والمثل الأعلى**». وهذا المثل الأعلى وذلك الوجه الإلهيّ، هو الوارد في الحديث الشريف «**إنّ اللَّه خلق آدم على صورته**»؛ ومعناه أنّ الإنسان هو المثل الأعلى للحقّ سبحانه، وآيته الكبرى، ومظهره الأتمّ، وأنّه مرآة لتجلّي الأسماء والصفات، وأنّه وجه اللَّه، وعين اللَّه، ويد اللَّه، وجنب اللَّه، «**هو يسمع، ويُبصر، ويبطش باللَّه، واللَّه يُبصر، ويسمع، ويبطش به**»[1].

- وملخّص الحديث، أنّ الإنسان الكامل الذي يكون آدم أبو البشر فردًا منه، أكبر آية ومظهر لأسماء وصفات الحقّ سبحانه، وأنّه مَثَل الحقّ المتعالي وآيته. ولا بدّ من تنزيه اللَّه سبحانه وتقديسه عن المِثل بمعنى الشبه، ولا يلزم تنزيه ذاته المقدس عن المَثَل الذي هو بمعنى الآية والعلامة: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[2].

- إنّ كافّة ذرّات الكون، آيات ومرآة تجلّي ذاك الجمال الجميل عزّ وجلّ، كلّ حسب حجمه ومنزلته الوجوديّة. ولكن لا يكون شيء آية للاسم الأعظم الجامع؛ أي «**اللَّه**» عدا الكون الجامع، والبرزخيّة الكبرى المقدّسة جلّت عظمته بعظمة باريه. فاللَّه تعالى خَلَق الإنسان الكامل، والآدم الأوّل على صورته الجامعة، جعله مرآة أسمائه وصفاته. قال الشيخ الكبير: فظهر جميع ما في الصورة

(1) أصول الكافي، كتاب الايمان والكفر، باب من آذى المسلمين، ح 7.
(2) سورة الروم، الآية: 27.

الإلهيّة من الأسماء في هذه النشأة الإنسانيّة، فحازت رُتبة الإحاطة والجمع بهذا الوجود، وبه قامت الحجّة للَّه على الملائكة.

- وتبيّن من بحثنا (المختَصَر) هذا السالف الذكر، السبب في اصطفاء واختيار الحقّ المتعالي للصورة الجامعة الإنسانيّة من كلّ الصور المختلفة للكائنات بأسرها. كما تبيّن السر في تفضيل الحقّ سبحانه لآدم عليه السلام على الملائكة، وتكريمه دون كافّة المخلوقات وفلسفة نسبة روحه إليه في الآية الكريمة ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[1]. وحيث إنّ هذا الكتاب قد التزم على نفسه الاختصار، غضضنا الطرف عن بيان حقيقة النفخة الإلهيّة، وكيفيتها في آدم، وسبب اختصاصها به دون الموجودات الأخرى. والحمد للَّه أوّلًا وآخرًا.

(1) سورة الحجر، الآية: 29.

39 الخَيرُ والشرُّ

عن معاوية بن وهب قال: سَمِعْتُ أبا عبد اللَّه عليه السلام يقولُ: «**إنَّ ممّا أَوْحَى اللَّهُ إلَى موسى** عليه السلام، **وَأَنْزَلَ عَلَيْه في التَّوْرَاة: أنّي أَنَا اللَّهُ لا إلهَ إلاَّ أَنَا، خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الْخَيْرَ وَأجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُحبُّ، فَطوبى لمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْه، وَأَنَا اللَّهُ لا إلهَ إلّا أَنَا، خَلَقْتَ الخَلْقَ وَخَلَقْتَ الشَّرَّ وَأجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُريدُهُ، فَوَيْلٌ لمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْه**»[1].

- شرح «**طوبى لهم**»: طوبى لهم أي طيّب العيش، وفي الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**طوبى شجرة في الجنّة أصلها في داري وفرعها في دار عليّ، فقيل له في ذلك فقال لي: داري ودار عليّ في الجنّة بمكان واحد**»[2].

- إن الخير والشر في موارد استعمالهما يكونان بمعنى الكمال والنقص في الذات أو الصفات وفي الوجود وكمالاته، وأنّ جميع ما

---

(1) أصول الكافي، المجلد الأوّل، كتاب التّوحيد، باب الخير والشّرّ، ح 1.

(2) مجمع البحرين، مادة طيب.

هو خير بحسب ذاته، فهو عائد إلى حقيقة الوجود، وإذا أطلق على غيره، فهو من أجل الوجود. كما أنّ الشر بالذات، هو عدم الوجود أو عدم كمال الوجود، وإطلاقه على غير ذلك مثل الموجودات المؤذية والحيوانات الضارّة، فإنّما هو إطلاق بالعرض والمجاز، لا بالذات والحقيقة.

- إنّ كافّة الكمالات نتيجة جمال الجميل المطلق، وتجلّي النور المقدّس للكامل المطلق. وأمّا الكائنات الأخرى فهلاك في نفسه، وفقر محض، وبطلان مطلق، فكما أنّ ذاته القدسيّة منزّهة من كل نقص وإمكان وتقييد، فكذلك يجب تنزيه فيضه المقدّس وتقديسه من كافّة الحدود الإمكانيّة، والأمور المنبثقة من الماهيات والتحديدات الراجعة إلى الحدود والنقائص. إذًا، فيضه الذي هو ظلّ للجميل المطلق، يكون جميلًا مطلقًا، وجمالًا تامًّا، وكمالًا تامًّا، فهو جميل في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا يتعلّق الجعل والإيجاد إلّا بالوجود.

- إنّ مذهب التفويض والجبر نتيجة البراهين القاطعة، والمقاييس العقليّة يكونان باطلين وممتنعين، وأنّ مذهب الأمر بين الأمرين لدى أهل المعرفة والفلسفة العالية هو الثابت والصحيح. إنّنا نرفض كلًّا من التفويض، الذي هو عبارة عن استقلال الموجودات في التأثير، والجبر، الذي هو عدم تأثير الموجودات نهائيًّا، ونؤمن

بالمنزلة بين المنزلتين، التي هي إثبات التأثير ونفي الاستقلال في التأثير، ونقول:

- إنّ منزلة الإيجاد مثل الوجود وأوصافه، فكما أنّ الكائنات موجودة وليست بمستقلّة في الوجود، وأنّ الأوصاف ثابتة لها وغير مستقلّة فيها، وأنّ الآثار والأفعال ثابتة فيها وصادرة عنها، ولكنّها غير مستقلّة في الوجود، فكذلك الفاعل والموجد، يفعل ويوجد ولكنّه غير مستقلّ في الفاعليّة والإيجاد.

ولا بدّ من معرفة أنّه قد اتّضح بعد التدبّر في البيان المذكور في الفصل المتقدّم، بأنّ كلًّا من الخير والشرّ، يصح أن ينتسب إلى كلّ من الحقّ والخلق، ولهذا ورد في الحديث القدسيّ: «**وخلقت الخير، وأجريته على يدي من أحبّ، فطوبى لمن أجريته على يديه، وأنا اللَّه لا إله إلّا أنا، خلقت الخلق، وخلقت الشرّ، وأجريته على يدَي مَن أريد**»، ومع ذلك تكون نسبة الخير إلى الحقّ سبحانه، بالذات، وإلى العباد والكائنات، بالعرض، في حين أنّ نسبة الشرور إلى الموجودات الأخرى بالذات، وإلى الحقّ سبحانه بالعرض. وقد أشار إلى هذا المعنى، الحديث القدسي القائل: «**يا بني آدم، أنا أولى منك بحسناتك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي**».

- إذًا... كلٌّ من عند اللَّه، ولكن بإرادتنا، لا جبر ولا تفويض... إن أُجريَ الشّرّ على أيدينا فهو بإذن اللَّه، وبسببنا، ومنها يجري هذا الشّرّ، وذلك حسب السّبب والمسبّب الذي فعلناه، وكذلك الخير.

اللَّه يحبُّ أن نكون أبرارًا لا أشرارًا، يمكنه منع الشّرّ، فويل لمن تركه اللَّه أن يكون شريرًا، فيزيد في طغيانه، فالشّرّ نابع عن نقص فهو من الضّعيف أمثالنا؛ لأنّ الحقّ كامل، فالشر يكون بسببنا وبإذن منه.

- في الختام، لا بدّ لنا من التساؤل، فإن كنّا وبناءً على مذهب الجبريّة، مسيّرين ولسنا مخيّرين، فكيف «**للَّه (جل جلاله)**» أن يحاسبنا على أعمال لم يكن لنا قدرة على اختيارها، وهو العادل.

وعلى النقيض، يعتبر أصحاب مذهب التفويض بأنّهم يمتلكون الإرادة الحرّة في قراراتهم وأعمالهم، ولا دور «**للَّه (جل جلاله)**» في أيّ منها، وهم بذلك ينكرون قدرة اللَّه في التأثير على الوجود.

فكيف لهذا أن يكون ونحن الذين نؤمن ونقرّ بربوبيّته وألوهيّته، وهو الربّ المدبّر لكلّ شيء؟

فالحمد للَّه الذي كرّمنا بالاهتداء بأنوار محمّد وآل بيته الأطهار المعصومين، الذين تعلّمنا منهم بأن الأمر ليس بجبر ولا تفويض، وإنّما هو بين أمرين.

40 تفسير سورة التّوحيد وأولى آيات سورة الحديد

عن عاصم بن حُمَيد قالَ: «**سُئلَ عَليُّ بْنُ الْحُسَيْن** عليهما السلام **عَنِ التَّوْحيد، فقَال: إنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلمَ أنَّهُ سَيَكُونُ في آخرِ الزَّمانِ أقْوامٌ مُتَعَمِّقونَ فَأنْزَلَ اللَّهُ تَعالى:** ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] **وَالآياتِ مِنْ سورَةِ الْحديدِ إلى قوْلِه** ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2]، **فَمَنْ رامَ وَراءَ ذلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**»[3].

لقد خرج الإمام الخميني قدس سره في الحديث عن سورة التوحيد عن المألوف في الأحاديث السابقة، فصاغه بقلم العرفان النظريّ العالي، ممّا يصعب على العامّيّ فهمه، ولكن ما يهوّن الخطب أنّ الإمام قدس سره قد بسط الكلام في سورة التوحيد شرحًا في كتابه الموسوم (**الآداب المعنويّة للصلاة**). لذا، سنذكر ملخّصًا لخلاصة كلامه في سورة التوحيد، مع شرح مبسَّط لبعض المفاهيم والكلمات.

---

(1) سورة الإخلاص، الآية 1.

(2) سورة الحديد، الآية 7.

(3) أصول الكافي، كتاب التّوحيد، باب النسبة، ح 3.

* تفسير سورة التّوحيد:

عن الإمام باقر العلوم عليه السلام بعد عرضه صلوات اللّه عليه نبذة من أسرار حروف الصمد المباركة، أنّه قال: «**لو وجدتُ لعلمِي الذي آتاني اللّه عزّ وجلّ حَملَة، لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد**»[1].

التّوحيد: هو على وزن تفعيل، وهو لأجل التشديد في الوحدة، ومعناه الاهتمام البالغ والأكيد بالوحدة والبساطة.

- **قوله تعالى:** ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾

ليُعلم أنَّ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ من كُلّ سورة تتعلّق على مذهب أهل العرفان بنفس السّورة المبدوءة بها، و(لا تكون متعلقة بـ أستعين أو غير ذلك... فيكون لها معنى واحد). وعليه يختلف معنى ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ في كلّ سورة لإختلاف متعلّقه (مضمون السورة) من سورة لأخرى من السور القرآنيّة.

- ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ في سورة التّوحيد تتعلّق بـ (قلّ)، والعارف عند قوله ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ لديه حالات ثلاث:

1. عند كسوة (غلبة) التّجريد، وغلبة التّوحيد، فيكون المراد من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ مقام المشيئة المطلقة.

(1) تفسير البرهان، المجلّد 4، ص 526.

2. عند كسوة غلبة التّكثير (الكثرة)، يكون مقام المقصود من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الإنتباه إلى كثرات التعيُّنات (الموجودات).

3. عند الجمع بين المقامين، ويسمى مقام البرزخيّة الكبرى، فيكون المقصود من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ المشيئة في مقام الوحدة، والكثرة والظهور والبطون والرحمانيّة والرحيميّة.

والمقصود من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ في السورة المباركة التّوحيد هو المقام الثالث (البرزخيّة الكبرى)، كون السورة تجمع بين الأحدية الغيبيّة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والألوهية الأسمائية ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ...﴾.

- **قوله تعالى** ﴿هُوَ﴾:

هذه الكلمة الشّريفة إشارة إلى مقام الهويّة المطلقة من حيث هي هي من دون أن تتعيّن بتعيّن الصفات، أو تتجلى بتجلي الأسماء (يعني أن نطلق على ذات الخالق والرازق أو العالم، القادر...)

- **قوله تعالى** ﴿ٱللَّهُ﴾ **وفيه أمور:**

1. اللَّه هو الاسم الجامع الأعظم للربّ المطلق.

2. السبب في تقديم اللَّه على أحد هو لأجل الإشارة إلى مقام التجلّي في قلب السّالك؛ فأوّلًا تتجلّى الأسماء الذاتيّة (**اللَّه**)، وبعدها الأسماء الصفاتيّة (**الواحديّة**).

3. السرّ في انتقاء اسم (**اللَّه**) من مجموع أسمائه سبحانه ممكن أن يعود إلى أحد أمرين:

- الأول: أنَّ التجلي بأيّ اسم من أسماء اللَّه هو تجلٍّ باسم (**اللَّه**).

- الثاني: إشارة إلى نهاية سلوك الواحديّ.

(**منتهى السير إلى اللَّه**) إلّا إلى اللَّه تصير الأمور.

بناءً على كلّ ما تقدم:

- يكون ضمير (**هو**) إشارة إلى مقام انقطعت عنه آمال العارفين.

- و(**أحد**) إشارة إلى تجلّي الأسماء الباطنيّة.

- و(**اللَّه**) إشارة إلى تجلّي الأسماء الظاهريّة.

وبهذه الثّلاثة (**هو-اللَّه-أحد**) تتحصل الاعتبارات الأوّليّة لحضرة الرّب (**المدبّر**).

- أمّا الأسماء الأربعة الأخرى (**الصمد- لم يلد - لم يولد - لم يكن له كفوًا أحد**)، يكون الصّمد جامعًا لها، وهذه الأربعة من الصّفات السلبيّة التنزيهية.

△ توضيح:

فالصّمد هو الذي لا جوف له، والجوف هو الخلّو. فإذا كان صمدًا فلا ينفصل عن شيء ولا هو ينفصل عن شيء وليس له كفوٌ ومثلٌ لا شبيه.

* توضيح بعض المصطلحات للسورة المباركة التوحيد

- **مقام البرزخية الكُبرى:** التعيّن الأوّل، وهو وسط بين مقاميّ الأحد والواحد.

- **مقام المشيئة المطلقة:** أوّل الصوادر من الحقّ، وهي مخلوقة بنفسها، والأشياء مخلوقة بها.

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: خلق اللَّه المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة[1].

- **مقام الأحديّة الغيبيّة:** أوّل مقام يشير إلى الذّات الإلهيّة المقدّسة.

- **الهويّة المطلقة:** إشارة إلى الهويّة الغيبيّة - (هو).

- **التعيّن:** هو الظّهور والتجلّي.

- **التجلّي:** هو الظّهور في عالم من العوالم.

- **الأسماء الذاتيّة:** ملاحظة الذّات بما هي، مع ملاحظة وصف (أحد)

- **الأسماء الصفاتيّة:** ملاحظة الصّفة بغض النّظر عن الذات (اسم صفة)، كالعالِم والقادر.

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج4، ص145.

* تفسير أولى آيات سورة الحديد

يقول الفيلسوف الكبير صدر المتألّهين في خصوص الآيات الأولى من سورة الحديد: «**إعلم أنّ كل آية من الآيات الست التي أشير إليها في هذا الحديث، تشتمل على علم غزير في التوحيد والألوهيّة، وتتضمّن معارف كثيرة من العلوم الصمديّة والربوبيّة، فلو ساعد الزمان وأعان الدهر عارفًا ربّانيًّا، أو حكيمًا إلهيًّا الذي إستوحى علمه من مشكاة النبوّة المحمديّة على الصادع بها وآله وأفضل السلام والتحيّة، وإستقى فلسفته من أحاديث أهل العصمة والطهارة، سلام اللّه عليهم، لكان من حَقّ ذلك العارف أو الحكيم ومن حق تلك الآيات، أن يضع لتفسير كل آية مجلّدًا واسعًا بل مجلّدات كثيرة**».

- **الآية الأولى:** ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1] هذا يدلّ على تسبيح الكائنات كلّها حتّى الجمادات والنّباتات، ومن يظنّ أنّ التّسبيح هو فقط للعقلاء من الكائنات، فهذا من احتجاب عقله. والدّليل من سورة أخرى مفصّلة: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾[2].

وأيضًا: ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[3].

(1) سورة الحديد، الآية 1.
(2) سورة الحجّ، الآية 18.
(3) سورة النّمل، الآية 18.

ولكنّ المشكلة أنّنا غارقون في الحجب؛ ولهذا لا نسمع تسبيح الكائنات، وأمّا إذا بلغنا مقام المشاهدة بترويض النّفس والحالات المعنويّة، لشاهدنا بأمّ العين، وسمعنا دويّ تسبيح الموجودات وتقديسها.

- **الآية الثّانية:** ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[1]، فهي إشارة إلى مالكيّة الحقّ جلّ جلاله لملكوت السّموات والأرض؛ وعليه الإحياء والإماتة والبسط والقبض ونفوذ القدرة والتّصرّف.

- **الآية الثّالثة:** ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

لا توجد كلمة للتّعبير، فهي منتهى سلوك العارفين والعاشقين، وتستوجب السّقوط منّا إذلالًا على الأرض، ويقصر عن استيعابها أيّ مخلوق.

- **الآية الرّابعة:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3].

اللّه هو العالم بكلّ شيء، وهو معنا، وهذا مقام القيوميّة.

---

(1) سورة الحديد، الآية 2.

(2) سورة الحديد، الآية 3.

(3) سورة الحديد، الآية 4.

- **الآية الخامسة:** ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾[1] دليل على مالكيّة الحقّ، ورجوع كلّ شيء إليه.
- **الآية السّادسة:** ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2]، فالقدر الّذي ينقص من أحدهما يضاف إلى الآخر.

⇦ مَن رام وراء ذلك فقد هلك... فمن يظنّ أنّ هناك معارف أعلى من هذا المستوى فقد هلك، وأيضًا أقلّ من هذا المستوى يعدّ من الهلاك والموت بمقام الرّبوبيّة.

(1) سورة الحديد، الآية 5.
(2) سورة الحديد، الآية 6.

مصطلحات

- **القوى الظّاهريّة:** الحسّ، البصر، التّذوّق، اللّمس والسّمع.
- **القوى الباطنيّة:** الخيال، الحافظة، الواهمة والعاقلة.

عندما تخضع القوى الظّاهريّة والباطنيّة لأحكام اللَّه نكون جنود الرّحمن، وعندما تخالفان الشّرع نصبح جنود الشّيطان.

- **الإحاطة القيوميّة:** إن جميع الكائنات قائمة باللَّه سبحانه، وهو الواقف على صغيرة وكبيرة، والمحيط بكلّ شاردة وواردة، فيعبّر العرفاء بالإحاطة القيوميّة.
- **السّرمد:** الدّائم الّذي لا أوّل له ولا آخر.
- **الواجب:** هو الموجود الّذي يستند إلى وجوده بذاته، أمّا الممكن فوجوده يكون من غيره.
- **عالم الحيوان:** هو عالم الآخرة الّذي لا موت فيه.
- **الأحد:** هو كلّ شيء لا مثيل له من جنسه، وهو لا ثاني له، فكيف بالحقّ الّذي لا نظير له في الوجود!
- **التّوحيد:** والإيمان بالخالق الواحد وقد يكون ذاتيًّا، وهو الإيمان بوحدانيّة الذّات، وقد يكون صفاتيًّا وهو الإيمان بأنّ صفاته عين ذاته، وقد يكون فعليًّا، وهو أن لا مؤثّر في الوجود إلّا اللَّه.

- **جهنّم:** محلّ عذاب الإنسان وعقابه ولها ثلاث مراتب: جهنّم الأعمال وهو ما يستحقّه الإنسان من عذاب نتيجة انحرافه عن تعاليم دينه وتكون أخلاقه حسنة، وتوجد جهنّم الأخلاق والملكات، وهي أشدّ من جهنّم الأعمال، وتكون سبب الرّذائل والأخلاق الفاسدة المترذّلة في نفس الإنسان، وجهنّم الذّات وهي لمن أشرك أو ألحد بالحقّ وهي أشدّ المراتب عذابًا.

- **الصّناعات الخمس:** الصّناعة اصطلاحًا ملكة نفسيّة وقدرة مكتسبة يقتدر بها على استعمال الأمور لغرض من الأغراض، صادرًا ذلك الاستعمال عن بصيرة بحسب الإمكان، وهذه الأمور هي البرهان والجدل والخطابة والشّعر والمغالطة.

- **الغضب:** هو الشّوق نحو دفع المضارّ، وما يتنافى مع الطّبع ومبعثه وحفظ بقاء النّوع.

- الشّهوة هي الرّغبة الشّديدة نحو ما يتلاءم مع النّفس والتّلذّذ به.

- **التّزاحم:** إنّ التّزاحم لدى أصول الفقه هو تهافت المأمور به والمنهيّ عنه لدى الامتثال والتّنفيذ، فيتقدّم الأهمّ على المهمّ.

- **القلب:** لدى علماء الطّبيعة هو عضو صنوبريّ الشّكل، ومخروطيّ الصوّرة، ولدى الفلاسفة حقيقة عينيّة خارجيّة تتعلّق بالرّوح البخاريّة المتصاعدة من القلب.

دعاء وختام

إلهي! أنت الّذي ملأت قلوب الأولياء بنور المحبّة، وأخرست ألسنة عشّاق الجمال من التّحدّث عن أنفسهم والآخرين، وأبعدت أيادي الأنانيّين المنحطّين عن أذيال كبريائك. إلهي! أيقظنا من سكرة غرور الدّنيا، من النّوم العميق الّذي غمرنا من جرّاء الانغماس في عالم المادّة والطّبيعة، ومزّق لنا بإشارة واحدة الحجب الغليظة والسّتائر السّميكة من الإعجاب والذّاتيّة. اللّهمّ! خذ بأيدينا إلى مجلس الطّاهرين لدى ساحتك، ومحفل المخلصين المقدّسين، وأبعد عنّا شراسة الطّبيعة وسوء الخلق، وغلظة اللّسان، والنّفاق والانحراف، واقرن حركاتنا وسكناتنا وأفعالنا وأعمالنا وأوّلنا وآخرنا وظاهرنا وباطننا بالإخلاص والصّفاء.

إلهي! إنّ نعمك قد ابتدَأت علينا (لا يشترط عطاء الحقّ بقابليّة المعطي له) وعطاياك غير متناهية، وباب رحمتك مشرعة، ومائدة نعمك اللّامتناهية مبسوطة. هب لنا حالاً مضطربًا، وقلبًا ملتهبًا، وعينًا تذرف الدّموع، ورأسًا لا يعرف القرار، وصدرًا ينفث بالهموم والآلام، واختم حياتنا بالإخلاص إليك، والحبّ إلى خواصّ ساحتك، وهي مقدّمة كتاب الوجود، وخاتمة نظام الغيب والشّهود، محمد وأهل بيته الطّاهرين.

والحمد للّه ربّ العالمين

اللهم يا رب الحسين

بحق الحسين

اشف صدر الحسين

بظهور الحجّة

يا مولاي يا صاحب الزمان

اغثني ادنني ادركني

صلني بك ولا تقطعني

كرّم اللّٰـــه تعـالى اللّجنـــة الثقافيّـــة العامِلـــة في هيئـــة **"باســـم اللّٰـــه"** لإعداد كُتيّـــب، يُلخّـــص ويُبسّـــط الأفكـــار المطروحـــة في الكتاب الأخلاقي **"الأربعـــون حديثًـــا"**، للإمـــام **روح اللّٰـــه الموســـوي الخمينـــي** (قدس سره)؛ الذي أحيا اللّٰـــه به روح هذه الأمّة، محاولة منهم لبث روح الأخلاق الإسلاميّة الكريمة، التي سعى لبثّها رسول اللّٰـــه مُحمّد (صلّى اللّٰـــه عليه وآله)، وقوله الشريف خير شـاهد على ذلك: **"إنّما بُعِثـتُ لأُتمّـم مكارم الأخـلاق".**

لطيفة: صورة غلاف الكتاب، تحكي للقارئ عن الحركـة الجوهريّـة الخُمينيّـة التي نمت، وتدرّجت في معرفة الحقّ، من أهل الحقّ، **حضرة مُحمّد وآل مُحمّد**..

- فالورود الحمـــراء الخمـــس، **إشـــارة إلى الأنـــوار الإلهيّـــة الخمـــس: مُحمّـــد وعلـــيّ وفاطِمـــة والحسَـــن والحُســـين** (ع).
- والأوراق التّسعة المتفرّعة من الورود هم **التسعة الأطهار من ذريّة الحسين** (ع).
- أمّا الورقة الذهبيّة المتصلةُ يدُ روحِ اللّٰـه فيها، فهي ذروة سنام هذه الشجرة، ذات الأصـــل الثابت، التي فرعـــها في السّماء، وهي ورقـــة خاتم الأوصـياء، حامـل راية الفتح، الذي سينشـر دين اللّٰـــه ودين رســـوله على الدين كلّـه، وهي نور اللّٰـــه الذي سيشرق ليضيء الظلمات.. **ألا وهو حضرة بقية اللّٰـــه في الأرضيـن الحُجّـة بن الحسَـــن المهـــديّ** (عجّل اللّٰـــه فرجه).

@bism.lahh
+961 76 131 797